الدكتور علي القائمي

الأسرة والطفل المشاكس

دار النبلاء



الأُسرة

والطفل المشاكس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدكتور علي القائمي

الأُسرة والطفل المشاكس

ترجمة: البيان للترجمة

دار النبلاء

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار النبلاء
بيروت - لبنان
حارة حريك - ص.ب ١١/٨٦٠١ - هاتف: ٨١٤٢٩٤/ ٠٣ خليوي

المقدّمة

يمثّل الكتاب الذي بين يديك القسم الثاني من مجموعة المقالات والبحوث التي نُشرت في بعض المجلات الاسلامية، أو المحاضرات التي ألقيت في بعض المحافل الدينية كحسينية الارشاد بطهران خلال الندوات التربوية التي عُقدت فيها.

فقد تكوّن لديَّ تصوّر بانَّ هذه المجموعة تنطوي على فائدة جمّة للأُسر والمعلمين والمهتّمين بشؤون التربية والتعليم مما دعاني إلى اعادة صياغتها وترتيبها على هيئة كتاب. وكان لتشجيع والحاح بعض المطّلعين واصحاب الاختصاص دور المحفّز على الاهتمام بهذا العمل وانجازه على وجه السرعة.

جرى اعداد كل واحد من هذه البحوث بما يتناسب وموضوعه فصار كل موضوع مستقل بذاته الا أنّه يتّسم بالايجاز، وبات من البديهي أن تبدو بعض المضامين وكأنّها مكررة بسبب التشابه القريب بين العناوين. حينما كتبت مقالة في وقت ما لم يدر في خلدي حينها انني سأكتب مقالة مشابهة لها في ما بعد لتندرج ضمن كتاب كامل. فعلى سبيل المثال اقتضت الضرورة يوماً ان اكتب وانشر مقالة تحت عنوان «نزاع الاطفال» وبعد ستّة أشهر طلب إليَّ ان اكتب شيئاً عن غضب الاطفال، وبعد سنة أُريد منّي كتابة موضوع عن عدوانية الاطفال أو عن الميول التخريبية لدى الاطفال، ولأجل ان يخرج كل موضوع بصورة متكاملة نسبياً وجدت نفسي مضطراً لاهمال ما تشابه منها والى عدم احالة القارىء إلى المقالات المنشورة في أحدى المجلات قبل سنة مثلاً، مما حدى بي إلى كتابة الموضوع بصورة أكثر شمولية لتناسب مستوى الغالبية العظمى من القراء

والمستمعين.

لا تفوتنا الاشارة هنا إلى ان صياغة هذه المقالات روعي فيها المستوى العلمي والثقافي لاغلبية القرّاء، فهي معدّة لهذا الغرض، ولذا فقد بذلت ما في الوسع ليكون الموضوع بسيطاً وعملياً ومفهوماً لدى الجميع الا ان هذا لايعني خلوّه من المحتوى وبعده عن الدقّة المتوخّاة، أو أنّه عارٍ عن الصبغة العلمية.

اغتنمت فرصة ايام عطلة اعياد الربيع لتنظيم مواضيع الكتاب واعادة قراءَتِه وتصحيح مقالاته، فإن كانت هذه المجوعة مفيدة بشكل أو آخر للآباء والامّهات والكادر التربوي، فذلك كفيل بازالة التعب الناجم عن تكريس الوقت لأمثال هذه المواضيع ولاسيا في هذه الايّام المخصصة للراحة الجسدية والفكرية.

قمت بهذا العمل قربة إلى الباري جلَّ شأنه، لأنني على ثقة من ان حل المشاكل التربوية التي تواجهها الأُسر ومراكز التربية، والسعي لاعادة بناء الجيل الجديد وتنقية اذهان الأطفال وافكارهم. وكذا بقيّة الشرائح الاجتاعية، عمل يثاب عليه الانسان ويوجب القرب إلى الله تعالى.

أتيت على ذكر مصادر جميع المقالات ـ كما هو المتعارف ـ في نهاية الكتاب ليستفيد منها المربّون والمحققون، على امل ان تكون الأخرى والتي هي قيد التدوين حالياً، في متناول القراء في القريب العاجل، وانني لأستمد العون من العزيز القدير متضرّعاً إليه ليوفّقني لاداء هذه الخدمة، راجياً منكم الدعاء.

علي القائمي

تمهيد

ان تلقّي التربية حق طبيعي للابناء، وهو ما يتضمن بطبيعة الحال إلقاء مسؤولية كبرى على عاتقنا. فهم بحاجة إلى بناء شخصياتهم ليكونوا افراداً نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم ومخلصين لدينهم. ولاشك ان بلوغ هذا الهدف لا يمكن تحقيقه بلا معونة من الأبوين، وهما مكلّفان بتحقيق هذه الغاية.

فتربية الأبناء بالنسبة لنا نحن الابوين تعتبر من أهم الواجبات، والمسؤولية في ذلك تقع على رقابنا امام الله وامام الناس وامام الطفل نفسه وامام ضمائرنا، واداء هذه المسؤولية على افضل وجه، موضع تأكيد العقل والشرع، والتساهل فيها يستدعي العقوبة.

مما لا شك فيه ان الرغبة تحدو الجميع لأن يكونوا آباء صالحين أو امهات صالحات، لكن الخطأ يكمن في ان البعض يتصور ان الصلاح ينحصر في تلبية الاحتياجات البدنية للاطفال ولا يرى أية أهمية للجوانب الروحية والاخلاقية. وثمة مسألة أخرى وهي ان الكثير من الآباء والامّهات لا يتصورون أنهم بحاجة إلى الوعي والثقافة لتربية وتعليم ابنائهم، فيتوهمون عدم ضرورة الوعي في التربية، أو ان ما يعتبرونه ضرورياً لا يمتلكون اية معلومات عنه.

تتلخّص المسألة المهمة في موضوع التبرية، في اننا نستهدف نقل ما لدينا من قدرات مادّية ومعنوية إلى الطفل ـ وهو كائن يتميّز بانشداده الوثيق إلى الغرائز ـ لنصنع منه انساناً مثالياً يحمل افكاراً نبيلة في الفداء والتضحية وطلب الشهادة. ولاشك ان عملاً كهذا يستلزم قدراً كافياً من الفن والمعرفة، اما إذا كنّا نفتقر إلى المعلومات الكافية في هذا الصدد فكيف يتأتى لنا أداؤه بالشكل الصحيح.

فنحن نرى ان التربية تمثل في احد نواحيها علماً، وهي من ناحية أخرى فن ومن ناحية ثالثة خبرة وتمثل في بعدها الرابع خدمة، وان من يريد دخول هذا الوادي السحيق فلابد ان يكون له إلمام بحدوده واعماقه. ونحن سنشير في هذا الصدد إلى مواضيع عدّة:

ما هي التربية:

من الضروري ان نعرف أوّلاً وقبل كل شيء ما هي التربية وما هي ضرورتها واهميّتها؟ وما هي مكوّناتها وابعادها؟

لقد طرحت للتربية تعاريف عدّة منها قولهم: ان التربية تعني الجهد والعمل الواعي من قبل الانسان لإيجاد التغييرات المنشودة. ومن البديهي ان اسلوب الفهم واستخلاص المعنى من هذا التعريف يتفاوت بتفاوت المجتمعات، فما اكثر الامور التي تعتبر مرغوبة في مجتمعٍ ما بينما تواجه بالرفض في مجتمعٍ آخر. فالبعض يعتبرها ـ أي التربية ـ فنّاً ينتقل في ظلّه نشوء ونمو القوى الانسانية في ادوار الحياة المختلفة بما يتناسب مع السن ودرجة النضج، ويتم خلال عملية النقل هذه الاستفادة من الجوانب العلمية والتجريبية.

فنحن نسعى من خلال التربية إلى تعليم الطفل اسلوب الاستمتاع بالحياة، وتنمية قواه الجسمية وملكاته الروحية لبلوغ الكمال المنشود، وننقل إليه أسس التفكير والشعور والعمل المدروس، وننقل الحضارة الانسانية بعد التقييم والاغناء، إلى الجيل الجديد، ونكشف الاستعدادات والقدرات الكامنة لدى الطفل ونوجهها صوب الجوانب المراد تحقيقها.

ابعاد العمل التربوي: تمثل التربية في احد ابعادها الاهتمام بتنمية القـوى الجسمية بسبب ما للجسم من أهمية واعتبار سواء كان حيّاً أم ميّتاً وهـذا مـا يوجب ترك او اداء الكثير من الاعمال العبادية.

وتهتم التربية من جهة أخرى بتنمية القوى الذهنية، كالحفظ والادراك وتداعي المعاني والدقة والارادة وحتّى صياغة الذهن عن طريق ايجاد الصلة والاتحاد بين محتويات الذهن بحيث تنمو الجوانب المتعلقة بها بشكل متناسب ومتّزن.

وتركز التربية من جهة ثالثة على الاهتمام بالابعاد الروحية والعاطفية لأنَّ المطلوب هو تربية وصياغة وتوجيه روح الطفل. فلا شك ان الوضع يوجب في بعض الحالات طرح موضوع الحياة، وفي حالات أخرى طرح موضوع اعادة البناء. وفي التربية يجري التأكيد على تعليم مثل هذا الانسان روح المسؤولية بحيث يرى نفسه مسؤولاً امام ذاته وامام خالقه وامام الناس، والطبيعة، لكـي يبلغ بروحه وجسمه ارفع درجات الجمال والكمال الممكن، وتوفير موجبات ضمان مستقبله وتوجيهه أخيراً إلى ما يحقق آمال مجتمعه ودينه.

ضرورة التربية وأهميّتها

التربية ضرورية في حياة الانسان. فالشخص الذي لم يتلقَّ التربية لا يخسر نفسه فحسب، بل أنّه يمثل من الوجهة الاجتماعية ضرراً جسيماً على الناس أيضاً.

فالطفل كالنبات يحتاج في نموّه إلى عناصر وامكانيات شتّى. اذا افتقد الغذاء والهواء تعرض للعطب، فالمستعمرون والمتغطرسون والمجرمون كـلهم نـتاج

التربية المغلوطة، تماماً كما يبلغ الصالحون والأخيار والعاملون الحقيقيّون مكانتهم الرفيعة عن طريق التربية الصحيحة أيضاً. وخلاصة القول هي أنه لو انعدمت التربية لانعدمت الحضارة.

وبناءً على هذا فإن للتربية اهمية وتأثيرات فردية واجتماعية لا يستهان بها. فعلى الصعيد الفردي لها تأثيرها الفاعل في نمو الجانبين المادي والمعنوي، وعلى الصعيد الاجتماعي لها دورها في رقي واستقرار المجتمع، ومحصلة القول ان اهميّتها تمثل لانسان اليوم اهمية الموت والحياة. ويكفي ان يضع الانسان نفسه موضع الطفل أو يتصور حياته في مجتمع مجرد من القيود ليدرك مدى اهميتها في حياته.

فالتربية في الرؤية الإسلامية هدفها كيان الانسان وصياغة شخصيته فهي اذن ليست مما يندرج ضمن عداد الكماليات. اننا مكلفون بتربية ابناءنا تربية صالحة لأنّهم صنّاع مجتمع الغد وهم آباء وامهات الاجيال القادمة.

إنَّ هذه المهمة هادفة وحسّاسة وهي ليست مجرّد تسلية عقيمة.

فوائد التربية:

للتربية فوائد جمّة لا يتّسع المجال لذكرها وبيانها مسهبة ضمن هذه الدراسة الموجزة، إلاّ ان ما يمكن عرضه في هذا المجال يمكن تلخيصه في ما يأتي:

١ ـ **على الصعيد السياسي**: تؤدّي التربية إلى ايجاد النضج والتحوّل، وتخلق عند الاشخاص محفّزات الرقي والتطّور، ويمكن بواسطتها ان يجعل من الحكومة حكومة شعبية، وان يصار إلى تنمية المجتمع، وايجاد التنظيمات البناءة واشاعة سبل تقدّم المجتمع بين عموم الناس.

فعن طريق التربية يمكن ايجاد تحوّلات كبرى في المجتمع الانساني، لتطويره وصيانة استقلاله، والبلد الذي يروم الوقوف على قدميه في ظل هذا الصراع والتناحر، وبلوغ مرحلة الاكتفاء الذاتي، وانهاء حالة التبعية، لابد ان ينتهج الاسلوب التربوي لبلوغ هذه الغايات.

التربية هي المعيار المعوّل عليه في التأخر أو التقدم في عالم اليوم وفي عالم الغد. وما أكثر المجتمعات التابعة للشرق أو الغرب في جميع المجالات ومرد ذلك هو عجزها عن الوقوف على اقدامها والاتكال على قدراتها الذاتية وذلك لعدم انتهاجها الطريق التربوي السليم.

التربية هي المحور في استقلال المجتمع، لأن توفير الحريّة المشروعة للجميع، والحياة المستقرة، والعلاقات الداخلية السليمة القائمة على المحبّة والوئام والتعاون، والعلاقات الخارجية المبنية على التفاهم وجسن الجوار، والقوانين الصحيحة، والمؤسسات التنفيذية الصالحة، والاجهزة القضائية العادلة والفاعلة، تتحقق باجمعها في ظل التربية.

٢ ـ على الصعيد الاجتماعي: أمّا على الصعيد الاجتماعي فيمكن للتربية ان تخلق الفرد الصالح والنافع لبلده، والذي يعمل في سبيل خدمة مجتمعه. التربية هي التي تجعل الطفل يتعرف تدريجياً على العالم المحيط به؛ فاذا لم يتلقَّ التربية الصالحة فسوف ينشأ نشأة مدارها الانانية وحب الذات، ولاهم له سوى تحقيق مصالحه الشخصية.

والتربية هي التي تجعله يفهم وجوب الالتفات إلى مصالح، ومراعاة حقوق الناس، ولا سيما الاهتمام بشؤون من هم بحاجة إلى مساعدة.

التربية هي التي تنشيء الانسان المضحّي والقادر على البذل، وتغرس فيه بذور المساواة وتدفعه إلى خدمة الناس على طريق التكامل الاجتماعي، وتحثه على بذل امكاناته الذاتية والتضحية براحته واوقاته من اجل رفاه وسعادة الآخرين.

التربية تمنح الحياة العائلية رونقاً وطراوة، وتجعل كل واحد من الزوجين شريكاً ومعيناً للآخر وتدفعهما إلى الاهتمام بالاولاد ليجعلا منهم مصدر فخر واعتزاز وسعادة لأنفسهم ومدعاة لخير الابناء ورقيّهم.

واخيراً فالتربية تمهد لاستغلال أوقات الفراغ واغناء الجوانب المجدبة في الحياة، وتحفّز الفرد على التمسك بالعدل في علاقاته مع الآخرين والتنازل عن بعض حرّياته في الحدود المتعارفة لصالح الآخرين، والسعي سوّية على طريق بناء المجتمع الانساني والمثالي.

٣ ـ **على الصعيد الاقتصادي:** للتربية قدرة على خلق الفرد المنتج والكفوء والقادر على رفع مستوى الانتاج في المجتمع وايصال البلد إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي، وذلك عن طريق تعليمه الفنون وتدريبه على اساليب الانتاج لتقليل تكاليف العمل إلى ادنى حد ممكن ورفع مستوى المنفعة الى اقصى غاية.

وبامكان التربية ان توفر للعاملين فرصاً للعمل عن طريق رفع مستوى الابداع والخلاقية فتخلق لديهم الاستعداد لاستثمار اوقات العمل والفراغ من اجل بلوغ مرحلة الاكتفاء الذاتي، والتقليل من تكاليف الحياة، والسعي جهد الامكان في سبيل رقي وتقدم بلدهم.

والتربية تعلّم الانسان سبل الاستثمار السليم لامكانات البر والبحر والجو على أفضل وجه ممكن، تعلّمه كيفية استغلال اقل رقعة من الارض للحصول على اكبر كمية من المنفعة، وكيف يمكن استخراج المعادن بادنى جهد ممكن

وتحويلها إلى مواد مفيدة؟، وكيف يمكن استثمار الجو لتحسين مستوى العيش وتطوير الصناعة وللحفاظ على سلامة الانسان وصحتّه؟ واخيراً كيف يمكن استثمار البحار واستغلال خيراتها على افضل صورة ممكنة؟

فخيرات كل بلد لا تقتصر على ما فيه من معادن وغابات ومناجم، بل تشمل أيضاً العقول المستنيرة لابناء ذلك البلد والقادرة على استغلال تلك الخيرات على افضل وجه، فنحن كثيراً ما نرى بلداناً يعيش اهلها في منتهى درجات التعاسة مع وفرة ما فيها من الخيرات والثروات، وما اكثر البدان التي يعيش ابناؤها في بحبوحة من الرفاه والنعيم مع افتقارها للموارد الاقتصادية الهامّة.

٤ ـ **على الصعيد الثقافي**: إذا اعتبرنا الثقافة هي مجموعة المعارف والعلوم والاخلاق والفنون والآداب والعادات والتقاليد وسواها من القيم الاجتماعية الأخرى، فلابد لنا من القول ان للتربية دوراً فاعلاً في الاستفادة من هذه الشؤون؛ فعن طريق التربية يمكن اداء ثلاث مهام كبيرة وهي:

أ ـ نقد الثقافة:

ومعنى هذا هو القدرة على تحليل ونقد الابعاد والجوانب الثقافية التي نراها سواء كانت خاصّة بمجتمعنا أم من الثقافة الوافدة علينا من المجتمعات الاخرى، لنتحقق من صحة أو سقم كل بعد من ابعادها.

ب ـ نقل الثقافة:

يمكن نقل القيم الثقافية الصحيحة إلى الجيل الجديد أو إلى فئات معيّنة من الناس عن طريق التربية، لنجعل منهم اناساً يتّصفون بنفس تلك القواعد والقيم

ويتقبّلون نفس تلك العادات والتقاليد، وهذا ما ينطبق أيضاً على الدلالات والصور الاجتماعية التي تنقل إلى الآخرين عن طريق التربية والتخطيط لنقلهم إلى حالة التمدن.

ج ـ الاثراء الثقافي:

والتربية قادرة أيضاً على تنضيج الثمار الثقافية واغناء التراث الثقافي، وذلك عن طريق هضم الثقافة الموروثة من الاجيال السالفة ووضعها على محك النقد والتقييم، واغنائها وتحويلها إلى الاجيال اللاحقة.

٥ ـ على الصعيد الاخلاقي والمعنوي: وتلعب التربية دوراً هامّاً في صياغة الشخصية أو الشخصيات المثالية والانسان القدوة. فهي قادرة من خلال انتهاج بعض الاساليب على صياغة الانسان الذي يتحلى بالفضائل ومكارم الاخلاق، ليكون نصيراً وفياً للانسانية، ومعيناً للمحرومين والضعفاء وعنصراً اجتماعياً صالحاً ومحبّاً للحق والشرف، ويتّسم بالكرامة والعزّة و... الخ.

وبامكان التربية ان تعلم الناس كيفية توثيق صلتهم بالله تعالى، وكيفية الخضوع له الانصياع لاحكامه ونيل رضاه وكيف يكونوا موضعاً لرعايته ورحمته.

التربية تخلق للمرء صديقاً صالحاً، وللزوج زوجاً رؤوفاً، وللابن أباً صالحاً أو أمّاً حنوناً، وللتلميذ معلماً حريصاً، وللدائرة موظفاً مخلصاً، وللوطن ابناً باراً، وللحكومة مسؤولاً صادقاً، وللجيش جندياً مخلصاً، وفي المجموع تخلق عباداً صالحين لله تعالى.

أهداف التربية

يرمي كل نظام تربوي عادة إلى تحقيق هدف أو عدّة أهداف يمكن تلخيصها بشكل عام تحت عنوان سعادة الانسان. لكننا لو اردنا التوغّل في اعماق الموضوع لقلنا بانّ هدف التربية هو ايجاد الانسان الحر، الطليق من كل قيود الذل والعبودية للآخرين، والمتحرر من اغلال الذنوب والانحرافات.

فنحن نستطيع من خلال التربية انشاء الشخصية المتميّزة بحسن السلوك، وبالفضائل الانسانية، والنضج العقلي والعاطفي، والقادرة على اثبات وجودها في ميدان الحياة الفردية والاجتماعية، والمستعدة لقبول الضوابط والشروط الاجتماعية المقبولة. ونحن قادرون ايضاً على صياغة شخصيّته بالشكل الذي يتيح له نيل القيم الانسانية الرفيعة.

ونحن قادرون من خلال التربية على تحويل الشخص الذي يتصف عند ولادته بالصفات الحيوانية إلى انسان يجسّد الدين وتعاليمه وتتجلّى فيه القدوة والمثال والقيم والقواعد السليمة، وليكون عاجلاً أم آجلاً نافعاً لنفسه ولأُسرته ويؤدي دوراً فعّالاً في الحياة الاجتماعية.

نحن نسعى من خلال التربية إلى ايجاد الفرد الذي تتميّز شخصيّته بالسمو والتكامل، والذي يحترم حياته وحقوق مجتمعه ويقر الحريات الاساسية، ويفهم المسائل المتعلّقة بالجانب الأساسي للسنن الحاكمة على العالم من تنازع وتكرار وتطابق.

واخيراً فان الفكرة الاساسية التي تهدف إليها التربية هي بناء الشخصية التي تجسّد القيم والمثل العليا التي نصبو إليها.

ولا شك ان بلوغ هذا الهدف ليس متاحاً أمام الجميع، الا ان من يهتم بأمـر التربية لابد له من ان يضع مثل هذا المنهج نصب عينيه ليسير على هديه.

على طريق اختيار الهدف

مما لا شك فيه ان الواجب يحتّم على المربين والوالدين تحديد الاهـداف قبل القيام بأي اجراء على الصعيد التربوي، ليكونوا على بيّنة الغاية التي يريدون للطفل ان يبلغها من خلال التربية. فالذي يسير بلا هدف لا يبلغ الغاية بل ويضيع حصيلة عمره ولايجني ثمرة مساعيه.

ومن الطبيعي ان الجهود يجب ان تنصب على تحديد اهداف قـيّمة ونـبيلة للتربية بحيث ينشأ الابناء على الحياة الكريمة ويتّسمون برفعة الفكـر وعـلو الهمّة. أما بشأن هذه الاهداف وكيف يتم اختيارها ومن اين؟ فالجواب هو انها تستقى من فلسفة الدين الذي يؤمنون به ويتمسّكون بقيمه.

فبالنسبة لنا نحن المؤمنين بالاسلام، تنبع اهدافنا من الكتاب والسنّة، كما اننا نستقي اهدافنا من مصادر أخرى، كالفطرة والعقل والتجارب. والدافع وراء هذا الاختيار هو اننا نعتبر مصدر الوحي اكثر صفاءً، والمعطيات المتأتّية منه أدعى للثقة، اضافة الى خلوّه من الخداع والرياء، ولايؤدي ـ بطبيعة الحال ـ إلى ضياع جهود الانسان.

ومن الضروري في هذا المجال ان تكون لدينا معرفة كافية بالاسلام وفهم لمبادئه، وان نحدد القدوات التي نقتفي اثرها مع فهم لفلسفتها وغـاياتها، وان تتكون لدينا رؤيـة عـن ابـعاده الاعـتقادية ومـواقـفه ازاء مـختلف القـضايا والحوادث.

مهام التربية:

أما ما هي مهام التربية؟ فالجواب هو ان مهام التربية وواجباتها تتلخص في ما يلي:

كشف الاستعدادات المتعلّقة بالميول والرغبات، تهذيب الغرائز، الاهتمام بالسلامة البدنية والروحية، وترسيخ السلوك السليم، وتعليم علاقات الصداقة والمحبّة، والتنبيه إلى اساليب الدفاع عن الجسم والروح، وجعل الانسان عضواً فاعلاً في الأسرة (لاشاعة المحبّة فيها، والدفاع عن الحق، وردّ الجميل لمن يقدّم خدمة).

ومن واجباتها أيضاً نشر القيم والمثل النبيلة، وتعليم مفاهيم الملكية والحقوق الفردية، تنمية روح الابداع والسرعة في اتخاذ المواقف، والتنبيه إلى مفاهيم العلة والمعلول لغرض حل التناقضات والمصاعب التي تكتنف الحياة الاجتماعية وتلفت نظر الانسان نحو الجميل واختيار الأفضل، وتحثه على استلهام ميراث الاسلاف وانتهاج نمط عقلي في هذا المجال، ورفض التعصب والابتعاد عن الاهواء الباطلة واجتناب الخوف غير المبرر واستنكار الخرافات كما تحول التربية دون انحطاط الاخلاق وتقوّي لدى الانسان قوّة التخيّل والتصور والحفظ وسرعة الانتقال، وتدفعه إلى تعلّم الحرف من اجل الحصول على العمل المناسب، والاقتصاد في الانفاق، والتبعية للوطن الاسلامي والدين، وصيانة الموارد الاقتصادية الوطنية، والتربية تعلّم الشخص مبادىء الديمقراطية والانتصار لها، وكيفية الاهتمام بالرفاه العام باعتباره من الواجبات الاساسية، وتدفع الانسان إلى المناداة بالاستقلال.

كما يتعلم الانسان من خلال التربية كيفية استغلال اوقات الفراغ، والترفيه في الاوقات المناسبة، ويتعرف منها على الاسلوب الصحيح في المطالعة واجتناب

النواقص الاخلاقية، وتقوية الابعاد المعنوية، والتمسك بالقيم النبيلة، اضافة إلى الشعور بالمسؤولية، وادراك اهمية السلام، والتضحية والايثار والتسامح، وكل شيء آخر في سبيل الله و... الخ.

التربية المتوازنة

ذكرنا سلفاً ان التربيه تهتم بابعاد الانسان الوجودية الثلاثة: البدن والعقل والروح.

فنحن نعلم ان النظرة الاسلامية تؤكّد على أهمية البدن وتعنى بنمو ومهارة الاعضاء ولاسيما الاعضاء الاساسية كالاذن والعين واليد والتي يفترض بها ان تعمل وتكتسب التجربة والمهارة اللازمة.

أمّا الاهتمام بتربية العقل فيُعزى إلى ان الانسان قبل ان يعمل بيده فهو يفكر بعقله، واذا جرت الفعاليات البدنية بمعزل عن العقل فلن تتمخّض عنها أيّة معطيات بل وينتج عنها في بعض الحالات اضرار كبيرة على البدن.

والاهتمام بتربية الروح سببه ان العقل غير قادر لوحده على ادارة الحياة وتمشية شؤون الانسان، والقدرة البدنية غير كافية بمفردها في هذا المجال بل لابد من وجود الرحمة والرأفة لكي يستطيع الانسان ايصال حمل الحياة الثقيل إلى الغاية المطلوبة. فالانسان بلا روح مهذّبة يعتبر حيواناً عاقلاً ليس إلاّ، ولا يتاح له ان يكون انساناً سوى من خلال تربية الروح وتهذيبها.

ومن الضروري في تربية هذه الابعاد الثلاثة مراعاة عامل التوازن والتعادل، اذ ينبغي ايجاد نوع من التوازن بين مختلف جوانب وجود الانسان، بحيث ينمو كل واحد منها بالشكل الصحيح وفي حدود تكامله.

فكما ان تربية البدن واجبة ومفيدة، فكذا تربية الروح والعقل والفكر واجبة وضرورية أيضاً، ويبدو من الضروري أيضاً تنمية الاستعدادات وتوفير الفرص لازدهار الكفاءات، وهذه كلها من ضرورات الحياة المتوازنة لكل انسان.

فما الذي نرمي إليه من خلال التربية؟ هل اننا نريد بناء انسان قوي من حيث الجسد إلاّ إنّه في منتهى درجات الضعف الروحي؟ وهل نبغي تربية شخص يتمتع بدرجات عقلية عالية، إلاّ أنّه بعيد عن العاطفة والتقوى؟

على طريق التربية:

تستلزم تربية الطفل الالتفات إلى الجوانب التالية:

١ ـ معرفة الانسان ذاتاً وطبيعة، وهل ان بناءه الفطري قائم على الخير أم على الشر أم على الحياد بين الخير والشر؟ وهل أنّه مذنب ومقصر أم بريء؟

٢ ـ معرفة صلة الانسان بالعالم والطبيعة، هل انها صلة بين الحاكم والمحكوم؟ أم انها صلة تداخل؟ وهل على الانسان ان يتّخذ موقف التسليم المحض في هذا العالم، ام أنه قادر على التدخل في شؤونه وظواهره واستغلالها لصالحه؟

٣ ـ دراسة القيم الاجتماعية ومعرفة الصحيح منها وتمييزه عن السقيم، وأي منها يستند على الماضي وأي منها يستند إلى الحاضر، وهل انها مستقاة من الافكار المعنوية أو المادية أو كليهما؟ وهل ان اسسها مستوحاة من الدين أو من العرف؟

٤ ـ معرفة الآراء والتصورات وفلسفة الحياة التي تحدد معناها ومنحاها، وما هو نوع العلاقة القائمة مع المجتمع، ومن هو الفرد الافضل حسب تصوّرها؟ هل ترى ان الحياة تقوم على التفاهم أو على الاختلاف والتفاوت والتمييز؟

٥ ـ معرفة الاساس الذي تقوم عليه الحياة، وهل هي قائمة على الكينونة أو على الصيرورة؟ وهل ينبغي الاذعان لما هو قائم، أو يجب السعي لتغيير الواقع؟ وما هي حدود التصرف والتغيير فيه، وماهي الجهود التي يستدعي الوضع بذلها ضمن هذا الاطار؟

فما دامت هذه الجوانب غامضة، وابعادها مجهولة فلن تتوفر الامكانية اللازمة لتربية الفرد واصلاحه، ولا يمكن حينذاك التمييز بين الصالح والطالح، وتربية الطفل تربية صحيحة.

مبادىء التربية:

يقوم كل نظام تربوي على مجموعة من المبادىء، وكلُ مربٍّ قادر على الانطلاق في عمله حينما يأخذ هذه المبادىء بنظر الاعتبار، وهذه المبادىء على درجة كبيرة من الكثرة والتنوّع، إلاّ اننا نشير في ما يلي إلى بعض منها:

مبدأ الكمال:

ومعناه الالتفات إلى ان العملية التربوية تستهدف الانطلاق بالفرد من الموضع الذي هو فيه إلى الموضع الذي ننشده، وانتشاله من حالة النقص وايصاله إلى مرحلة الكمال.

ومما لا شك فيه ان معنى ومفهوم الكمال والموضع المنشود يختلف باختلاف المذاهب والاديان. فنقطة الكمال في رأي الاسلام والسير النهائي إلى الله جل جلاله هي لقاء الرب ونيل رحمته، فيما تمثّل هذه النقطة في رأي المذاهب المادّية الوصول إلى ذروة المادّية.

مبدأ النشاط الحر:

تؤكد التربية على تفعيل حواس الفرد ودفعه الى استشعار الاشياء بذاته كأن يقوم بممارسة اللمس أو التذوق ذاتياً أو ان يفهم شخصياً حسن الاشياء أو قبحها ويواجه بذاته مشقّة الامور ولذّتها.

وغرضنا من كل هذا هو اعداده لدخول معترك الحياة الاجتماعية والفكرية، وليكتسب أيضاً المهارة في الامور المتعلّقة بالحياة الفردية والجماعية ولتتمرّس أيضاً يده وعينه وسائر اعضائه على مختلف النشاطات ليكون قادراً على الكسب والعمل.

مبدأ أصالة الفرد:

صحيح ان الانسان كائن اجتماعي من ناحية، إلاّ أنه من ناحية أخرى فرد مستقل وله فكره المثالي وخطه وهدفه الخاص؛ فله الحق في تنظيم برنامج حياته شخصياً، والتدخل في كل ما هو مشروع واتخاذ القرار المناسب بشأنه. ان القرارات الشخصية إذا اتخذت من غير مراعاة للجوانب الاجتماعية فمن المحتمل ان توجد للشخص نوعاً من الحرج والمشقّة، لكن الامر لا يصل إلى حد حرمان الفرد مما هو حق له.

مبدأ مراعاة الجانب الاجتماعي:

نحن لا نعترف باصالة المجتمع، كما اننا لا نقرّ أصالة الفرد، وتقوم الرؤية الاسلامية على أصالة الفرد الممزوجة بالوجهة الاجتماعية. وفي نفس الوقت لا

ننسى ان كفّة الجماعة اذا ما قورنت بكفة الفرد رجحت. وعلى هذا الاساس فكل عمل وقرار فردي يجب ان لا يكون مغايراً للتفكير الجماعي ظاهرياً. ومن هنا تطرح مشروعية السعي الفردي في مقابل الجماعة، والانسان مكلفٌ بمراعاة الحدود الاجتماعية في عمله.

مبدأ الحرّية:

اذن فنحن نرى مفهوم الحرّية اكثر شمولاً من مفهوم التحرر. فالمراد من الحرّية هو استثمار المجال المتاح امام الانسان لغرض الرفعة والسمو، لا أن يحط من قدر نفسه، ويهوي بها إلى منحدرات الفساد، بل يجنّبها كل تحلل ويحررها من كل طاغوت، ولا يسمح لها بتجاوز حدودها. وقولنا ان الشخص الفلاني حرّ فالمراد به هذا المعنى، فنحن نرمي من وراء الحرّية إلى تربية الفرد المتحرر من جميع الاهواء والوساوس الشيطانية؛ فلا يخنع للذل ولا يتاجر بنفسه ولا يستسلم لجميع الامور بلا قيد أو شرط.

ثنائية الجنس في التربية:

نحن نرى انّ التربية تشمل الجنسين معاً ومعنى هذا ان الرجل والمرأة يتلقّيان نمطاً واحداً من التربية في عموم الشؤون المتعلّقة بالحياة الانسانية، ويتلقيان نمطين متفاوتين فيما يتعلّق بانوثة أو ذكورة الانسان، وفي كل الاحوال يجب ان لا يؤدي الأمر إلى تربية الرجل تربية انثوية، وتربية المرأة على الطراز الرجالي.

ان الاساس في اقرار التفاوت في الشؤون التربوية هو ان المـرأة والرجـل، ومع اشتراكهما في صفة الانسانية، إلاّ ان لهما نمطين من الصفات المتفاوتة من الناحية البدنية، ولهما نوعين من حالات النمو، ولكل منهما مسار خاص فـي الواجبات الحياتية حالياً ومستقبلياً.

فلو اننا أخذنا بنظر الاعتبار بنائهما الجسمي لوجدنا تـفاوتاً بـين الرجـل والمرأة، فلكل منهما اعضاء وتركيب جسدي يعكس نوع الواجب الذي ينبغي له ممارسته. فالمرأة مثلاً لها وعاء يشمل على غذاء للطفل يمكنها بـواسـطته تغذيته من عصارة روحها، بينما لا يقدر الرجل على اداء هذه الوظيفة لافتقاره لمثل هذا الجهاز.

وكذلك إذا اخذنا ظروف نموّهما بنظر الاعتبار، لوجدنا تفاوتاً واضحاً في نمو البدن، وجوانب البلوغ، ونوع الهرمونات، وكيفية النضوج، والتي تتفاوت طبقاً لها رغبات واهواء كل منهما. كما اننا نعلم أنَّ تفاوتهما في النضوج يبعث على حصول تغييرات واعراض تؤثر على سلوك وطبائع الفرد، وتطبع مواقفه وتصرفاته بطابعها الخاص.

واخيراً إذا اخذنا بنظر الاعتبار المهام والوظائف التي يجب ان يؤدّيها كـل منهما في حياته المستقبلية لوجدنا انهما يختلفان في ما بـينهما فـي مـختلف الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافيه والدينية. ان تعليم فـن الامومة للرجل امر لا إشكال فيه، لكن المرأة في الحقيقة أقدر منه على اداء مثل هذا الدور، وهذا العمل من اختصاصها هي لا من اختصاص غيرها.

وعلى هذا الاساس فاننا نقول ان افضل انواع التربية هي تلك التي تراعـي

الجوانب المتعلّقة بـالخلقة والسـنّة ومـوازيـن النـضج والواجـبات الحـالية والمستقبلية، فتربّي الناشئة وفقاً لهذه الاسس. كما ان اولياء الامـر والمـربّين المسلمين يعيرون مثل هذه النقاط أهمية كبرى حين القيام بواجباتهم التربوية.

أُسلوب التربية:

لا يمكن بلوغ الغايات والاهداف التربوية المطلوبة من غير استخدام اسلوب صحيح ومدروس. فنحن ـ وخلال العملية التربوية ـ بحاجة إلى اتباع الاسلوب الذي يوجّهنا إلى السبيل وكيفية بلوغ الهدف، ويدلّنا على الوسائل والاسباب المادّية والمعنوية المفيدة في هذا المضمار.

ان العمل التربوي يتطلب منّا الاهتمام بنوعية السلوك الذي نتّبعه امام الطفل وما هو النمط الفكري الذي نطبّقه عليه، وما هي الاسس التي نقيم علاقتنا بـه وفقاً لها. ونحن بحاجة إلى الاسلوب الذي يعلّمنا الكيفية التي نستطيع من خلالها ايصال الطفل إلى الحالة المنشودة، وما هي الادوات والانماط والفنون الواجب اتّباعها، والخصائص المجدية في هذا السياق.

لا شك ان السبل كثيرة ومتنوّعة، والعقلاء من المربين واولياء الأمور يسعون إلى انتهاج النمط الذي يوصلهم إلى افضل النتائج في أقصى فترة ممكنة. ومن الواضح ان هذا الامر يستلزم وجود الوعي والتجربة، اذ لا يمكن الانطلاق على غير هدىً.

التعامل مع الطفل:

كيف نتعامل مع الطفل؟ بأي أسلوب وبأية طريقة؟ ذلك يتوقّف على نظرتنا

إليه وموقفنا منه ومكانته في انفسنا.

ان الانسان ـ في الحقيقة ـ موجود كريم وعزيز، وقد كرّمه الله وعزّزه ويتبيّن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[1]

وكثيراً ما تؤكد التعاليم الاسلامية على تكريم الأولاد واحترامهم، اذ جاء في الاحاديث الشريفة ان «**اكرموا اولادكم**»، كما وورد فيها ضرورة معاملتهم معاملة انسانية فهم امانة الله جل شأنه بيد الوالدين والمجتمع ولا يجوز الاعتداء عليهم وايذائهم والحاق الضرر بهم إلاّ في اطار الاحكام الإلهية.

ولهذا يجب ان يكون موقفنا مع الطفل موقفاً يتّسم بالاحترام، وان يكون نمط التعامل معه بنّاءً لا هدّاماً. وانه لمن دواعي الأسف ان يلجأ بعض أولياء الأمور الى انتهاج اسلوب خشن من اجل توجيه واصلاح الاولاد فيضربونهم ويعذبونهم ويوجّهون اليهم الكلام البذيء. ان هذا النمط الفكري والسلوكي منشؤه الافكار الجاهلية التي كانت تبيح تعذيب الطفل جسدياً لاثبات السيطرة عليه من خلال هذه الطريقة. ولكن لا تفوتنا الاشارة هنا إلى أنَّ الضرب والعنف لا يخلق عند الشخص حالة من التقوى ولا يثنيه عن عمل الا في ما ندر. فالطفل اذا ما واجه ضغطاً في حالةٍ ما فانّه يلجأ إلى اسلوب المراوغة والتملّص او قد يفكّر بالانتقام.

وعلى كل حال ينبغي لنا ان نعلم ان طريقة التعامل مع الطفل قد تكون بنّاءة أو قد تكون هدّامة، ولربما كانت درساً بليغاً له أو ربّما كانت لها انعكاسات تربوية سلبية.

---

(١) سورة الاسراء الآية ٧٠

الأثر التربوي

يولد كل انسان بميزات وخصائص محددة من حيث القابليات الذهنية والجسدية بعد ولادته، فالناس ليسوا متساويين في جميع هذه الجوانب، بل ان هذا التفاوت في الاستعداد ناتج عن الاحوال والظروف المؤثرة في بناء الجنين كالاجواء التربوية وكيفية التغذية وعوامل البيئة و ...الخ، وان الله تعالى لم يظلم احداً في كل هذه المجالات. والمهم في التربية أن يأخذ المربي هذه الحالات بنظر الاعتبار.

ولأنّه لم يُخلق الجميع وهم مؤهلين لكل عمل، ولا بوسع كل طفل ان يصيرفي المستقبل طبيباً أو مهندساً، ولا من الممكن تربية كل طفل ليصبح في المستقبل قائداً عسكرياً. ان تأثير التربية قطعي لا شك فيه، ويمكن بواسطتها ايجاد التغييرات المطلوبة عند الاشخاص، الا ان وجود الأرضية شرط لازم أيضاً.

بامكان البعض ان يكونوا صيادلة بارعين، بينما يتمتع البعض الآخر بالقدرة على التخطيط ووضع التصاميم، وغيرهم بالقدرة على التنظير، وطائفة أخرى بالقابلية في مجال الهندسة المعمارية، أو التجارة أو الخط. والمربي الناجح هو الذي يحدد نوع القابلية ويربّي الطفل على أساس ما يحظى به منها.

وسائل التربية:

نستخدم في التربية ادوات ووسائل قد يكون بعضها مادّي أو غير مادّي، فمن جملة الادوات المادية وسائل اللعب والورق والقلم والدفتر والسبورة

والطباشير والطعام والثياب والماء والهواء وغيرها من المواد المتعارفة، ومن الوسائل غير المادية في التربية يمكن الاشارة إلى التشجيع والاستحسان، والنصح، واللوم، والتنبيه، والتذكير، والانذار، والعقوبة، و ....الخ.

لا شك ان كل واحدة من هذه الادوات والوسائل تدخل بشكل أو بآخر في التربية، الا ان لبعضها تأثيرات فاعلة وبنّاءة ولبعضها الآخر نتائج هدّامة وضارّة. فنحن ـ على سبيل المثال ـ يتحتّم علينا ارغام الطفل على الانضباط والتقيّد، بمعنى ان يلتزم في سلوكه وتصرّفاته وان لا يتصرف كما يحلو له وكيف ما شاء. وفي هذا السياق يمكن الاستعانة بالادوات والوسائل المادّية وغير المادّية، ولكن لكل واحدة منها مقتضياتها وشروطها وضوابطها. فحرمان الطفل من شيءٍ ما قد يكون عقوبة من اجل ردعه وارجاعه إلى السلوك الصحيح إلاّ أن هذا الاسلوب ليس بنّاءً على الدوام.

وقد يعتبر حبسه وسيلة تربوية أيضاً إلاّ أن تأثيراتها السلبية اكثر من تأثيراتها الايجابية بكثير.

من الوسائل والاساليب المعهودة في التربية: اللعب، والرغبة، اطمئنان البال، الشعور بالأمن والمحبّة والعطف، والوضع الاقتصادي المناسب، والمحيط الاجتماعي والثقافي المستقر، الا ان لكل واحد من هذه النقاط موضعه المناسب للتطبيق.

وخلاصة القول ان كل واحد من هذه الاسس يمكن استخدامه في الظرف المناسب مع ضرورة وجود الوعي اللازم والوقت المناسب، وهذا مما يسهّل امر التربية ويساهم في الوصول إلى الهدف المنشود.

عناصر التربية

ان العملية التربوية لا تجري عادة في الفراغ وانما تجري في المحيط العائلي وخارجه وتخضع لتأثير مختلف الظروف والظواهر. فالانسان يتأثر ـ شاء ام أبى ـ بأبيه، وامه، ومعلمه، واصدقائه، وثقافة المجتمع، والسينما، والاذاعة، والتلفزيون، والمجلّات، وافراد المجتمع، والظروف السياسية والاقتصادية والعوامل الجوية والتغييرات المناخية و...الخ، والذي يبدو مهمّاً هنا هو اخضاع هذه العوامل لسيطرتنا ـ مهما امكن ـ من اجل ان تكون حصيلة التربية مثمرة، ونتائجها ايجابية.

ويبدو ان الاكثر اهميّة من بين جميع تلك العوامل هو:

أ ـ الأسرة:

نحن نرى ان الاسرة تمثل اهم عناصر التربية، وهي ـ أي الأسرة ـ لا تنحصر في اطار الأب والأم فحسب ـ مع ما لهما من مكانة ودور ـ بل تتعداهما إلى العم والعمّة، والخال والخالة والاخ والاخت، وكل الذين يعيشون تحت سقف واحد وتربطهم مع الطفل علاقة اكثر لهذا السبب او ذاك.

فمن المسائل المهمّة بالنسبة لكيان الاسرة هي شكل العلاقة القائمة بين الأب والأم وما هي طبيعة واجباتهما في مقابل بعضهما، ونوعية علاقتهما مع الطفل، وما هو واجب الأب في داخل البيت وما هو واجب الأم؟ ومجمل هذه المسائل تشكل جانباً من العناصر المؤثرة في التربية.

ومن الامور التي تلعب دوراً مصيرياً في التربية هو الوضع الثقافي والاقتصادي للاسرة، من قبيل نمط تفكير الوالدين ومستواهما العلمي والثقافي

ودرجة الالتزام التي يريان ضرورتها، اضف إلى ذلك مستوى دخل الاسرة وطريقتها في الانفاق، بما في ذلك موقفهما من بعضهما ومن الطفل.

وبخصوص الروابط الاسرية ينبغي ملاحظة نوعية العلاقة بين الأب والأم، وطبائعهما، واسلوبهما في الخصومة والنزاع، وطبيعة الاحاديث التي يتبادلانها، وما هي الحدود المتعارفة في التشجيع والعقوبة، بالاضافة إلى ملاحظة مدى استفادة الطفل من خيرات الحياة في ذلك البيت، مع ضرورة ملاحظة معتقدات الوالدين ودرجة الفساد والتحلل التي يحتمل وجودها في ذلك البيت، والطبائع السلوكية والاخلاقية السائدة فيه.

ان للاب دوراً مهماً في التربية، ودور الأم اكثر أهمية وذلك لأن فترة وجود الطفل في البيت وإلى جانب الأم تفوق مرّات عديدة فترة وجوده مع الأب، أضف إلى ان الطفل أكثر ميلاً ورغبة وألفة للأُم منه الى الأب، لأن الطفل يتغذى من عصارة روح امّه ويأنس لنبضات قلبها وينام على انفاسها.

اما السبب في شدّة تأثير الوالدين والاسرة في التربية فيُعزى الى:

أوّلاً: ان فترة وجود الطفل في البيت اكثر من فترة وجوده في خارجه.

ثانياً: ان الطفل مرتبط وراثياً بأبيه وامّه.

ثالثاً: ان الاسرة يمتزج فيها الغضب بالحنان، وتقترن المحبّة بالانضباط، وقد تكون محصّلة التربية في مثل هذه الحالة باهرة النتائج.

ب ـ البيئة:

المراد من البيئة في دراستنا هذه مجمل الظروف والعوامل المادية أو المعنوية التي تؤثر على الطفل، وقد تكون البيئة بشرية أو غير بشرية، والمراد من البيئة

البشرية: الأب والأم والمعلم وبقية الناس الذين يؤثّرون في الطفل بشكل أو بآخر ويطبعونه بطابعهم الثقافي والفكري. والمراد من البيئة غير الانسانية عامّة الظواهر والاشياء التي يتأثّر بها الانسان.

ما أكثر الأُسر التي تربّي اولادها في ظروف ايجابية فيتمخّض عن تلك التربية اشخاص صالحون، الا ان البيئة الخارجية السيّئة قد تكون عاملاً في فساد الاولاد أو بالعكس. وهذا ما يوجب عدم تجاهل دور المدرسة والمعلم والمدير والمستخدم، وخاصّة دور اصدقاء الطفل واترابه، لأنّها سبب في انتقال الكثير من الرذائل أوالفضائل الاخلاقية من غير وعي الاطفال وذويهم لهذا الأمر.

فالاسرة، والاقارب، والاصدقاء، والأتراب، والمشاركة في المحافل، وارتياد النوادي الرياضية ومنتديات الترفية، قد يكون لها دور هدّام او بنّاء، وعلى المربّي ان يدرك هذه الحقائق ويضعها في الحسبان في موضوع التربية.

ومن جهة اخرى فاننا واقعون تحت تأثير مختلف الظروف الثقافية والسياسية للمجتمع. فالكتب، والصحف، والمجلات، والملصقات، والصور تؤثر فينا بشكل كبير وتؤدي إلى صلاح أو فساد ابنائنا.

والسينما، والاذاعة، والتلفزيون، والآداب، والفنون لها بالغ التأثير على سلوكنا واخلاقنا وعاداتنا ونمط تفكيرنا، ودورها لا يستهان به في الافساد أو الاصلاح.

لا شك ان كلاً من المناخ، والظروف الجويّة، والغذاء، والدواء، والمواد الكيماوية، والضجيج، والاجواء الهادئة، والحرب، والسلام، والارهاب، والكبت، والاجواء الحرّة، والارتفاع والانخفاض، والموقع الجغرافي،

والظروف التاريخية تمثل عاملاً من العوامل المؤثّرة في بناء الفرد، وكذا الحال بالنسبة للمحيط الزراعي أو الصناعي، أو المحيط السياسي او الاقتصادي والاجتماعي.

شروط نجاح عناصر التربية:

ولكن ما هي الشروط والضوابط التي تساعد عناصر التربية، وخاصة العنصر الانساني على النجاح في تربية الأولاد؟

والجواب منحصر فيما يلي:

أوّلاً: الوعي؛ ومعناه ضرورة ادراك الاشخاص للجهة التي يتعاملون معها وهذا ما يحتم عليهم معرفة ماهية الصفات والخصائص الغريزية التي يتمتع بها الطفل، ونوعية الميول والاهواء التي تتجاذبه، وما يحكمها من ظروف وعوامل، اضافة إلى ضرورة ادراك طبيعة رغباته ومطاليبه، والاسس التي نبغي تربيته وفقاً لها، وطبيعة المذهب الفكري الذي أخذت عنه هذه الاسس، والابعاد المطلوبة في ذلك، والاهداف المنشودة من وراء هذه التربية، والسبل المتّبعة في هذا المجال، والادوات والفنون التي نكرّسها لتحقيق هذه الغاية، وما هي الاحداث التي يتعرّض لها؟ وكيف يمكن التحكّم بمثل هذه الاحداث والسيطرة عليها؟ و... الخ.

ثانياً: الايمان، أي الايمان بالفكر الذي نلتزم به ونريد لأولادنا ان يترعرعوا وفقاً لمبادئه.وهو الايمان الحقيقي الواضح والمتأتّي عن وعي وعلم واقرار باللسان، ومؤيّد بالعمل، وهو الايمان بالفعل ورد الفعل وتأثيز التاريخ فينا وتأثيرنا فيه، والاعتقاد بالحساب والثواب والعقاب، والاقرار بحق الطفل وماله

من حقوق في رقابنا، كما ان الايمان يعني الاقرار بتأثير الاحـداث والوقـائع و....الخ.

من البديهي ان وجود الوعي والايمان يقترن دوماً بالعمل، وبعبارة أخرى ان العمل نتاجٌ لوعي الفرد وايمانه، وخاصّة العمل الصحيح، والمدروس، والمفيد والذي يؤتى به لنيل رضا الله وينطوي على ثمار نافعة للفرد والمجتمع.

اننا نعتقد ان من يقدم على الزواج والتكاثر بدون الالتفات الى مـثل هـذه الحقائق انما يخسر نفسه ويضر مجتمعه ويزوده بـجيل ضـائع وعـابث، وانـه سيكون ـ لا شك ـ عرضة للمؤاخذة في ازاء مثل هذا التقصير والاهمال.

مسألة المحاكاة

ينبغي ان لا تغيب هذه النقطة عن الاذهان في موضوع التربية وهي ان الطفل مقلد ومطبوع على محاكاة كل ما يرى من سلوك وتصرفات على ما فيها من بخل وحرص وانفاق وسرقة وخوف وتحايل، وعلى هذا الاساس فان الذين يمثّلون بالنسبة للطفل القدوة والمثال ولاسيما اولئك الذين يـعتبرهم أبـطالاً، يؤثرون كثيراً على شخصّيته فيّتخذ من سلوكهم مثالاً يحتذي به سواءٌ كان قبيحاً أم جميلاً.

وانطلاقاً من هذه الرؤية يؤكد الاسلام على طهارة البيئة، ويدعو جميع الناس الذين يعيشون في المجتمع الاسلامي إلى ان تكون كل تصرفاتهم قائمة عـلى المعايير الاسلامية، وهذا التأكيد نابع من التكليف المفروض على جميع الناس من الوجهة الاخلاقية والشرعية من جهة، ولأجل ان يكـون سـلوكهم مـثالاً يحتذي به الآخرون من جهة اخرى.

قد يرى الطفل احياناً شيئاً لا يقدر على تقليده في ذلك الحين، ومع ذلك فلا يستساغ القيام بأي تصرف قبيح امام ناظريه، وذلك لأن ذهنه يلتقط ما يراه حوله من صور ومشاهد، ثم انه يضع هذه الصور والمشاهد في المراحل التالية من النضج موضع الدراسة والتحليل ثم يطبّقها عملياً.

التربية والاستثمار

التربية عبارة عن نوع من الاستثمار، وهذا الاستثمار يستلزم الايمان والوعي، وعلى الوالدين ان يشعرا بالمسؤولية في هذا المجال. فالذين لا يعتقدون بدورهم وواجباتهم الدينية يتساهلون في امر التربية ولا يعيرونها الاهتمام المطلوب.

الترية نوع من الاستثمار. فالاموال التي ننفقها اليوم في سبيل تربية الأولاد لا تذهب سدى لأنّها ستكون لها معطيات ثمينة. ولأجل الاطلاع على مدى قيمة هذا الاستثمار يكفي أن نلقي نظرة على شخصين متساويين في السن والكفاءة وقد حظي احدهما بالظروف التربوية الصحيحة فبلغ مرحلة الاثمار، اما الآخر فلم يتلق أي نوع من التربية الأصيلة لنرى مدى صلابة كل منهما سواء في الجوانب المادّية أم المعنوية.

الدول الصناعية اليوم تعتبر التربية نوعاً من الاستثمار، بل وحتّى تنظر إليها بصفتها نوعاً من الصناعة، فتضاعف معطيات العمل والانتاج عن طريق فتح الدورات الحرفية والصناعية، وعمل كهذا لا يعد مستهجناً وخاصّة عندما يضع في الحسبان الابعاد المعنوية والاخلاقية والعاطفية للانسان.

وتاسيساً على هذه الرؤية فان فهم الموضوع وامتلاك الوعي اللازم بشأن

الجوانب المتعلّقة بعلم النفس، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم وظائف الاعضاء، والدين، والاخلاق، ونمط الحياة، والقيم الانسانية العليا، يدخل بأجمعه في نطاق هذا الاستثمار ويجعله اكثر قيمة واجدى نفعاً.

التربية والزمن

ان العالم في تغيير متواصل، والحضارة وكل مظاهرها في اتّساع مستمر. لكن هذا التطوّر الذي ترك آثاراً ايجابية على الصعيد الماديّ، ما هو تأثيره على الصعيد المعنوي؟ والخوض في هذا الموضوع لا يعنينا أما الذي يعنينا منه فهو الالتفات إلى الحديث الوارد عن الامام عليعليه السلام والذي يقول فيه : «**لا تقسروا اولادكم على آدابكم فانّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم**».

والذي نريد قوله ان لكل زمن ظروفه ومقتضياته التي يجب ان تؤخذ في الحسبان وتوضع موضع التقييم لنرى الحالة والموقف الذي نحن فيه. ولنفهم كيف ينبغي لنا ان نعيش وكيف يجب ان نربّي ابناءنا وما هي الحِرف والمهن التي يجب تعليمها لهم؟

من البديهي ان كلامنا هذا لا يعني ان الناس إذا كانوا فاسدين ومتحللين في عصر من العصور فنحن أيضاً يجب ان نربّي ابناءنا على الفساد والتحلل، بل المراد من هذا الكلام هوعدم استبعاد الجوانب الايجابية والمتجذدة، أو الجوانب الماديّة من الحياة على اقل تقدير.

يجب ان تكون تربية الاولاد بالشكل الذي يجعلنا نستفيد من محاسن الادوار السابقة مع عدم اغفال معطيات العالم الجديد تماماً مثل ما نفعل نحن بشأن حياتنا الحالية، آخذين بنظر الاعتبار غدنا وحياتنا المستقبلية.

بداية التربية

يعتقد بعض المهتمّين بشؤون التربية انها يجب ان تبدأ من سن الثـالثة مـن العمر، بينما يرى آخرون وجوب بدايتها منذ مطلع الولادة.

وبطبيعة الحال ان كل واحد من هذين الفريقين يطرح رأيه وفقاً للنظرة التي يحملها عن موضوع التربية. ولكن اذا ما تقرر طرح المسألة على هذه الشاكلة وبصورة جادّة، فان من يطرح وجوب الشروع التربية مع بداية الولادة فانّه في الواقع قد اهمل مائتي عام من تربية الاجيال. فما أكثر الامور والابـعاد التـي يهملها الانسان في تربية الجيل فتبقى افرازاتها وتأثيراتها حتّى سـبعة أجـيال لاحقة (وهو ما يقارب مدّة ٢٠٠ سنة)، ولاشك ان التهاون في أمر التربية حالياً تتمخّض عنها تأثيرات تطال الاجيال اللاحقة.

وعلى كل الأحوال فان الذي يترتّب علينا نحن في امر التربية هو الاهتمام بامر الذرّية اعتباراً من مرحلة الزواج واختيار الزوجة ولحظة الجماع، وكذلك فانَّ فترة الحمل لها دور مصيري في التربية ولايجوز التهاون بشأنها، وهكـذا أيضاً في أيّام الولادة اذ انّها تستلزم اهتماماً ورعاية خاصّة.

ومن الطبيعي ان لكل مرحلة من مراحل العمر مـنهجاً خـاصاً فـي التـربيه والالتزام والآداب والنظم والاخلاق والفن والحرفة وغير ذلك: وعلى العـموم تجدر الاشارة هنا إلى انه كلّما بدأت التربية في وقت مبكّر ـ مع مراعاة قـدرة الاستيعاب والظروف المناسبة الاخرى ـ كانت اكثر نجاحاً.

التربية والفرص

تحصل احياناً في بعض المقاطع الزمنية فرص قد لا تتكرر إلاّ في القـليل

النادر، أضف إلى انها سريعة الانقضاء، ولهذا يجب انتهاز مثل هذه الفرص في سبيل بناء واصلاح الطفل. فعمر الانسان قصير، ولايمكن الوقوف لفترة زمنية طويلة بانتظار حصول تغيير يتيح القيام بمهمّة التربية.

نحن مطالبون بالتربّص لكل فرصة سانحة لكي نطرح الامور التربوية المفيدة كالمواقف التي يرتكب فيها الطفل خطأً امام الآخرين، او اثناء السفر حينما تعرض له اوضاع معيّنة، وفي مختلف شؤون الحياة وحالاتها وفي اقبالها وادبارها.

وهذا ما ذكره النبي صلى الله عليه وآله في قوله: **«ان لله في أيّام دهركم لنفحات الا فتعرّضوا لها»**.

وكذلك قال امير المؤمنين علي عليه السلام: **«الفرصة سريعة الفوت وبطيئة العود»**.

استمرارية التربية

لا تقتصر مدّة التربية على دور الطفولة، بل يجب ان تستمر وتتواصل مع دور الصبا حتّى آخر العمر. ولابد من الالتفات الى ان مسار الحياة الانسانية حاشد بالعقبات ومليء بموجبات الانحراف عن الطريق القويم، او كما قال احدهم في وصف هذه الحالة: ان دماغ الانسان كالحديقة اذا لم يتعاهدها بالرعاية تنمو فيها الادغال حتّى تغلب على كل ارضها.

التربية عمل غير متناه، إلاّ ان لبنته الاساسية توضع في المراحل الاولى من الحياة وفي فترة الطفولة بالتحديد. فمنذ تلك البرهة الزمنية يجب ان يوضع الاساس بالشكل الذي يربط عقل الانسان وفعله بالقوّة الازلية التي نرى اثارها

في ما حولنا. ان طول فترة الطفولة عند بني الانسان اطول منها عند اي حيوان آخر وهذا ما يسهّل في بلوغ الهدف.

ثمّة فارق بين الشخص الذي يترعرع على هدف واضح وبين من يترك ليشب تلقائياً من غير ان يلقى اي توجيه تربوي. فاهمال التربية والامعان في تجاهل اهمّيتها يجعل الانسان يتلوى حزناً على مستقبل الاجيال القادمة، والتقصير في هذا المجال يوجب معاقبة المقصرين. فلابد اذن من الاسراع في مثل هذه الجهود مع الحذر من الاخطاء وتجنّب حالة التسرّع والارتباك. فلا ينبغي القيام باي اجراء في هذا المجال قبل الدراسة والتفحّص الدقيق.

مصاعب التربية

ليس من السهولة ايصال الطفل الصغير القاصر والعاجز عن صيانة نفسه والدفاع عنها، إلى مرحلة النضج حيث يتمكن من الوقوف على قدميه واثبات وجوده، ولامن اليسير البلوغ بالجاهل الى درجة العالم بحيث يتمكن من ابداء رأيه بشأن المسائل والقضاياالدولية واعطاء الرأي الصائب فيها.

فما اكثر المسائل والمصاعب التي تحاصر الشخص التربوي وتسلبه القدرة على العمل والاقدام الصحيح. فنحن نعتقد ان العمل التربوي عملٌ شاق وعسير على الرغم مما تمتاز به الحياة من البساطة وما طرأ عليها من اسباب الراحة والسهولة.

فمن جملة الصعوبات التي تعاني منها التربية هي انعدام الامكانيات وعدم توفر الفرص، وعدم الاستعداد لمواجهة العوامل المضادّة والموانع القائمة،

والاجواء غير المناسبة، والانعكاسات التربوية السيّئة، والثقافة المتدنيّة، والآداب المغلوطة، والفن الرخيص، والصيغ الفكرية المستعارة، والامثلة المنطوية على صورة فاسدة.

الا ان ذكر هذه المعوّقات لا يعني القنوط والانسحاب من ميدان اداء المهام التربوية، بل يحتم علينا التحلي بمزيد من اليقظة لنكون قادرين على مواجهة هذه المصاعب.

ونشير في ختام المطاف إلى ان تحمل المشاق لازالة العوائق التربوية يعتبر بذاته عملاً كبيراً انطلاقاً من اهمية نفس العمل التربوي.

ان سعادة المجتمع لا تتوقف على ما لديه من خيرات ومصادر طبيعية وحصون وعساكر، وانما هي رهينة بما لديه من افراد نشأوا على الاخلاق وحسن التربية، وترعرعوا على الايمان والفضيلة وذلك لأنهم هم الذين يجلبون لشعبهم المجد والعظمة، وهم الذين يخلقون لمجتمعهم المكانة والعزّة.

دور الاسرة في تزكية المجتمع

المقدمة:

طُلب إليَّ ان أقدم مواضيع عن دور الاسرة في تـزكية المـجتمع، وحـقوق المرأة والرجل، والادوار التربوية للـوالديـن والعـوامـل المـثيرة للاخـتلاف والباعثة على اهتزاز اركان الاسـرة، وكـذلك بشأن اسـتقرار الحـياة العـائلية. والحقيقة انه لا تتيسّر الاحاطة بجميع جـوانب هـذه المسـائل بسـبب ضـيق المجال، فلا يسعنا والحال هذه سوى تقديم شرح وجيز لها.

الاسرة والمجتمع

تلعب الاسرة دوراً فاعلاً ومهماً في تزكية المجتمع وثبات اركانه وذلك لأن الزواج الشرعي يضع حدّاً لحالة التحلل والاستهتار الجنسي، ويـفرض عـلى الشبّان من الفتيان والفتيات الانصياع للحياة الاجتماعية في ضوء الاصـول و الضوابط المرعية، وهذا ما يؤدّي إلى توفير مستلزمات الحفاظ عـلى النسـل وفق القواعد المألوفة ودفعهم إلى التمسك بمبادىء التربية والاشراف العائلي، ويحول بطبيعة الحال دون ايجاد جيل ضائع لا يتولّى احد امر الاشراف عليه.

ان تكوين الاسرة يبعث على الاستقرار والسكينة في نفوس الشباب الذين تدعوهم غرائزهم إلى الاضطراب والقلق. وهذه السكينة تؤدي تلقائياً إلى قيام صلات انسانية وثيقة ومستقرة بعيداً عن عوامل الاختلاف والصراع. والاسرة تثمر مودّة حارّة وأُلفة حميمة ومحبّة خالصة منبثقة من الصميم، وعـلى رأس كل هذا الحب الذي يُسهم كثيراً في نقاء الوسط العائلي وابعاده عن الصراعات والمشاجرات.

المرأة والأسرة:

ينجم عن تشكيل الأسرة بروز مجموعة من الحقوق والواجبات التي يتعهد بموجبها كل من الزوج والزوجة ازاء بعضهما ويمسي كل منهما مسؤولاً عن اداء اعمال معيّنة واتباع سلوك خاص. وهذه الحقوق لها طرفان ويمكن دراستها من جانبين مختلفين؛ احداهما من حيث الزوجة في مقابل الزوج والاخرى من حيث الزوج في مقابل الزوجة.

اما ما يتعلق بالزوجة فصيانة عفافها وايمانها في مقابل ذاتها ومقابل زوجها، والاهتمام بجمال البيت وشموله بالعطف والحنان وادارة شؤونه والعناية بالاطفال، وايجاد السكينة والاستقرار لها وللزوج، والمحافظة على اموال البيت وممتلكاته، واخيراً تحفيز الزوج على العمل والنشاط وتوفير ملاذ له في معترك الحياة.

فالمرأة، وبالاضافة إلى كونها زوجة، فهي بمثابة الأم لزوجها أيضاً، تعينه في اوقات الشدّة وساعات اليأس.

فقد ورد في سيرة الامام علي عليه السلام انه حينما عمدت بعض الفئات إلى ابعاده عن الساحة السياسية آنذاك، وحينما كانت الآلام والهموم تحاصره من كل صوب، كان يقول:

لقد حان وقت الذهاب إلى فاطمة لأتحدّث معها واستشعر السكينة.

اما بخصوص واجبات الزوج في مقابل الزوجة فيمكن القول انها تتمثل في ادارة جميع شؤون الحياة العائلية واحترام الزوجة وتوفير مستلزماتها المادّية والروحية. وفي ضوء هذه الحقوق والواجبات يستطيع الزوجان الانطلاق في حياتهما المشتركة صوب التكميل والتكامل والاتجاه نحو تربية الذرّية الصالحة.

الأم والتربية

من الطبيعي ان الأب والأم مسؤولان عن اداء واجبهما في مجال تربية الجيل، وكلاهما مكلف بالنهوض باعباء العمل التربوي، الا اننا لو قارنّا بين واجب كل واحد منهما لرأينا ان دور الأم يفوق في اهميته دور الأب وذلك للاسباب التالية:

أ ـ الدور الوراثي

تؤثر الأم على الطفل في البعد الوارثي من حيث ان كل ما يتعلق بالخصائص الجسمية والنفسية لها ولأسلافها ينتقل إلى الطفل عن طريق الجينات وعن طريق قناتها. فجميع الصفات الجسمية من قبح وجمال، وطول وشكل وحتى الامراض المزمنة الموروثة عن الاسلاف قد تنتقل باجمعها الى الطفل. وهذه الصفات ترافق الطفل طوال مدّة الحمل وحتّى في دور الرضاعة، فيما ينتهي دور الأب من بعد انعقاد النطفة، ولايؤثر في ما بعد على اي من هذه الصفات.

ب ـ الدور البيئي

أما بشأن تأثير المحيط فالطفل يتأثر بمحيط الرحم وحجمه وضغطه وخواصّه الكيميائية، اما خارج الرحم فهو يتأثّر بسجايا الأم وخصالها ونمط تفكيرها وكل سلوكها.

فهو يأخذ عنها نظرته للحياة، ويستلهم منها ما تؤديه من دور حسن اوسيء مقلداً ايّاها ومعتبراً لها قدوة له في كل ثقافته.

ولو اننا قارنّا طول مدّة الصلات الوراثية للطفل وامّه مع الأب لرأيناها

تتفاوت تفاوتاً شاسعاً وحتّى انها غير خاضعة للمقارنة في بعض ابعادها. وكذا الحال في مجال المعايشة؛ فنحن نعلم ان الطفل يقضي مدّة مديدة في حجر امّه ثم انه يبقى الى جانبها حتّى سن الدراسة. اذن فمدّة ارتباطه بامّه اكثر بكثير من مدّة ارتباطه بأبيه.

دور الأب في التربية

للأب دور كبير في تربية الاولاد، وهو دور وراثي من جهة ويتحقق عن طريق النطفة، وله من جهة أخرى دور بيئي يتّخذ طابعه من خلال التربية. كما تقع على الأب مسؤولية تعلّم المسائل المتعلّقة بحياة الطفل حالياً ومستقبلياً، فهو الدليل على الانضباط والمؤشر على القانون، وهو مظهر العدل في الاسرة؛ اذا اخطأ الطفل فهو الذي يحاسبه ويتّخذ القرار بشأنه، اما الأم فطبعها العفو والحنان، فاذا ام اعرض الآخرون عن طفلها فهي التي تحنو عليه. فالأب مظهر الحزم، والأم مظهر العطف والحنان.

التربية والبناء

دور الأبوين على العموم هو دور البناء والتوجيه واداء حق الطفل؛ لأن شريعتنا ترى في التربية حقّاً للطفل، والأبوان مدينان له، ولابد من اداء هذا الدين وهذا التكليف على افضل ما يمكن. فمن جملة حقوق الطفل على ابويه: الاسم الجميل والتربية الحسنة وتعليمه القرآن، وتعليمه القراءة والكتابة، والرماية، والسباحة، وركوب الخيل و... الخ.

ثم اعداده وتأهيله لدخول الحياة الاجتماعية بصفته عبداً صالحاً لله.

واجب الابناء

ويقع على الاولاد في مقابل الأب والأم واجب الطاعة والانقياد في جميع الاوامر التي ليس فيها معصية لله، وعليهم ايضاً اعانتهما وان يبسطوا لهما جناح الذل والتواضع والرحمة وان يدعوا لهما حال الحياة وبعد الممات.

ان اهمال هذه الامور وعدم التقييد بهذه التعليمات يعني عقوق الوالديـن. ونشير أيضاً إلى ان التقصير بحق الابناء يؤدي بهم الى عقوق الآباء.



مشاكسة الاطفال

تقديم

المشاكسة ظاهرة شائعة بين الصغار والكبار على حد سواء، وتشير الاحصائيات المتوفرّة لدينا بأن ما يقارب ٧ ـ ٨٪ من الاطفال يتّصفون بنوع من المشاكسَة، ولاشك ان هذا الرقم يتفاوت بتفاوت المجتمعات ووفقاً لنوع التربية التي يتلقّاها الابناء من الآباء والتربويين وانطلاقاً من ظروف ذلك المجتمع ومقتضيات الحياة فيه.

يتباين فهم معنى هذه الكلمة وما يستشفُّ منها ومواقف الآباء والتربويين ازاءها، الا ان القاسم المشترك في عموم هذه القضيّة هو القلق الذي يساور اولياء الامور من وجود هذه الحالة لدى ابنائهم، وسعيهم الحثيث لازالتها بشكل أو بآخر.

وسنحاول نحن أيضاً ـ ضمن دراستنا لاساس هذه الحالة واسبابها ودوافعها ـ تقديم الحلول العملية ونكون بذلك قد تقدّمنا خطوة في سبيل تقويم سلوك الاطفال وازالة قلق الوالدين.

معنى المشاكسة

لابدّ من التحدّث اولاً عن معنى ومفهوم المشاكسة لغرض التعرف على حقيقة هذه الحالة، ونحن في هذا المجال نستمد معلوماتنا من الآراء المطروحة من قبل علماء النفس بعد الدراسات التي اجراها علماء النفس على شخصيات الافراد وصنّفوها إلى فئتين هما:

١ ـ فئة طبيعية، مستوية، وتتصف بالاتّزان العقلي والنفسي والعاطفي،

وتتمتع بسلامة بدنية تامّة.

٢ ـ فئة غير طبيعية وغير مستوية ولا تتّسم بمثل هذا الاتّزان، وسلوكها غير طبيعي. وهذه الفئة هي التي تثير قلق الوالدين والتربويين وتخلق لهم المصاعب. وموضوع بحثنا هذه الفئة من الاطفال.

من هو المشاكس؟!

طرحت آراء متباينة بشأن هذا السؤال يمكن استخلاص النتيجة التالية منها وهي:

ان المشاكس هو الشخص الذي يتمتّع بسلوك متباين غير طبيعي، غير سليم، صعب، وجموح، ويوصف الشخص عادة بالتصلب فلا يستطيع التوافق والانسجام مع افراد مجتمعه واعضاء اسرته. وتنم تصرّفاته عن تمرّده على التعليمات الاجتماعية وله آمال ومعتقدات لا تتلائم والقيم السائدة في المجتمع. فعمله اذن يفتقر للرؤية الواقعية، وتراه لا يأبه لصحّة او سقم سلوكه، وكثيراً ما يتشاجر مع الآخرين فلا تجدهم إلاّ وهم يشكون منه، وفي بعض الأوقات يتجنّب الجماعة ويؤثر العزلة. فهو ليس في وضع سليم بل يعيش وضعاً نفساً سقيماً.

معايير المشاكسة

طرحت بشأن معايير المشاكسة عدّة حالات لا يخلو كل صبي من واحدة منها أو أكثر، وهي الاساس المتداول في اصدار الاحكام بشأنه: نشير في مايلي

إلى بعضها:

١ ـ يوصف الشخص بانّه غير اجتماعي، والآخرون ينفرون من معاشرته.

٢ ـ اساءة الظن بالآخرين إلى درجة يتصور معها ان الجميع يضمر له الكراهية.

٣ ـ الخوف من كل شيء؛ من الناس ومن الحيوانات وغيرها.

٤ ـ الاصرار على السلوك الخاطىء حتّى انه يحتّم على اوليائه قبوله.

٥ ـ رد الفعل العنيف في مقابل امر تافه وبسيط.

٦ ـ رفض الحقائق والاحداث المحيطة به حتّى وان كان يلمسها صراحة.

٧ ـ معاناته من الشك والوسواس باحدى صوره واشكاله.

٨ ـ الكآبة والضجر الذي ربّما يقوده إلى الانطوائية.

٩ ـ محاولة خداع نفسه اوخداع الآخرين لاشباع غروره او بلوغ الهدف المنشود.

١٠ ـ تمهيد الأرضية للشجار والخصام وكأنه يتّخذ هذا الاسلوب كمهرب للتخلّص من حالة الاضطراب.

١١ ـ اخفاء مقاصده وراء عمل يتظاهر بادائه.

١٢ ـ كثرة الخصومة والشجار مع الآخرين، وشدّة الحسد لهم والتنافس معهم، ويلجأ في بعض الحالات إلى الصراع والتنازع معهم.

الصفات والحالات والخصائص

يتّصف الاشخاص المشاكسون بخصائص وحالات اذا اطلع عليها الوالدان والمشرفون التربويّون كانت لهم افضل موجّه ومعين؛ وهي كما يلي:ـ

١ ـ فقدان الاستقرار والسكينة ولا يمكنهم الجلوس في مكان واحد بهدوء وسكينة.

٢ ـ العجب وشدّة الاغترار بالنفس وحب الذات والانانية.

٣ ـ يفتقرون للنضج اللازم ولا يمكنهم النظر إلى الامور نظرة واقعية.

٤ ـ قلّما يظهر البعض منهم بين الجماعة، وتواجدهم بين الآخرين قليل.

٥ ـ التهرب من المدرسة والواجبات المدرسية ولا يبدون رغبة بالدراسة والتعلّم.

٦ ـ آمالهم وتوقعاتهم غير معقولة ولا اساس لها.

٧ ـ عدم القدرة على تخمين توقعات وآمال الآخرين المعقولة والمقبولة.

٨ ـ يتسم اغلبهم بشدّة العبوس حتّى وكأنهم لا يستطيعون الضحك بطلاقة وانشراح.

٩ ـ عدم القدرة على تغيير الاهداف والمنطلقات بل يتصرفون وفقاً لارادة مبيّتة.

١٠ ـ العجز عن التعامل مع الامور بصدق، وفي بعض الحالات ينتهجون سبل الحيلة والخداع.

١١ ـ واخيراً فانّهم يتصفون بنوع من السلوك يجعل التعامل معهم صعباً.

دراسة حالة المشاكسين

يستشف من دراسة سلوك وحالة المشاكسين بأنهم يرون انفسهم عاجزين امام الحقائق فيضطرون لخداع الآخرين واذا عجزوا عن ذلك يلجأون إلى خداع انفسهم جرياً وراء التحرر من الاضطراب الناجم عن التعارض مع

الآخرين والاخفاق في الحياة.

ان عدم النجاح في الحياة يدفع مثل هؤلاء الاشخاص إلى بغض الآخرين وهذا قد ينعكس عليهم على صورة العربدة والتحدّي. ومن صفاتهم الاخرى عدم الصبر على الحرمان. وهذا ما يحفزهم على الثورة على اوضاعهم وظروفهم السلبية.

يتصف هؤلاء الاشخاص بذكاء طبيعي تقريباً، بل ويمتاز بعضهم بدرجة عالية نسبياً من الذكاء، الاّ ان شدّة الحساسية وحدّة المزاج ليس بالامر الذي يرتبط دوماً بالذكاء. ثمّة عوامل متعددة تؤثر في ظهور هذه الحالة سنشير اليها من خلال دراستنا.

أُسس المشاكسة وجوانبها

أساس المشاكسة شعور الفرد بان ثمة خطر يهدد مصالحه، وانه يسير في اتجاه تتضارب فيه المصالح، وهذا الشعور يمهّد لديه السبيل لانتهاج اسلوب مشاكس.

وهذا الشعور وما يترتّب عليه يحتدم عادة حينما يكون الشخص بين الجماعة ومع الآخرين، الا ان هذا لا يمنع من ظهور الحالة عند الشخص حتّى وان كان بمفرده بسبب ما يعانيه من اضطرابات نفسية.

اذن فالمشاكسة تدور احياناً في داخل الذات ومعها وذلك حينما يكون مضطرب الداخل، وقد تكون احياناً أخرى مع الآخرين. وهذه هي الحالة التي تثير قلق الوالدين والتربويين.

يتخذ هذا السلوك طابعاً هجومياً تارة، أو طابع الكآبة والانزواء تارة اخرى أو قد يتجسد في بعض الحالات على صورة اساءة الظن بالآخرين وهذا يتوقّف على نوع معاناة الشخص ووضعه النفسي ونمط تربية وثقافة الاسرة والمجتمع.

ملاحظة مهمة

يبدو من الضروري الاشارة إلى هذه النقطة وهي وجوب التفريق بين المشاكسة الناجمة عن الاضطرابات البيئية والنفسية وبين ما يرتبط بالنضوج وكيفيّته.

ولو اردنا تبسيط المسألة لقلنا ان سلوك الاشخاص في مراحل العمر المختلفة لا يسير على وتيرة واحدة؛ فالسلوك الذي يبدو طبيعياً في سن معيّنة قد لا يبدو هكذا في سواها. والركض والقفز والضحك والبكاء تبدو اموراً مألوفة في الصغر، واذا لم يكن الطفل في تحرك ونشاط دائم فهو مريض وتجب معالجته، أمّا في السنوات اللاحقة فهذه الحالة تصبح غير طبيعية؛ والطفل حينما يبكي لأجل نيل ما يريد يبدو الامر طبيعياً لا اشكال فيه، ولكن من العجب ان يبكي الكبير لنفس ذلك الغرض.

والذي نريد قوله ان المشاكسة في ظروف معيّنة تعتبر جزءاً من مستلزمات النضوج ولاتستدعي القلق. والوجهة العلمية ترى ان الطفل بين سن ٢/٥ ـ ٥/٥ كثير الأذى والشغب وشديد المشاكسة، وقد يعزى سبب ذلك إلى استشعار الضغوط الداخلية المتأتية من الوعي وادراك الذات.

تعرف السنة السابعة من العمر بأنّها سن النظرة السلبية، وردود فعل الاطفال في هذه السن تتسم بالعناد والمشاكسة في ازاء الأوامر والنواهي، او ان سلوك الاطفال بين الثانية والثالثة من العمر يقترن عادة بكثير من الصعوبات، ولايقدرون على الانسجام مع الأب والأم، وهذه الظاهرة لا تستوجب الضجر والقلق لأنّها سحابة عابرة.

شموليتها

واستناداً إلى هذا فان امثال هذه المشاكسات موجودة عند كل العوائل، ولا يشعر الآباء والامّهات المجربون باي قلق ازاء وجود مثل هذه السلوكيّة عند اولادهم، بل ان ما يوجب القلق هو ان يبلغ الشخص مرحلة الرشد ويظل متشبّثاً بالتصرفات الصبيانية.

الغرض من هذا الكلام هو اننا اذا لاحظنا ان اطفالنا في البيت يكثرون من الأذى والضجيج فلا يجب ان نقلق من جرّاء ذلك. فالجري والقفز أو عدم الانصياع للاوامر والنواهي الصادرة من الابوين تبدو طبائع عادة لديهم، فهم لم يبلغوا درجة من النضج تمكنهم من امتلاك زمام امورهم والتحكم فيها، وهم إلى الآن غير قادرين على ان يجعلوا من تصرفاتهم تصرفات عقلائية أو هادئة. وبطبيعة الحال ان تصرّفاتهم التي تبدو وكأنها تصرفات مشاكسة لها حالات من الشدّة والضعف، الا أنه ليس ثمة طفل خال من العيب والنقص، وكل تصرفاته تتسم بالمنطقية والصحّة. والمهم في الموضوع ان تكون سلوكية وتصرفات الاطفال اثناء تدرّجهم نحو دور الصبا والشباب، مطبوعة بالتعقل وتميل نحو النضوج في كل شهر بل وفي كل اسبوع.

الأعراض والأضرار

يحمل السلوك المشاكس الذي يصدر عن الاطـفال بـين طـيّاته اعـراضاً واضراراً فردية واجتماعية.

أمّا الفردية منها فيمكن القول بشأنّها ان مثل هذا السلوك يـجعل الاطـفال يعيشون في حالة من العذاب تحرمهم من استشعار لذة الحياة كما ينبغي، فهم دائماً عرضة لسماع كلمات التقريع والملامة، وهذا ما يعكر عليهم صفو الحياة.

اما من حيث الجوانب الاجـتماعية فـيمكن القـول ان تـصرفاتهم تسـبب الاحراج وتوجد المشاكل للآخرين لأنهم يقوّضون صرح الهـدوء والسكـينة القائم في البيت والمدرسة.

فكثيراً ما يخلق امثال هؤلاء الاطفال المشاكل لذويهم في البيت ولمعلّميهم في المدرسة.

وبقية الاطفال والاتـراب يـذوقون مـنهم الأذى ويـحاولون التـهرب مـن مرافقتهم.

ان وجود الطفل المشاكس في البيت يكون في بعض الحالات سبباً لنشوب الشجار بين الوالدين. وبصورة عامّة يجب القول ان الطفل المشاكس يسـبب لوالديه وللمهتمين بشؤون تربيته العناء والأذى، وقد يستفزّهم احياناً ويدفعهم إلى معاقبته وضربه واهانته.

أسباب المشاكسة ودوافعها

ولكن ما هو السبب الذي يدفع الاطفال وحتّى الاحداث إلى انتهاج اسلوب

مشاكس؟ طرحت لهذا السؤال اجوبة متعددة يمكن العثور عليها في الكتب النفسية والتربوية، الا اننا نشير هنا إلى بعضها مع التزام جانب الايجاز:

١ ـ **الأسباب الوراثية**: يعتقد بعض المختصين ان المشاكسة وعدم استواء سلوك الاطفال له اسباب وراثية وجذوره منبثقة من طينة الشخص وفطرته حتّى انهم قالوا بانتقالها مع الصفات الوراثية التي تنتقل عبر الجينات. وقال بعض العلماء ان عدد الكروموسومات عند المشاكسين وفي مستوى أعلى عند المجرمين يبلغ ٤٧ كروموسوماً بزيادة كروموسوم واحد بالمقارنة مع الاشخاص المشابهين، الا ان التحقيقات اللاحقة اظهرت وجود كروموسوم اضافي في بعض الحالات عند الاشخاص الطبيعيين.

اما وجهة النظر الاسلامية فلا تعتقد بولادة اي انسان على الخبث وفساد الفطرة بل الجميع يولودون على طهارة الفطرة ونقاء الطينة، والبيئة هي التي تمهّد لهم أرضية الانحراف. هنالك ـ طبعاً ـ مشاكسة ولادية منشؤها وجود نقص عقلي يتمخّض عنه سلوك غير متّزن، ولاتعدو مثل هذه الحالة عن كونها حالة مرضية وموقفنا منها يختلف عن سواها من الحالات.

٢ ـ **أسباب بيئيّة**: يمكن الاشارة في هذا الصدد الى اسباب ودوافع كثيرة، وأهمّها: حالة البدن والنواقص المحتملة فيه، والوضع الصحّي، وتشوّش الرؤية والسمع أو أي اضطراب في المخ والجهاز العصبي و... الخ.

وكمثال على ذلك نذكر ان الاطفال الذين يعانون من نقص جسمي يتعرّضون لاستهزاء الآخرين مثلاً لا يتّصفون بوضع طبيعي، فهم يقفون في مقابل توبيخ الآخرين لهم واستهزاءهم بهم موقفاً يطلق عليه اسم المشاكسة. او أنّ شعورهم بالنقص من جرّاء وجود عاهة عضوية فيهم يدفعهم لاتخاذ مواقف

عدائية من اجل التغلّب على هذا الشعور ولاثارة قلق الآخرين.

٣ ـ اسباب نفسية: ويمكن الاشارة في هذا السياق إلى حالات كثيرة نوجز اكثرها أهمية على الصورة التالية:

أ ـ الاختلال العقلي، فهو يؤدي تلقائياً إلى ظهور سلوك غير عقلي.

ب ـ وجود ضغوط داخلية تؤدي إلى حصول موجبات عدم التحمل وبعدها المشاكسة.

ج ـ الرغبة في الاستقلال تولّد لدى الانسان ميلاً نحو العصيان.

د ـ الاضرار التي تصيب الجانب النفسي تشكّل عاملاً من عوامل المشاكسة.

هـ العادات العصبية الدالّة على وجود سلوك مشاكس من قبيل قضم الأظافر ومص الأصابع و ...الخ.

و ـ كثرة الصراعات والتناقضات في الحياة اليومية، خاصة عندما يشعر الطفل بافتقاره لوسائل الدفاع.

ز ـ وجود آمالٍ وأمان لا يقنع الطفل دون تحقيقها.

٤ ـ اسباب عاطفية: ويمكن الاشارة في هذا المجال أيضاً إلى الكثير من العلل والاسباب نوجز بعضها بالشكل التالي:

أ ـ الشعور بالحرمان من محبّة الوالدين.

ب ـ الشعور بالاخفاق في بلوغ الهدف المنشود.

ج ـ ظهور مشاكل عاطفية ناتجة عن ولادة طفل جديد في العائلة فيتولد لديه شعور بأن القادم الجديد قد سلبه محبة والديه.

د ـ الشعور بفقدان كرامته عند افراد الجماعة التي يحبّها.

هـ- الشعور بفراغ الحياة وخلوّها من اية قيمة، أو ثـقل الالتـزام المـفروض عليه من قبل ابويه.

و - الشعور بوجود شحّة في المأكل والملبس مع التصوّر بان احد الوالدين لوكان موجوداً لما تعرض هو لمثل هذه الشحّة.

ز - الشعور بعدم الأمن العاطفي بسبب كثرة الشجار والخصام بين الوالدين.

ح - عدم اشباع حاجاته الاساسية: كالمحبّة، وحب الاستطلاع، والحصول على مكانة بين الجماعة.

ط - واخيراً وجود مشاعر غامضة ومـجهولة فـي مـجال سـد الحـاجات الاساسية.

٥ - اسباب اخلاقية: وقد تكون المشاكسـة نـاتجة احـياناً عـن سـقوط الاخلاق وانحطاطها، فالشخص الذي يعيش في وضع تهدّمت فيه كل الاسس الاخلاقية لا يلتزم بأيّة تعاليم او قيم.

فمثل هؤلاء الاشخاص الذين عاشوا حياة عابثة بعيدة عن القيود والالتزام يجدون انفسهم في مختلف الظروف احراراً وبلا أيـة مسـؤولية، لا يـلتزمون عهداً ولايحترمون أية تعاليم، ولاشك انـهم قـد عـاشوا بـين جـماعة مـثلهم يتّسمون بعدم المبالاة وعدم النضوج.

ومن المحتمل انهم لا يعرفون شيئاً من التعاليم الاخلاقية ولم يكن ثمّة من يقدّم لهم مثل هذه المعلومات.

والمحصلة النهائية لكل هذه الاوضاع هي السقوط والانحطاط الاخلاقي.

٦ - اسباب تربوية: وقد يُعزى السلوك المشاكس في بعض الحالات إلى الوضع التربوي للاسرة. فالابوان اللذان لديهما طـفل واحـد، أو حـتّى الآبـاء

والامّهات الذين يتهاونون في أمر تربية اولادهم، فانّهم يمهّدون الأرضية لابنائهم لينشأوا على الدلال والميوعة.

كثيراً ما يؤدي الافراط بالمحبّة والدلال الزائد عن الحد وتجاهل بعض الامور الحساسة إلى ان ينشأ الابناء على العناد والخيلاء وعدم إعارة أي اهتمام للاعراف والتعاليم. الا ان نفس الوالدين والمهتمّين بالشؤون التربوية سيذوقون لاحقاً جني أيديهم ويضطرون إلى مواجهة الاطفال بالضرب والقسوة لكنهم سيدركون حينها ان الوقت قد فات، وان ارجاع الطفل إلى حالته الطبيعة صعب ان لم يكن مستحيلاً.

٧ ـ اسباب اقتصادية: الفقر والحرمان من الأسباب المباشرة للمشاكسة. فالاطفال الذين يعيشون الحرمان ويشاهدون ما يتنعّم به الآخرون يضمرون في انفسهم قلقاً شديداً حتّى وان لم يصرّحوا بهواجسهم علانية.

هنالك فارق بين طفلين يطلبان الفاكهة والحلوى والدراجة، فتتوفر لأحدهما بمحض الاشارة، ولايحصل الآخر منها على أي نصيب. ومن الطبيعي ان لايتصف طفل كهذا بسلوك طبيعي، والأدهى من ذلك ان يتلّقى اللوم أو العقاب من أبيه أو امّه جزاء له على مثل هذه الرغبات.

٨ ـ اسباب اجتماعية: ويجدر بنا في هذا الصدد ذكر الكثير من الامور، إلاّ اننا سنكتفي منها بما يلي:

أ ـ الرفض من قبل افراد المجتمع وبالشكل الذي يجد فيه نفسه مضطراً لانتهاج سلوك خاص يرغم به الآخرين على طاعته والانقياد له.

ب ـ كثرة الاختلاف والشجار والنزاع بين افراد العائلة.

ج ـ حصول الفراق أو الطلاق بين الزوجين مما يجعل الطفل كالكرة التي تتقاذفها الايدي.

د ـ الشعور بعدم الأمان الناجم عن وجود تصرفات عـائلية مـثيرة للـريبة بسبب الفقر أو سوء الاخلاق.

هـ الانعكاسات التربوية السيئة التي يتعلمها الطفل مـن المـدرسة أو مـن البيت.

و ـ الاعراض عن الطفل من قبل الأب أو الأم مما يضطروه لانتهاج اسلوب يستقطب به الاهتمام من جديد.

ز ـ نشوب النزاعات والخلافات بين الأخ والأخت أو بقية افراد العائلة، مما قد يشعر الطفل بالمظلومية اثناء تحكيم الوالدين في الموضوع.

ح ـ وجود مشكلة اجتماعية يشعر الطفل على اثرها بانعدام الملاذ الآمن.

ط ـ وقد يكون نمط التربية أيضاً من الاسـباب الاجـتماعية لنشـوء هـذه الحالة.

٩ ـ اسباب ثقافية: يؤثر نوع الثقافة والاخلاق الثقافية المستمدّة من الدين أو الاجتماع على تعيين المسار الذي يسلكه ابناء ذلك المجتمع، وتـؤثر فـي تحديد سلوكهم مؤثّرات جمّة من قبيل الانماط الفكرية، والعـادات والتـقاليد والقيم، والفلسفات والآداب، والامثال والحكم، ونوعية الوشائج الاجتماعية. وغيرها.

فالمجتمعات ذات المستويات الثقافية العالية يكون الناس فيها على طراز معيّن، بينما هم على طراز آخـر فـي المـجتمعات ذات المسـتويات الثـقافية المتدنّية.

ينتقل الانسجام الثقافي عادة إلى الافراد عن طـريق الاجـهزة والوسـائل الثقافية كالكتاب والسينما، والاذاعة، والتلفزيون، والصحف، والمسرح. ومن

الطبيعي ان الطفل الذي يتلقى هذه المؤثرات الثقافية يعكسها في ما بعد الى ذلك المجتمع بنفس الصورة.

فالمؤثرات الثقافية الايجابية أو السلبية لها تأثير كبير في هذا المجال.

١٠ ـ **اسباب انضباطية وسياسية**: يمكن الحديث في هذا الموضوع عن الظروف والامكانيات السائدة في البيت والمدرسة أو المجتمع. فنحن نلاحظ الطفل قد يذهب إلى المدرسة وبعد عودته إلى البيت يأتي جالباً معه انواعاً من الشر والتخريب والمشاكسة.

أو على العكس يذهب الطفل إلى المدرسة ويقوم فيها باعمال مؤذية للمعلم أو المسؤولين.

هذا التصرف ينم عن ان الطفل يعيش في جو من الضغط والكبت بحيث لا يجرؤ على الكلام وحينما يتاح له الدخول في جو مفتوح وهادىء يظهر منه كل هذا الشر والأذى. أي أن نوع الانضباط والسياسة المتّبعة في البيت أو في المدرسة والمجتمع تمهّد لظهور طابع المشاكسة في سلوك الطفل، وإذا كانت هنالك رغبةً في تقويم سلوكه فيجب ان تبدأ من هناك.

العوامل المساعدة على ترسيخ المشاكسة

ثمة عوامل كثيرة تساعد على ترسيخ السلوك المشاكس، فتحوّل الحالة من سيء إلى اسوأ، ونحن مضطرون هنا إلى تتبّع ثلاثة مراكز، وحالة شخصية واحدة لها تأثيرها الواضح في هذا المجال وهي:

١ ـ **الأسرة**: سبق لنا وان ذكرنا عدّة عوامل بشأن العائلة، لكن الحقيقة هي ان ثمّة اسباب وعوامل أخرى جديرة بالذكر، هي:

أ ـ الانضباط الناقص الذي قد يمارس من قبل الأبوين، كالصياح والعقوبة.
ب ـ فرض لونين من الانضباط من قبل الابوين أو من قبل الاخ والأخت.
ج ـ فقدان الاستقرار العاطفي في العائلة.
د ـ ارتكاب الجرائم والمفاسد من قبل الأبوين أو الاشخاص الذين لديهم سلطة على الطفل.
هـ وجود الفقر من غير تعويد الطفل على عزّة النفس بحيث لا يطيق تحمل حالة العوز هذه.

و ـ سوء الظن والكلمات البذيئة المتبادلة بين الأبوين وسخطهما على الحياة وتصرفاتهما السيّئة التي تعتبر مثالاً سيئاً للابناء.

٢ ـ المدرسة: هنالك عدّة مسائل يمكن ذكرها بشأن المدربة منها:
ان الطفل يصبح في البيئة المدرسية عرضة لتغيرات اساسية وكثيرة؛ فيؤثر فيه المنهج الدراسي والكتاب والاهداف والاساليب المتبّعة في التعليم والتربية.
فالانضباط التام أو الناقص الذي يمارسه المعلم مع الطفل له تأثير فاعل في رسم وتحديد سلوكه وقد ذكرنا ان الطفل قد يكون في بداية الامر شخصاً متّزناً الا انّه قد يتحول في مابعد إلى شخص مشاكس نتيجة لسوء التربية التي يتلقّاها في المدرسة.

والضغط الذي يمارسه عليه المعلم يدفعه إلى اظهار أذاه في موضع أُخرى يجد فيها الفرصة المتاحة، وقد يكون لكثرة الواجبات المدرسية والمؤاخذات والانتقادات نفس تلك التأثيرات عليه.

٣ ـ المجتمع: ومن المحتمل ان تؤدي كل من الاسرة والمدرسة واجبها بشكل صحيح، الا ان الانعكاسات السيئة الشائعة في المجتمع هي التي تؤدي بالطفل الى انتهاج سلوك مشاكس.

لا شك ان تأثير المجتمع على صغار السن لا يماثل تأثيره على الكبار. فالطفل اثناء حياته الاجتماعية في البيت وخارجه يلاحظ سلوك اصدقائه واقاربه وسائر الناس ويتعلم منهم الكثير متأثراً بكل ما يرى من مشاهد الحياة.

فهو حينما يلاحظ في المجتمع ظلماً وتمييزاً من قبل البقال والعطار والخباز، ويشاهد معالم القهر والظلم من الشرطي مثلاً، فذلك يكفي ليكون له درساً بليغاً في المشاكسة.

٤ ـ الحالة الشخصية والظروف الذاتية: واخيراً فلابد من دراسة الحالة الشخصية والظروف الذاتية لمثل هؤلاء الناس. فقد تكون دوافع السلوك الفلاني قائمة في نفس الشخص، الا ان رؤية احد المشاهد تحفّزه على الفعل والحركة. وبعبارة أُخرى ان داخله ينطوي على مخزن من البارود ورؤيته لمشهد ما بمثابة اشعال الفتيل أو قدح الصاعق لتفجيره.

والطفل الذي تعرّض في فترة حياته القصيرة لكثير من الانكسارات والهزائم وأصيب بالامراض والآلام المختلفة، ومُني بفقد اعزائه واحبّائه ولم يذق في حياته طعم النجاح والسعادة لا يحظى في حياته بوضع طبيعي أو يتمتّع بحياة طبيعية. أي أن الظروف والاوضاع التي يواجهها تؤثر كثيراً في مدى انسجام واستقامة سلوكه أو مشاكسته.

ضرورة الاصلاح وامكانيّته

ان الظروف والاوضاع التي ذكرناها عن حالة ونفسية مثل هؤلاء الاطفال، اضافة إلى الاضرار التي قد تلحق به وبالآخرين تحدو بنا إلى الاسراع باصلاح هذا السلوك أو معالجته.

الضرورة الأُخرى التي تجدر الاشارة اليها في هذا المضمار هي ان مشاكسات الطفولة قد تنسحب ـ في حالة اهمال معالجتها ـ إلى مرحلة الكبر وقد تكون سبباً لظهور مشاكل نفسية خاصّة، وهذا بحد ذاته ضرر آخر يلحق بالشخص. والضرورة الثالثة هي ان حياة الانسان الاجتماعية تحتم عليه انتهاج مسار صحيح وسليم، فهو اذن مطالب بالتكييف ومطابقة سلوكه مع السلوك الجماعي. ولا أمل لنا في هذا الميدان إلاّ من خلال المبادرة إلى الاصلاح.

ان امكان العلاج موجود لدى جميع الاشخاص انطلاقاً من كونها ـ اي المشاكسة ـ حالة مرضية أو اختلال فكري ونفسي، والتشخيص الدقيق لها، وفي الظرف المناسب يساعد على العلاج، لأن اكثر انواعها قابل للعلاج، والكثير من المعوقات الحائلة دون نضوج الانسان وتكامله قابلة للزوال.

على الرغم من جميع المشاكل السلوكية التي يواجهها الآبوان بخصوص الأبناء الا انه يمكن القول انها قابلة للزوال شريطة اتخاذ الاجراء السليم في الوقت المناسب بشأنها، وان يتنبه لها الوالدان والتربويّون في وقتها.

الاجراءات اللازمة

ولكن ما هي الاجراءات التي يجب ان تتّخذ في سبيل اصلاحها؟ فالجواب هو:

وجوب السعي على اقل تقدير من اجل تحقيق قدر من المعرفة عن الطفل وسلوكه المشاكس كخطوة اولى لتحديد مدى مشاكسته واتّجاهاته العدوانية.

يعتبر التشخيص الدقيق بمثابة نصف العلاج وتكمن فائدته في اتاحة الفرصة لاتّخاذ الموقف اللازم تجاه ذلك الشخص في الوقت المناسب. تجدر

الاشارة هنا الى ان معرفة سبب أو اسباب هذه الحالة من الوجهة العلمية أو الطبّية أو حتّى في رأي علم النفس، يعتبر امراً شاقّاً إلى حدّ ما، إلاّ أنّه يبقى السبيل الأوحد وهو الخطوة الاكثر أهمية على طريق اتخاذ الموقف الصحيح.اما تلك الخطوات فهي:

١ ـ **دراسة ملف حياته:** والمراد هو القيام بدراسة عن حياة الطفل منذ مرحلة تكوّن الجنين حتّى هذا الوقت؛ وذلك لأن الظروف البيئية التي نشأ فيها تؤثر في تشييد أو هدم صرح بنائه الاخلاقي.

من الامور المهمّة والتي يجب الالتفات اليها في هذا الصدد هي فترة حياته في الرحم، نوعية طعام ودواء واستراحة الأم، الامراض الوراثية المزمنة المحتملة، كيفية الولادة، طبيعة تغذيته بعد الولادة وهل اعتمد فيها على حليب الأم أو على الحليب الجاف، الامراض التي تعرّض لها في فترة الطفولة، مدى التزام الأسرة وثقافتها، حالة الوالدين من حيث الغنى والفقر، مقدار الوقت الذي يخصصه الابوان للطفل، مدى العطف والحنان والحرّية الممنوحة له.

فهذه الحالة والحالات الاخرى ذات الطابع التخصصي والتي يهتم بدراستها علم النفس، تجب معرفتها بأجمعها وادخالها في الحسابات التربوية، ومن الطبيعي ان الوالدين والتربويين قادرون على جمع المعلومات اللازمة استناداً إلى ذاكرتهم ومن خلال مطالعة الوثائق المتوفّرة من قبيل ورقة التأمين والوصفات الطبيّة والاستفسار من الاشخاص الذين لهم معرفة شخصية به ولهذه المعلومات اهمية فائقة في تحديد ما ينبغي عمله.

٢ ـ **الفحوصات الطبية:** وفي الحالات التي تبلغ فيها الروح العدوانية والمشاكسة حداً لا يطاق، يمكن حينذاك مراجعة الطبيب والاستعانة بخبرته،

إذ يمكن العثور على جذور بعض الاضطرابات السلوكية في التركيب العضوي للبدن كالامراض العصبية، افرازات الغدد، الاضطرابات المعدية، الآلام الغامضة في البدن، وجود الديدان عند الاطفال وغيرها، وتعتبر من الاعراض الممّهدة لظهور المشاكسة، ولابد من القيام ببعض الاجراءات في هذا المجال.

٣ ـ **الفحوصات النفسية والذهنية**: كما ويجب أيضاً في بعض الحالات الحصول على معلومات نفسية وعقلية وذهنية عن الطفل، وذلك لأن الاطفال المشاكسين يمكن تقسيمهم من حيث الذكاء الى فئتين:

أ ـ فئة سالبة تتمتع بمستوىً ذهني متدن ولكنها قادرة على التطابق مع البيئة والمجتمع. فقد يكون القصور العقلي أو الذهني هو السبب الكامن وراء السلوكية المشاكسة عند هذه الفئة.

ب ـ فئة موجبة، وتضم الاطفال الذين يتمتّعون بدرجة عالية من الذكاء. وامثال هؤلاء لا يستطيعون تحمل جهل اوليائهم أو قلّة عقولهم مما يدفعهم للتمرد والمشاكسة.

نعرف الكثير من الاطفال شديدي الذكاء ولكنهم غير قادرين على تحمل المعلم الذي لا يتمتع بذكاء شديد حتّى في المدرسة او في قاعة الدرس، ولهذا نجدهم يخلقون له المشاكل اثناء الدرس.

وخلاصة القول هي ان للدراسات النفسية دور فاعل في هذا المجال، وتكشف بواطن الاضطرابات السلوكية والاخلاقية عند الطفل ومنشأها والموقف الواجب اتّخاذه ازاءها.

الأسس العامّة في العلاج

ثمّة اسس واساليب لمعالجة الطفل المشاكس واصلاح سلوكه ويتلخّص أهمها فيما يلي:

١ ـ الالتفات إلى المتغييرات التي حصلت في البيت أو المدرسة ومهّدت لظهور المشاكسة.

٢ ـ السعي لازالة العلّة لا المعلول لغرض اقتلاع جذور تلك العلّة والحيلولة دون ظهور معلولات أخرى.

٣ ـ العمل على رفع الموانع التي تعرقل النضوج وتمنع من اتّخاذ القرارات، لكي يكون للاجراءات صورة قطعية.

٤ ـ تحقيق ما يمكن من الأماني والرغبات والآمال ضمن الحدود المتاحة والمشروعة للمحافظة على الاتّزان في السلوك.

٥ ـ حثّ الطفل على التفكير والارادة واتّخاذ القرار لتتكون لديه القدرة على تطبيع سلوكه.

٦ ـ مراعاة الأصول الشرعية والاخلاقية والعادات والتقاليد بحيث لا يكون هناك توجّه نحو تحقيق الرغبات بأي ثمن كان.

٧ ـ المحاذرة من عدم الوقوع في خطأ جديد عند المعالجة فيؤدّي إلى تفاقم الحالة.

أساليب الاصلاح

ثمة اساليب على طريق الاصلاح والعلاج نشير إلى بعضها فيما يلي:

ومن الضروري بطبيعة الحال ان نلاحظ الاسلوب الأمثل لبلوغ الهدف، والطريقة المناسبة لكل حالة لتحقيق موجبات السكينة والاستقرار.

١ ـ **التوجيهات**: ان تنمية روح الانسجام وحسن الاستجابة في نفس الطفل تستدعي منا تعليمه نمط الانسجام وتوجيهه إلى كيفية الحياة الصحيحة ليكون قادراً على التمييز بين الخطأ والصواب. اذن فمن الواجب ان يكون موضع توجيه ليكون عارفاً بكيفية ابداء سلوكه، وما هو العمل الواجب عليه اداؤه في كل وقت، وكيف يتصرف لكيلا يبتعد عن هدفه ومساره.

لا شك ان نصائح الوالدين والتربويين مجدية في هذا السياق الى حدٍّ ما، ولابد من ارشاد الطفل بين الفينة والاخرى نحو مطابقة رغباته بشكل أو آخر مع الوضع القائم. ان عدم اتّخاذ الموقف الصحيح تجاهه، وتجاهل ارشاده وتوجيهه يجعله يتصور ان سلوكه صحيحاً ممّا يشجّعه على الاستمرار فيه.

٢ ـ **التفاهم والاحترام**: وهذا أيضاً مبدأ مهم وبنّاء وهو ان نجعل علاقتنا مع الطفل وارشاده وتوجيهه قائمةً على الاحترام والتفاهم، فمن الضروري ان نفتح قلوبنا له بالمحبّة ونبيّن له اننا نكنَّ له المحبّة ونريد له الخير.

يجب ان يدرك الطفل اننا نحبّه، وان يكون واثقاً من محبتنا واحترامنا له، وانّنا نسعى جهد الامكان لتوفير احتياجاته بكل ارتياح.

٣ ـ **حثّه على التفكير**: تستدعي الضرورة احياناً توفير الفرصة التي تتيح ان يفكّر بشكل صحيح ليتأمل في مدى سلامة او سقم سلوكه.

فمن المعروف ان ضمير الطفل اذا كان سليماً ولم يمسّه التحريف بامكانه اصدار الحكم الدقيق بشأن صحّة سلوكه وتبيان الصواب من الخطأ، والحق من الباطل.

وهذا ما يفرض على الوالدين اعانته في مثل هذا الظـرف وارشـاده نـحو التفكير والتأمّل في صحّة سلوكه لاجل اتّخاذ مواقف اكثر عقلانية.

٤ ـ **توسيع العلاقات**: احد الطرق المفيدة في اصلاح السلوك المشاكس هو تشجيع الطفل على توسيع علاقاته والتوجّه اكثر نحو الالعاب الجماعية؛ لأن هذا يؤدي ضمن علاقات اللـعب والصـداقـة الى تـهذيب سـلوكه واصـلاح تصرّفاته. فعلاقات الصداقة واللعب تفلح عادة في دفع الاطـفال الى اصـلاح سلوكهم او اعادة النظر فيه.

٥ ـ **اعطاء المسؤولية**: وقد يكون اعطاء المسـؤولية او التكـليف بـواجب معيّن سبباً لتهذيب السلوك، وبعبارة أخرى يصيرون اكثر تعقّلاً. من المـمكن مثلاً ان نعهد إيه بملاحظة طفل رضيع شريطة مراقبته باستمرار لكيلا يسبب له اي أذىً. او اذاكانت ثمّة مزرعة او حديقة او مزهرية او دجاج، فأوكلوا إليه أمر سقيها او اطعام الدجاج و ... الخ. فاذا ما لقي منكم التشجيع في مثل هذه الحالة على حسن عمله، فذلك يؤثر تأثيراً بناءً في تسوية سلوكه.

٦ ـ **توفير فرص الانشغال والتسلية**: يمكن القول بلا مؤاربـة ان البـطالة سبب اساسي في حصول المشاكل. فالاطفال ما داموا بلا عمل يشغلهم، فـهم يتعمّدون خلق المشاكل للابوين وللتربويين.

فمن الأفضل اذن السعي لإلهائه بامر من الامور، وايجاد عمل يتسلّى بـه، ولتكن الاوامر والنواهي مصحوبة على الدوام بالتشجيع، اطلبوا إليه ان يـلعب ويركض ويقفز ويضحك وان يكون مرحاً مسرواً و... الخ.

٧ ـ **تمهيد الاجواء لخلق الثقة بالنفس**: يجب السعي لتمهيد الاجواء لخلق الثقة بنفسه بحيث يصبح قادراً على الوقوف على قـدميه مسـتعيناً بـالرعاية

الرّبانية. فمن البديهي ان جانباً كبيراً من الاطفال وحتّى الكبار تعزى مشاكستهم الى اتكالهم عى الآخرين، وحينما يرون حاجاتهم لا تلبّى، وانهم غير قادرين على الوقوف على اقدامهم، يلجأون إلى المشاكسة والعناد.

اذن فلابد ان يبنى الاساس في صياغة شخصية الطفل على مبدأ رئيسي وهو الاتكال على الله دون سواه وان لا يرجو احداً غيره. فاذاكان يتوقع من الوالدين أمراً ولم يُلبّى فلا يعني هذا وجوب اللجوء الى التصرفات المشينة والمشاكسة.

٨ ـ التدريب على اسلوب السيطرة على الذات: من الضروري بين الحين والآخر توفير الظروف التي يستطيع فيها الطفل ان يبرز ذاته وان يقوم بحل مسائله بنفسه وان يلقى منّا التشجيع على كل مرحلة يجتازها.

يجب مثلاً توفير الظرف الذي يستطيع فيه كبت غضبه حتّى اذا عرض له موقف يثير الاستياء والغضب يصبح قادراً على كظم سوْرة الغضب، ويمكن تجسيد هذه الفكرة من خلال تذكيره فوراً عند الشعور بالغضب بانه في وضع غير طبيعي.

٩ ـ العلاج الطبّي: تحتم علينا بعض حالات المشاكسة عند الطفل ان نعرضه على الطبيب ليجري عليه الفحوصات اللازمة والعثور على جذورها عند الامكان. فقد ذكرنا ان السلوك غير السوي عند الطفل قد يكون ناجماً عن اسباب عضوية ويمكن اعادته الى وضعه الطبيعي بواسطة استخدام الدواء، أو يمكن في بعض الحالات معالجة الديدان لتخليص الطفل من حالة القلق والتوتّر، اوالتقليل من شدّة بعض الحالات كالكآبة، والانطواء وغير ذلك.

١٠ ـ العلاج النفسي: وهو أيضاً اسلوب آخر يتبنّاه الاطباء النفسانيون او

المتخصصون بالنفس والاعصاب، وعلماء التحليل النفسي، وبه يكشفون النقاب ـ وبطرق مختلفة ـ عن اسباب المشاكسة عند الطفل ويقومون بمعالجته. يمكن اكتشاف مصدر معاناة الطفل من خلال نوع الحركات والالعاب التي يؤدّيها وكذلك عن طريق دراسة سلوكه وعاداته، وهذا ما يسهّل امر معالجته فيما بعد حتّى عن طريق الالعاب الخاصّة.

١١ ـ **تغيير البيئة**: ويمكن في كثير من الحالات تطبيع سلوك الطفل المشاكس وذلك عن طريق تغيير البيئة والذي يعني بالنتيجة تغيير الظروف والاجواء. فالطفل الذي عرف في مدرسته وصفّه بأنّه تلميذ مشاغب ومشاكس وسيّء السلوك، أو الذي وصف في محلّته بهذه الأوصاف لا يمكن اصلاحه الا عن طريق تغيير البيئة. فالطفل يرى وكأن من حقّه مواصلة سلوكه المشاكس بسبب مايدور حوله من شهرة بأنّه مشاكس. وفي مثل هذا الوضع، اذا نقلناه من مدرسة الى أخرى ولا سيما اذا قوبل في البيئة الجديدة بالاحترام والتفاهم، نراه يغدو قادراً على استعادة شخصيته الأصلية.

١٢ ـ **توفير الظروف المناسبة**: واخيراً فالمسألة المهمة هي ان نوفّر له حياة مناسبة في الحدود الممكنة مستهدفين من ذلك تهيئة الاجواء لنضوجه. فالطفل بحاجة الى حياة طبيعية ومتّزنة وبعيدة عن الاضطراب والفشل والحرمان وسوء السلوك وسوء التربية، وان يتوفّر له الظرف الذي يتيح له افراغ عقده والتنفيس عمّا يجول في نفسه بين الحين والآخر ليحظى بالسكينة والاستقرار. وهو أيضاً بحاجة للعيش في بيئة يستطيع فيها الوقوف على قدميه ويكون مالكاً لزمام نفسه وسلوكه بعيداً عن موجبات القلق، وتقع على الوالدين والتربويين مهمة توفير مثل هذه الاجواء.

المحاذير اللازمة

تجدر بنا الاشارة هنا إلى انه يترتّب على الوالدين والتربويين الامتناع عن بعض الممارسات في سبيل صياغة شخصية الطفل ومن جملتها:

١ ـ **الافراط في اللوم**: اذا كان الطفل مشاكساً، اذن فهو ـ وفق الأسس التي ذكرناها ـ مريض؛ ونحن نعلم ان المريض لا يعالج باللوم، وانما تنحصر طرق العلاج بالنصيحة والارشاد وغيرها من سبل المعالجة والاصلاح، وخاصّة اذا علمنا ان الافراط في اللوم يؤجج فيه العناد وسوء السلوك (الافراط في الملامة يشب نيران اللجاج).

٢ ـ **القسوة في العقوبة**: وهذا أيضاً اسلوب اسوء من سابقه، ينتهجه بعض الوالدين والتربويين. فقد تبيّن من خلال الدراسات بان العقوبة لا تقضي على المشاكسة، بل تزيد الطفل عناداً وتمرّداً وتضاعف من شدّة حساسيّته.

ما هو الموقف الذي يتّخذه الطفل امام الضغوط الناجمة عن العقوبة؟ فهو اما ان يستسلم وينقاد، وهو في مثل هذه الحالة انقياد طابعه الذلّة والمسكنة، واما ان يشحذ فيه روح المشاكسة والعناد، وهذه مأساة أخرى تُضاف الى سابقتها. وقد يضطر بعض الاطفال أيضاً للهرب من البيت وهذا أيضاً خطر اشد وادهى.

وعلى كل حال يجب ان لا ننسى ان الشخص المشاكس يعتبر ـ ضمن بعض الاعتبارات ـ مريضاً، والمريض لا تتم معالجته بالضرب.

التمهيد لايجاد سلوك سوي

هذه تذكرة للوالدين والتربويين الذين يأخذون على عاتقهم تـربية الجـيل

الجديد وهي ان التربية يجب ان يتم بناؤها منذ البداية على الاسس الصحيحة لكيلا يقعوا في ما بعد في مصاعب جديدة.

يجب مُنذ الأيام الاولى المبادرة لتعليم الاصول والمبادىء والقيم، ولاسيما في السنوات الست الاولى من العمر لانها تحظى بأهمية بـالغة، أضـف إلى ان وضع الاطفال في هذه الفترة يستلزم المزيد من العـطف والحـنان لأن جـذور الكثير من المشاكسات تعزى الى فقدان العاطفة. ولهذا يجب ان يقوم اسـاس التربية على شعور الطفل بالتعلّق الشديد بامّه وابيه.

ومن البديهي ان للقدوات دور اساسي في بناء شخصية الطـفل وزيـادة أو تقليل حالة المشاكسة لديه. ويجب ان لا ننسى في جميع الاحوال ان شخصية الطفل حينما تأخذ قالبها في دور الطفولة، تبقى على تلك الشاكلة إلى نـهاية العمر.

التعاون بين البيت والمدرسة

لابد من تظافر جهود العديد من الاشخاص لغرض تربية الطفل وايصاله الى مرحلة النضوج، اذ يجب على جميع المعنيين بمصيره ان يتأهبوا لأمر تـربيته وبناء شخصيته. فالطفل الذي يتردد على دور الأصدقاء والأقارب يتأثر بـهم وهذا ما يفرض عليهم اتباع الأساليب الصحيحة معه، والطفل الذي يذهب إلى المدرسة يتأثر بشكل طبيعي بالمعلم والزملاء والمنهاج الدراسي، وعلى هـذا الأساس فهم مكلّفون بمراعاة الاسس والاساليب التربوية الصحيحة.

وخلاصة القول هي ان الاسرة لا تستطيع تحويل السـلوك المشـاكس إلى سلوك سوي بمفردها وبدون التعاون والتنسيق مع ادراة المدرسة، كـما انـه لا

يمكن لأي معلم او مدرسة الإطلاع بهذه المهمّة بنجاح مالم يكن هنالك تعاون مع الوالدين والتربويين وبعض الجهات المختصة: كالعيادات النفسية، والمعالجين النفسانيين، وعلماء الدين والباحثين الاجتماعيين و ... الخ، بالاضافة الى الكتب والمقالات والقصص والاساس في جميع هذه الاجراءات هو اعداد صورة دقيقة عن الطفل المشاكس وتقديم المعلومات الصحيحة بشأنه.

تم بعون الله .

نحن وجنوح الاطفال

تقديم

يتناول البحث الذي بين يديك مسألة تربوية ذات اهمية بالغة وجديرة باهتمام جميع المعلمين والتربويين والآباء والامّهات كونها تنسجم مع تطلّعاتهم التربوية. فاغلب الأسر والمؤسسات تتعرض لمثلها وهي مسألة جنوح وانحراف سلوك الاطفال والاحداث، والمواقف الواجب اتّخاذها بازائهم تشخيصاً وعلاجاً.

وقبل الدخول في صلب الموضوع اود الاشارة هنا الى وجود نمطين من التفكير منذ العهود الغابرة ولحد الآن بشأن استمرار المجتمع البشري وديمومته؛ وهما:

أولاً: رأي يذهب الى ان الحياة قائمة على مبدأ تنازع البقاء وينتهي الصراع والتناحر فيها بانتخاب الأصلح.

ثانياً: رأي آخر يؤكد على ان الحياة قائمة على مبدأ التعاون وعلى اساس الحاجة وما يتمّخض عنها من تعاقد واتفاق على حل المسائل وازالة المشاكل.

الرأي الاول ينظر الى الحرب والصراع نظرة خاصّة ويعتبرهما ظاهرتين دائمتين باقيتين ببقاء بني البشر، والنظام الكوني يأكل فيه القوى الضعيف، والقوي يأكله الأقوى، وليس ثمّة نظام خارج اطار مبدأ القوّة، كما ان العقول غير قادرة على لجم وكبح جماح الاضطرابات.

وعلى هذا الاساس فالفساد امر طبيعي ووجوده يشكل جزءاً من نظام الحياة.

أمّا الرأي الثاني فيرى ان الناس قد اجتمعوا من اجل قضاء حاجاتهم ووضعوا للحياة قواعداً وتعاقدات؛ أي أن صرح الحياة قائم على التعاقد وعلى مبادىء منبثقة من الدين ومن ارادة الناس أو العلم وآراء العلماء. فالنظام يقوم وفقاً لهذه المبادىء على الرغم من احتمال وجود واستمرار حالة الاستغلال والاستثمار في بعض المقاطع الزمنية.

ان التزام افراد المجتمع بالعقود والمواثيق المتعارفة في مجتمعهم يفرز حصيلة يطلق عليها علماء الاجتماع اسم النظام الاجتماعي، ومجموعة المكوّنات التي تؤلف نسقاً متجانساً من السُلوكيات تسمى نظاماً.

وعلى هذا فالنظام هو مجموعة التعاقدات أو الصيغ التي ينتهجها المجتمع من اجل مواصلة الحياة الاجتماعية بصورة سامية.

منشأ النظم الاجتماعية

يمكن تحديد نشأة النظم الاجتماعية وحصرها في ثلاثة محاور رئيسية هي:

١ ـ نظام التعاقد الذي ينبثق عن ارادة الناس او نمط التفكير الاجتماعي.

٢ ـ النظام المنبثق عن اتجاه فكري؛ علمي أو فلسفي.

٣ ـ النظام الروحي القائم على التوجّه الديني والاحكام الالهية.

ويمكن العثور في بقاع مختلفة من العالم على مناهج ملفّقة من هذه الاتجهات الثلاثة، وهي تشبه إلى حد ما الجمع بين مواصفات (الجمل والبقرة والنمر). وهو ما نرى مظاهره واضحة في بعض الدول والمجتمعات.

السلوك السوي والسلوك غير السوي

نتطرق في بحثنا هذا الى الحديث عن كيفية ايجاد نوع من التواؤم والانسجام بين الناس وبين احد هذه النظم، حيث يعتقد علماء الاجتماع ان الشخص الذي ينسجم مع نظام معين شخص سوي وطبيعي، اما الذي لا يتواءم مع نظامٍ ما فهو شخص غير سوي ومشاكس ومنحرف.

ويبدو من المناسب أيضا ان نبيّن هنا مفهوم الانسجام والمشاكسة من وجهتي نظر علم الاجتماع وعلم النفس لنتمكن من تحديد المسار والمنهج الذي نسلكه وننتهجه.

يرى علماء الاجتماع ان كلمة المشاكسة تطلق على الشخص الذي لا يقدر أو لا يرغب بمسايرة اكثرية افراد المجتمع أو الانسجام معهم بدون الخوض في كون الاكثرية على الحقّ أم على الباطل.

يقف المشاكسون عادة عند قطبي الحياة الاجتماعية والتجمّعات الانسانية؛ فعند احد القطبين تقف فئة الاشخاص الذين يمارسون الجريمة والفساد، وهذا ما يجعلهم في معزل عن سائر افراد المجتمع، وعند القطب الآخر تقف فئة المفكّرين الذين يعاكسون المسير المغلوط للمجتمع، أو يوجّهونه نحو التحرك والثورة لتغيير الاوضاع السيئة.

ترى نظرية العقد الاجتماعي ان جميع الاشخاص الذين ينهضون بعبء الثورات ويزيحون الأنظمة الفاسدة أو يقفون بوجه المسار الطبيعي للمجتمع، تُطلق عليهم صفة المشاكسة والتمرّد مع انهم لا يعتبرون من وجهة نظر الاخلاق الدينية اشخاصاً منحرفين.

أمّا علماء النفس فيطلقون كلمة المشاكس على الشخص الذي لا يتمتّع بالتوازن النفسي. او كما يعبّر عنه علميّاً بفقدان الوحدة بين ابعاد الشخصية؛ فلسانه ينطق بما لا يقرّه القلب، وتمارس اليد فعلاً يستنكره الفكر والعقل. واستناداً الى هذه الرؤية فكل مجتمع يغُصُّ بالاشخاص المشاكسين.

نواجه في مجتمعنا الكثير من الناس الذين يفعلون خلاف ما يقولون وحين مكاشفته بالنقد يدّعي بانّه قد غلبه الحياء وهذا معناه انعدام الوحدة بين الفكر والعمل. ومن الطبيعي ان يُدعى مثل هذا الشخص بأنّه شخص غير طبيعي ويوصف في بعض الحالات بالانحراف والجنوح.

المسألة المطروحة على بساط البحث

المسألة التي تستأثر بالاهتمام هنا هي وجود اطفال واحداث ينعدم لديهم الانساجام بين ابعاد شخصية كل واحد منهم من الناحية السلوكية مع الاتجاهات الفكرية والنفسية، فيمكن القول ان شخصياتهم مصابة بالاختلال والانحراف.

تنتشر مثل هذه الانحرافات في سائر المجتمعات وبصور شتّى. فقد تكون احياناً على شكل تجاهل لتعاليم الاسرة، وقد تكون احياناً أُخرى على هيئة اعراض عن القيم والقوانين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وتتجسد مظاهرها في ما نلاحظه ونسمع به من جرائم واعتداءات وعمليات سطو ونهب. فما تتسم به بعض فئات المجتع لا يقتصر في حقيقة الأمر على جماعة دون أُخرى، كما لا يختص بمجموعة من الناس دون غيرهم.

دلالات الانحراف

ولكن ما هو السبب في انتشار الانحراف في مجتمع ما؟ وماهي دلالاتـه؟ يمكن تقديم عدة أجوبة على هذا السؤال، الا ان اكثرها أهمية هو:

١ ـ **ضعف الرقابة:** أي أن انتشار هذه الظاهرة دليل على ضـعف الرقـابة الخارجية (كالشرطة واجهزة الرقابة الاجتماعية)، وفيه أيضاً دلالة على ضعف الوازع الداخلي (كالايمان بالمبدأ والمعاد والحساب والكتاب)، أي أن نـظام الرقابة والردع الذي تنتهجه المدرسة والبيت ضعيف وقاصر عن اداء الغرض.

٢ ـ **ضعف البناء الفكري والعقائدي:** وتدل هذه الظاهرة أيضاً على اهتزاز البناء الفكري والعقائدي لابناء المجتمع، وانعدام اجهزة الارشاد والتوجيه فيه او ان دورها ضعيف وغير نافذ في جوانب الحياة.

٣ ـ **عدم سيادة القانون:** ومن الدلالات الاخرى لوجود الانحراف هي ان القانون الاجتماعي لا يحظى بالقداسة اللازمة أو أنّه غير قابل للتطبيق، او عدم معرفة الناس بالقواعد والقوانين الموجودة في مجتمعهم لأن كل واحـد مـنهم مشغول بنفسه ومنطوٍ على ذاته.

٤ ـ **انعدام التوازن النفسي:** وقد تكون هذه الحـالة فـي بـعض الأحـيان انعكاساً لفقدان التوازن النفسي وتَنُمّ عن عدم سـيطرة النـاس عـلى قـواهـم النفسية بسبب التحلل والحـرّية المـطلقة أو بـالعكس بسـبب شـدّة الضـغط والكبت.

ومهما تكن نتائج الجنوح والأسباب الكامنة وراء هـذه الظـاهرة، وبـغض النظر عن مدى تفشيّها في ذلك المجتمع فانها تؤدي في نهاية الأمر الى عـدم تطبيق الامور كما ينبغي. وهذا ما يؤدي بدوره الى اختلال عمل المـؤسسات

والدوائر، وضياع الاصول والضوابط الادارية، واستشراء الجرائم، والتحلل الفكري، والانحطاط الاجتماعي. أو أنها ـ كما يشير علماء النفس ـ لا ينجم عنها سوى كثرة المشاكل وزيادة المعضلات الاجتماعية. ذكرنا سلفاً ان الانحراف او الجنوح لايقتصر على مكان دون آخر، ولايختص بزمن او بلدٍ دون سواه. بل هو مسألة عالمية ذات طابع شمولي، تتفاوت شدّة وضعفاً بتفاوت الثقافات والمجتمعات المختلفة، ويشمل الصغار والكبار على حد سواء.

الاعمار المعروضة على بساط البحث

لا بأس بالحديث أولاً عن مراحل العمر المختلفة؛ اذ ان الانسان يمر من مطلع ولادته وحتّى سنوات الشيخوخة بمراحل مختلفة لكلٍ منها سماتها الخاصّة.

١ ـ المرحلة التي يُعبر عنها بدورالطفولة وتشمل في رأينا سنوات الطفولة حتّى نهاية السنة الثانية عشر من العمر؛ وتضم طبعاً اربعة مراحل وهي: الطفولة الاولى (الى السنة الثالثة من العمر)، والطفولة الثانية (حتّى السابعة) والطفولة الثالثة (حتّى سن التاسعة)، والطفولة الرابعة (وتمتد حتّى نهاية السنة الثانية عشر).

٢ ـ مرحلة المراهقة وتبدأ مع نهاية السنة الثانية عشر (تبدأ غند الفتيات قبل هذا السن بسنة أو سنتين) وتستمر حتّى بداية سن البلوغ (وأي ما يقارب ١٤ عاماً بالنسبة للفتيات و ١٦ عاماً بالنسبة للفتيان). ومن الطبيعي ان تلاحظ

الكثير من الاضطرابات خلال هذه الفترة، وربّما يتأخر البلوغ عند الفتيان حتّى سن السابعة عشر.

٣ ـ مرحلة البلوغ وتبدأ من مرحلة النضوج الجنسي (العادة الشهرية بالنسبة للفتيات، والاحتلام بالنسبة للفتيان) وتستغرق فترة تتراوح بين السنة والسنتين حتّى تبلغ ذروتها.

٤ ـ المراحل اللاحقة وتشمل دور الشباب، ومتوسط العمر وفترة الكبر (الكمال) والشيخوخة، وتنتهي مراحلها بالنسبة للناس العاديين بالموت.

أمّا الموضوع الذي نتناوله بالبحث في هذا المقام فهو انحرافات الاطفال والاحداث ولا نتجاوزها الى مرحلة البلوغ الا في القليل النادر.

أنواع الجنوح والانحراف

يتعرّض ابناؤنا في هذه المراحل من السن الى سلوكيات مختلفة كثيرة لكل منها خصائصها في كل مرحلة من المراحل. فالسرقة مثلاً يحتمل صدورها من الاطفال ومن الاحداث، الا ان بعض مراحل الطفولة تتّسم بطابع يصعب معه اطلاق كلمة السرقة على مثل هذا الفعل.

وتوصف هذه السلوكيات المنحرفة بالكثرة والتنوّع ويمكن ذكر اهمّها كالتالي:

١ ـ الرغبة بمخالفة التعليمات، وهي ظاهرة سائدة بين الاطفال والاحداث ولكن بدرجات متفاوتة تبلغ ذروتها في مرحلة المراهقة وتتفاقم في سنوات البلوغ.

٢ ـ ظاهرة التسكّع وهي موجودة عند الاطفال بشكل لا ارادي اما عند الاحداث والمراهقين فهي متعمّدة ومقصودة.

٣ ـ ظاهرة التسوّل التي لا يراد منها قضاء حاجة اساسية بل دوافعها على الاغلب خبيثة وشيطانة، وقد تلاحظ هذه الظاهرة حتّى لدى اطفال العوائل الغنيّة.

٤ ـ اثارة المشاكل في الصف والمدرسة والبيت، وايجاد المصاعب للأب والأم والمدرسة، بل وتحدوهم رغبة عارمة لاثارة الضجيج والصخب وحتّى انهم قد يكونوا في بعض الحالات موضع استغلال من قبل الآخرين.

٥ ـ الوقوع في شراك الانحرافات الجنسية، وهي ظاهرة متفشيّة بين الاطفال والاحداث. حيث يتحول الاطفال حتّى سن الثانية عشر الى مرتع لجياع الشهوة وتتفاقم لديهم الحالة في سنوات المراهقة والبلوغ، ومما يؤسف له انها تلاحظ أيضاً بشكل أو آخر حتّى بين العوائل الدينية والمدارس النموذجية، الا ان الوالدين والاشخاص التربويين لا علم لهم بها.

وقد وجدنا خلال تجربتنا في المدارس الثانوية لمدة ١٥ عاماً ان الكثير من الاشخاص واقعون في هذه الانحرافات. ويمكن القول بخصوص الاطفال ان هدفهم ليس الاشباع الغريزي بل لا يخرج عن سمة الطابع التقليدي أو قد يُعزى الى رغبات الآخرين في الاطلاع على خفايا الامور.

٦ ـ الاتجاه نحو استخدام اسلوب العنف وارتكاب الجرائم وهو اتجاه غير هادف لدى الاطفال بينما يصبح هادفاً لدى الاحداث بشكل تدريجي.

٧ ـ الاتصاف بصفات الانانية والغرور والتوجّه الذاتي والانطوائية وهي

ذات جذور انحرافية من جهة وذات دلالات نفسية من جهة أُخرى. لا شك ان ابناءنا حينما يدخلون في سن المراهقة والبلوغ يستاؤون من رؤية بعض المشاهد التي يعتبرونها منافية للعدالة كمشاهدة ظاهرة التمييز في البيت وفي المدرسة، والاوضاع المأساوية في المجتمع. فامثال هذه المسائل تحز في انفسهم وتثير قلقهم وتدفعهم الى الانطواء والاختلاء في زواية يجدون فيها الراحة والسكينة، ومن الطبيعي ان هذا الاسلوب في افراغ العقد ليس سيّئاً على الدوام، ولكنه اذا تكرر حدوثه فلابد من البحث عن جذوره واسبابه.

٨ ـ العبث والتوّجه نحو العنف والجريمة حتّى وان كانت قليلة الأهمية، فانّها ستكون في سنوات المراهقة سبباً لجرائم اكثر خطورة.

٩ ـ ظاهرة السرقة التي تشاهد لدى الاطفال والاحداث حتّى على مستوى السرقات البسيطة.

١٠ ـ الهرب من البيت والمدرسة وهي ظاهرة ملموسة لا سيما في سن الشباب.

١١ ـ الانتحار؛ وهي حالة تلاحظ لدى المراهقين والبالغين الذين يتّسمون بالحساسية المفرطة وخاصّة عند مواجهة حالات من الانتحار في المجتمع وان كانت قليلة.

١٢ ـ التهريب، والاستغلال من قبل الآخرين كأداة للتهريب، وهو ما نراه في عصابات التهريب التي تضم بين صفوفها اطفالاً واحداثاً.

١٣ ـ الادمان على المواد المخدّرة والمثيرة للأوهام، أو العمل على نقلها وتوزيعها.

١٤ ـ الغش ونكث العهد، والتعامل السقيم مع الاشياء والادوات ... الخ

امكانية العلاج

السؤال الذي يُثار هنا هو: هل هذه الانحراف ممكنة العلاج؟ وهل يـمكن اعادة الشخص المنحرف الى جادّة الصواب؟ ام عـلينا الوقـوف ازاء زلاّتـهم موقف المتفرّج؟

من حسن الحظ ان الاجابة على هذا السؤال ايجابية من الناحيتين العلمية والدينية.

فالانحراف كما نراه أمر طارىء، أي انه لم يكن موجوداً ثم حدث لاحـقاً، ويمكن اصلاحه وعلاجه باستخدام بعض الأساليب والفنون.

فالناس وحتّى المنحرفين منهم لديهم جوانب يمكن التعويل عـليها، لأنـنا نعلم ان من بين المنحرفين من يحترم الانظمة ويلتزم بـها كـالوفاء، والخـجل، وعدم اخلاف العهد، واداء الواجب (في اطار مـنهجه فـي العـمل)، وتشكـيل وتنظيم المجاميع والتمسّك بصيغ عملها. وهذه كلها نقاط أمل يمكن الاستناد عليها في العلاج.

يلاحظ مثلاً عند اللصوص صفات مـن قـبيل الشـهامة (فـي اطـار عـمل اللصوصية)، والشطارة والالتـزام بـالوعد، وبـامكان المـربّي اسـتغلال هـذه الجوانب والنفوذ الى انفسهم واعادتهم الى الطريق القويم.

على طريق الاصلاح

لابد من طي ثلاث مراحل في سبيل معالجة واصلاح المنحرفين وهي:

١ ـ **معرفة سبب أو اسباب الانحراف**: أي ان نبحث في العلل التي اوصلته الى هذا المصير وما الذي لوّث فطرته السليمة ودفعه نحو الانحراف؟

٢ ـ **وضع برنامج للعلاج**: وينصب الاهتمام في هذه المرحلة على وضع برنامج للعلاج، والبحث عن الدواء الشافي لهذه الظاهرة.

٣ ـ **التنفيذ العملي**: فاذا تم الانتهاء من البرنامج الاصلاحي، تبدأ مرحلة التطبيق او التنفيذ العملي.

النقاط الثلاثة المارّة الذكر واسعة ومتشّعبة ويمكن تناولها مبسوطة على الصورة التالية:

١ ـ **معرفة الأسباب**: ويمكن في هذا المجال أن نأتي عى ذكر ثلاثة عوامل مؤثرة في ايجاد الانحرافات عند الاطفال والاحداث وهي:

أ ـ الاسباب العضوية أو ما يصطلح عليه بالاسباب «البايولوجية».

ب ـ الاسباب ذات الطابع النفسي أو ما يسمّى بالأسباب «السايكولوجية».

ج ـ الاسباب البيئية والانسانية، وتسمّى أيضاً بالاسباب الاجتماعية.

ان دراسة هذه الجوانب تكشف لنا عن بعض الحقائق، وتقدّم لنا سبل الحل المناسبة، التي سنشير الى بعض ابعادها، اما النقاط التي يجب التركيز عليها فهي:

أ ـ الاسباب العضوية:

لابد من الاشارة في هذا الصدد الى ما يطرحه علماء التحليل النفسي من وجود صلة بين البدن والجريمة؛ فهم يقولون ان عدد الكروموسومات الموجودة في اجسام هؤلاء الاشخاص اكثر من الحد المتعارف بكروموسوم واحد مثلاً. وعلى هذا الاساس فهم ينشأون مجرمين.

من البديهي ان هذا النمط من التفكير مرفوض من وجهة النظر الاسلامية،

فالاسلام يرى ان الانسان يولد على الفطرة وينزع الى معرفة الله ولا يخلو من صفة الشر طبعاً. ومن الخطأ الاعتقاد ان بعض الناس يولد مجرماً من ذاته، والا فسينظر الجميع الى موضوع الجريمة وكأنّه امر طبيعي، وكلّ له حق النزول في هذا الوادي. نرى ضرورة الاشارة الى ان النقص العضوي في بعض الحالات، وخاصّة حينما ينظر إليه بعين النقص والازدراء، يؤدي الى نشوء عقد نفسية تكون حصيلتها الوقوع في الانحراف. ومن جملة ما يمكن الاشارة اليه هنا كأسباب للانحراف هي الحالات التالية:

- **الامراض الزهرية**: والتي تقود في بعض الحالات الى امراض السيلان والسفلس، ولا سيما السفلس الذي يسبب للإنسان آلاماً تخرجه عن وضعه الطبيعي، او توقعه أحياناً في مستنقع الجرم والرذيلة.

- **الامراض البدنية**: فالطفل الذي يتلوّى من شدّة الألم ويسمع كلاماً عكس ما يهوى لا يستجيب الا باسلوب الضرب والركل، وكذا الطفل المصاب بالديدان لايقر له قرار، ويجد نفسه مرغماً على اتّباع سلوك يُطلق عليه اسم المشاكسة.

- **مرض الصرع**: يتجسد هذا المرض عملياً بظاهرة الاغماء الناتجة عن اعراض دماغية وبدنية. ومن الطبيعي الاّ يبعث ذلك على اتباع سلوك طبيعي.

- وعلى هذا المنوال تنسج الامراض والنواقص الاخرى التي تدفع بالشخص الى المشاكسة. مثلاً حينما يكون الطفل مصاباً بعاهة أو فاقداً لاحدى عينيه أو رجليه، ويعامله المجتمع معاملة احتقار، ويواجه بالتقريع والاستهزاء اينما ولّى، لايمكن ان تكون سيرته في الحياة طبيعية. واذا واصل الآخرون مواقفهم ازاءه على هذه الشاكلة سوف لن تكون النتيجة سوى المزيد من العناد والمشاكسة.

ولا بأس من الاشارة هنا الى نقطة جديرة بالملاحظة وهي انني لا اقول ان كل ذي عاهة فاقدٌ للاتزان بل غرضي القول ان ذوي العاهات اكثر استعداداً للاجرام من غيرهم، ولو أريد اعدادهم للجريمة لكان وقوعهم فيها اسرع بسبب توفر موجبات الشعور بالحقارة.

ب ـ الاسباب النفسية:

الطائفة الثانية من اسباب الانحرافات هي الاسباب النفسية والعوامل المتعلّقة بأبعاد الشخصية والذهن والنفس. لا شك ان العامل النفسي مهم الا ان البعض يقلل من شأنه قائلاً ان السبب الرئيسي في حصول الانحراف او تفاقم ظاهرة المشاكسة هو انعدام الرقابة النفسية. وهنا ينفسح امامنا المجال للحديث عن موضوعات متعددة في هذا الباب نقتصر على بيان أهمّها:

ـ حالة السادّية ومن مظاهرها الرغبة في ايذاء الآخرين، وتتوفر الادوية المساعدة على تسكين هذه الحالة.

ـ حالة المازوشية وفيها يبدي المرء ميلاً لايذاء نفسه، فينزل بها الألم ويضغط عليها، ويصفع وجهه، يضرب رأسه بالجدار، يضرب برجله الارض، يعذّب نفسه، ويحلو له ايقاد نار ليكتوي بلظاها.

ـ حالة الخيالية وهي ناتجة عن عوامل النقص والعوز الذي يواجهها الطفل سواء كانت على صعيد النقص في العطف والحنان ام على صعيد العوز الاقتصادي. فالكثير من المجرمين في حقيقة الامر اشخاص ينقصهم الحنان وقد جرح كبرياؤهم، وبعضهم يشكو نقصاً في الجانب الاقتصادي وليس لهم من عزّة النفس ما يحملهم على الصبر والقناعة.

وهنالك ثمّة علاقة بين الاقتصاد والجريمة؛ فالاشخاص من ذوي الالتزام الديني الضعيف اذا حصلوا على الثروة يطغون واذا عضّهم الفقر والحرمان يجرمون. ومن البديهي انه كلما اشتد العوز الاقتصادي ازدادت نسبة الجرائم. ونحن نلاحظ في حياتنا اليومية من هو على استعداد لأن يقتل انساناً لأجل دراهم معدودة، و نسمع احياناً ان اوربا خالية من السرقات، ولاشك ان هذا الكلام مبالغ فيه، اذ ان السرقة موجودة ولكن لا على مستوى حفنة من الدراهم ولا اضعاف ذلك بل على مستوى اعلى؛ فهم مثلاً يسرقون بلداً ويبتلعون بئراً من النفط وما شابه ذلك.

المسألة الأخرى هي مسألة الحرمان والانكسارات. نحن لانؤكد من الناحية التربوية على الابوين بتوثيق صلاتهما بالأبناء الى الحد الذي يرى فيه الطفل حياته رهينة بهما مائة بالمائة، لأنه لو حدث انفصال في مثل هذه الحالة او وفاة، يجد الطفل نفسه مرغماً على سلوك طريق منحرف، أو قد يجد نفسه مضطراً لاتباع اسلوب المشاكسة والعناد.

قد يكون الفشل احياناً في باب التعليم، وبالخصوص عندما تطرح القضية من باب المفاضلة والمواجهة، اذ تعرض امامنا حالات يبدي فيها الأبوان مواقف غير حصيفة ازاء شهادات ودرجات الطلاب. على سبيل المثال حينما يرى درجة الطالب اعلى من درجة النجاح بقليل، يغيظه ما رأى، فيعبر عن غيضه بسيل من الكلمات الجارحة من قبيل انت تلميذ فاشل، الموت خير لك من الحياة، الا ترى ابن جارنا يفوقك في درجاته وهو لا يجد من الطعام ما يسد الرمق، و.. ما إلى ذلك، وهكذا يكيل له الذم والتقريع وعلى هذا المنوال نواجه في نهاية كل سنة دراسية ـ حيث الفرصة الاخيرة امام الطّلاب والتلاميذ

لاثبات جدارتهم في الامتحانات النهائية ـ مجموعة من المشاكل والقلاقل والمشاكسات ومن بعدها الاحالة الى دور الاصلاح، والاقدام على الانتحار بين الاشخاص الاكبر سنّاً.

المسألة الأخرى المثيرة للاهتمام هي وجود نوع من المرض النفسي يُسمّى «بالسيكوبات» ، وهو مرض تتجسد فيه اللأبالية وعدم الاهتمام ويُصاب به الاشخاص الذين يتعرضون في حياتهم للهموم القاتلة والضغوط الهائلة. لو افترضنا صبيّاً يعيش في عائلة مضطربة الاوضاع تحت رحمة زوجة ابيه، وحينما يدخل الاب الى البيت يهرع اليه الصبي شاكياً فلا يعيره الأب اي اهتمام او حتّى قد يسلّط عليه مزيداً من الضغوط بوجوب اطاعة زوجة الأب، أو قد لا يتورّع حتّى عن ضربه. وهنا تتراكم الضغوط والهموم على الطفل الى درجة يصعب عليه تحمّلها. ومثل هذا العناء الشديد يوقعه فريسة لامراض الاعصاب أو يصير شخصياً لا أبالياً أو يصاب بعقدة نفسية مؤلمة. ولاتكون النتيجة سوى ان يلقى بنفسه الى التهلكة، رافعاً شعار ليكن ما يكون ! اني فاعلٌ هذا العمل وليحصل ما يحصل. وهذا ما يوقعهم احياناً في بؤر الجريمة، ويصير موقفهم ازاء الانحراف باهتاً.

ثمة اسباب ودوافع اخرى في هذا المجال أيضاً كانحراف الشخصية، وتعددها وفسادها، والجنون بمختلف اشكاله، والمخاوف الغامضة، وانكسار الحواجز امام التخيّلات والتصوّرات، والشعور بعقدة الحقارة، والتظلّم، وحب الانتقام وما الى ذلك الا اننا لا نخوض في تفاصيلها مراعاة للايجاز.

٣ ـ **الاسباب الاجتماعية**: الطائفة الثالثة من الاسباب المؤثرة في الانحرافات التي يقع فيها الاطفال والاحداث، هي الاسباب والعلل الاجتماعية. دوّنتُ في هذا الصدد مسائل كثيرة أشير الى بعضها في ما يلي:

ـ الاسرة: بما في ذلك منازعات الزوج والزوجة امام انظار الطفل، وامثال هذه المنازعات تعد افرازاً طبيعياً لاختلاف الآراء، وتحلل العلاقات العـائلية، والطلاق وانهدام كيان الاسرة. ولا يمكن ان تمر هذه المشاكل على الطفل بسلام من غير ان تترك عليه تأثيرات لا يحمد عقباها؛ فـهو حـينما يشـاهد نشـوب المشاجرات الحامية يشعر بفقدان الأمن والاستقرار.

استمعوا الى ما يحمله الاطفال من هموم. فحينما طرحنا بعض الاسئلة على اطفال في سن الخامسة ـ سواء كانوا في البيت أو في رياض الاطفال ـ مـمن طلّقت أمّهاتهم لهذا السبب أو ذاك فكانت اجاباتهم: ياليتني لم اكن. ولعل عدم وجودي يساعد على تفاهم أبي وأمّي. ثـم ان احـدهم عـبّر عـمّا فـي نـفسه بصراحة قائلاً: لقد باعاني .. وتجاهلاني .. وتركاني.

نعم انها تبدو مسائل بسيطة على الظاهر، اذ تقوم علاقة الزواج ثم يفترق كل من الرجل والمرأة وكل يتّبع سبيله دون الاهتمام بمستقبل الطفل. ومن الطبيعي ان مثل هؤلاء الاطفال يمثلون النتيجة الحتمية لحالة اللاهدفية. الا ان ايكـال امرهم ـ بشكل عام ـ الى عوامل المجتمع والبيئة تُعتبر مسألة في غاية الاهمية.

فالعائلة التي يُهين فيها الأب والأم بعضهما، ويضرب الأبُ الأمَّ، وتحتقر الأُم الأب امام ناظري الطفل، ماذا يُرتجى من ابنائها؟! لويدفن الطفل حـيّاً اهـون عليه من كل هذا.

يجب ان لا يفوتنا ان الاطفال ينتقمون لما يصيبهم، واسلوبهم في الانـتقام يختلف ـ بطبيعة الحال ـ عن اسـلوب غـيرهم فـهم مـثلاً لا يـؤدّون واجـبهم المدرسي متصوّرين انهم بهذه الطريقة يؤدّبون أبويهم. والكثير مـن مشـاكـل الاطفال السلوكية نابعة من هذا التصوّر.

في بعض الحالات يواجه التلاميذ في المدرسة واجبات ثقيلة يفرضها عليهم المعلمون، ويعجزون عن تنفيذها، ويلاقون ضغوطاً لا طاقة لهم على تحمّلها، ولا قدرة لهم على مواجهة المعلّمين، فيعودون الى البيت ويفرغون كل العقد والهموم على رأس الأب والأم. وعكس القضيّة صحيح أيضاً.

ـ **تعقيد الحياة**: ان تعقيد الحياة وتسارع وتيرة تطوّرها مع عجز الذهن عن اللحاق بها ومواكبة مستجداتها يفرض على الانسان نوعاً من التأثير. فحاسبات اليوم قادرة على اعطاء حاصل ضرب عدّة ارقام في طرفة عين، واذهاننا عاجزة عن مجاراتها. ومثل هذا الوضع يخلق في نفوس الناس ضيقاً مع انعدام القدرة على التحمل وحدّة في المزاج. وكثيراً ما يتعرض اطفالنا لمثل هذه الحالات.

ـ **المجتمع**: فالعلاقات الاجتماعية، الفقر، التحلل الخلقي، والضياع وغير ذلك تعتبر من جملة العوامل المؤثّرة في تزايد الانحرافات. فاذا اردنا معرفة شخصية الطفل فما علينا الا معرفة رفاقه واصدقائه. فالصف الدراسي يضم ٤٠ تلميذاً وكل تلميذ من اسرة، فهو اذن يضع اربعين نوعاً من الثقافة أمام كل تلميذ، فيبقى التلميذ تائهاً امام هذه الثقافات لا يدري أياً منها يأخذ وأياً منها يترك. بعض الاطفال يعطيه اهله درهماً يومياً وغيره يُعطى ٥ دراهم، ومن الطبيعي ان يحصل تنافس وتفاخر في هذا المجال مما يؤدي الى التذمّر والانحراف. فالطفل يأتي الى المدرسة بثقافة اسرته، ويعود الى البيت بثقافة الآخرين. وهكذا يصبح الوالدان في حالة عجز تام عن حل مثل هذه التنقاضات.

عندما نقول للطفل ان يذهب لشراء الخبز فلا يذهب متذرعاً بأنَّ صديقه لا

يأمره اهله بشراء الخبر، فلماذا اذهب أنا؟! ومثل هـذا الجـدل يـفرز الصـراع والتناحر.

ـ **الجانب العاطفي**: ويشمل الغضب، الحنـان ، الحـقد، المـحبّة، الخـوف، الاضطرابات وما شابه، فالعاطفة تؤثّر احياناً. يمكن مبدئياً تشبيه الطفل بوردة اذا سقيت اكثر من حاجتها أضر بها، واذا سقيت اقل من حاجتها ذبلت. ومحبّة الاطفال والعطف عليهم يجب ان لا تخرج عن قاعدة سـقي الاوراد، والزيـادة والنقصان فيها، وعدم رعاية حدُودها يـؤدي الى حـصول مشـاكـل عـديدة. فالمحبّة يجب ان لا تنقص عن الحد الذي يدفع بالطفل للمتاجرة بـنفسه فـي سبيل نيل المحبة الزائفة من الآخرين. ولا تزيد عن الحد الذي يشـجّعه عـلى التملق والميوعة. فاكثر المنحرفين في المجتمع هم ممن واجه نقصاً في الحنان والمحبّة.

فالأب الذي يكرر على اسماع بنته على الدوام بأنّك كلبة أو حيوانة، ينطلي عليها تدريجياً ان شأنها حقير، وقدرها تافه. فاذا واجهت مثل هذه الفتاة مـن يغمرها بالعطف والمحبّة الزائفة ويـتملقها ليسـتدرجـها إلى مـهاوي الرذيـلة، سرعان ما تقع في شراكه ولاتـعدو النـتيجة الا ان تكـون انـحداراً فـي وادي الجريمة.

ـ **الشذوذ الجنسي**: يتعرّض اطفالنا للشـذوذ الجـنسي بـين سـن العـاشرة والثانية عشر؛ وهذه الظاهرة ناتجة عن ثلاثة اسباب رئيسية وهي:

أولاً: الخجل وفقدان القدرة والجرأة في الدفاع عن النفس.

ثانياً: الخوف من كشف الحقيقة امام الأب خوفاً من شدّة العقاب.

ثالثاً: فقدان أو نقص المحبة والعاطفة.

تبيّن لنا من خلال دراستنا لهذه الحالات ان العامل الاقتصادي قلّما يكون له دور بين عوامل الانحراف، وقد تكون ٢٠ ٪ من حالات المتاجرة بالشرف نابعة عن الجهل او عن الوضع الاقتصادي.

العوامل السياسية: وهي لا تقتصر على العوامل السياسية لوحدها، بل وتمتد لتشمل السياسة والانضباط في البيت والمجتمع، فمواقف الانسان ليست واحدة في اجواء الكبت، وفي اجواء الحريّة؛ لأن اجواء الكبت تولّد التمرّد، والحريّة الزائدة عن الحد سواء في البيت أو في المدرسة تنطوي على المخاطر أيضاً، وهي سبب للكثير من الانحرافات.

ـ **العامل الحقوقي:** وفي هذا الجانب يجب التحدّث عن التمييز وانعدام المساواة. فلو اخذنا طفلين بنظر الاعتبار احدهما من الطبقة الغنيّة وثيابه نظيفة وفاخرة، وطفل آخر فقير اشعث الشعر ورثّ الثياب ـ مما يؤسف له ان العقول أحياناً تتحكم بها الأبصار ـ فاذا كان الطفل الغني جيّداً في دراسته وذكياً يصبح موضع اهتمام كامل من قبل المعلم، وهذا ما يثير حنق الطفل الفقير ويدفعه الى التنفيس عن عقده بشيء اسمه الانحراف.

من طبيعة الاطفال انهم اذا مُدِح أحد من بينهم يشعر الآخرون وكأنّ هذا المدح اهانة لهم. فاذا شجّعنا احدهم يشعر الآخر وكان العمل موّجهٌ ضده. ولهذا فمن جملة الامور الواجب مراعاتها في تشجيع الاشخاص هي ان لا يشكّل التشجيع لأحدهم ايذاءً للآخر، وكذا ضرورة مراعاة تقسيم المحبّة بينهم بالتساوي تجنّباً للانعكاسات السلبية.

ـ **العامل الاقتصادي:** والاقتصاد أيضاً له دور مؤثر في انحراف الاطفال. فهنالك فارق واضح بين طفلين يشتهي احدهما التفّاح فيحصل عليه، ويشتهيه

الآخر فلا يرى الا صفعة من الاب. فالأول ينعم بظل ثروة ابـيه، بـينما يـعاني الآخر من العوز والحرمان بسبب الفقر الاقـتصادي. ومـما لا شك فـيه انّـهما يعيشان في عالمين متفاوتين. الا ان الطفل الفقير اذا كان أبواه يتّصفان بالوعي اللازم فمشكلته محلولة؛ لأنهما قادران ـ مع فقرهما ـ على التصرّف بـالشكل الذي لا يترك أية تعقيدات في نفس الطفل. فالفقر ـ كما نعتقد ـ لا يشكل عاملاً من عوامل الجريمة، بل انني أرى ان الفكر المنحرف يمّهد للـجريمة أرضـية خصبة.

يمكن للعائلة الفقيرة شراء التّفاح حتّى وان كان تالفاً، بثمن زهيد، من اجل اشباع حاجة الطفل وملء عينه. فهذا التفاح التالف يـمكن اسـتخراج اجـزاءه السليمة وتنظيفها وتقديمها له، وهو عادة لا يهتم لسلامة التفّاح وجودته، بـل يريد تفاحاً وحسب.

ـ اشباع رغبات الطفل: بهذا تبيّن ان اشباع رغبات الطفل مسألة ضرورية. فلو افترضنا طفلين يسيران مع ابوين احدهما غني والآخر فقير ويريان درّاجة غالية الثمن، فالأب الغني يشتري لابنه درّاجة ويشبع رغبته وتنتهي المشكلة. أما الأب الفقير فهو عاجز عن شرائها وغير قادر على اقناع طـفله. فـيتمادى الطفل في الالحاح ويزداد الأب غيضاً فتكون النتيجة ان يصفعه الأب ويسمعه كلمات مؤلمة ويلوّح له بمزيد من الضرب والعقوبة مذكّراً أيّاه بأنّـه لم يـدفع أجرة السكن في البيت لحد الآن، ولا طعام له في هذا الليلة، ثم يوبّخه لانه أراد درّاجة؟!!

فيأتي الطفل الى البيت باكياً ويشتكي لأمّه بانَّ أباه قد ضربه، اما الأم التي تبدو متعبة من كثرة العمل في البيت فلا تقابله الا بضربة أخـرى صـائحة بـه: اذهب عنّي فلا طاقة عندي لسماع شكواك.

حينما يأتي وقت العشاء يكون الطفل قد تعب من شدّة البكاء، ويتوقع من والديه ملاطفته عند تناول الطعام الا ان الأب لا يزال غاضباً والأم لا تزال متعبة فلا يعيرانه أي اهتمام ويقول احدهما للآخر دعه يأتي من تلقاء نفسه ويتناول طعامه أو يبيت ليلته هذه جائعاً، الا ان كبرياء الطفل لا يسمح له بالتنازل، فينام ليلته تلك جائعاً من غير ان يؤّدي واجبه البيتي.

يستيقظ في صباح اليوم التالي جائعاً ويذهب الى المدرسة من غير ان يتناول افطاره. وفي قاعة الدرس يتعرّض لتأنيب المعلم لعدم كتابة الواجب البيتي، وقد يتعرّض للضرب أيضاً، وما شابه من امثال هذه الظروف والمواقف. فهل نتوقع ان يصبح هذا الطفل في المستقبل شخصية طبيعية وسويّة؟ كلا، بل من الطبيعي ان يحترف الاجرام مستقبلاً في ما لو توفّرت له الظروف المناسبة الأخرى.

خلاصة القول هي أن معاقبة الطفل وضربه وعدم الاعتناء بمطاليبه لا يحل المشكلة، بل يجب البحث عن حلول جذرية لكل وضعه.

ـ **الكثرة السكانية**: والمراد هو ان لا يكون عدد النفوس من الكثرة بحيث تصعب السيطرة عليهم سواء على مستوى العائلة ام على صعيد المجتمع، ولا سيما اذا كان الأب ضعيفاً في ادارة الأسرة، فهو عند صدور أيّة مشاكل من الطفل لا يجد امامه الا واحداً من طريقين: اما ان ينهال عليه ضرباً وأما ان يلطم على رأسه منادياً يا ربّاه عجّل في موتي لكي ارتاح من مصائب هذا الصبي، وقد تكون الأم على هذه الشاكلة أيضاً.

الاسرة التي فيها ثمانية أو عشرة اطفال صغار ويعجز الأب والأم عن ادارة شؤونهم والصف الذي فيه عدد كبير من التلاميذ ولا يؤدّي المعلّم فيه الا دور

المراقب العاجز عن ضبطهم، في مثل هذه الظـروف تكـثر مـعالم الانـحراف. والصغار يشعرون عادة بالضياع بين الكثرة، ويرون أنفسهم معذورين في القيام باي تصرّف مهما كان قبيحاً.

ـ **العامل الثقافي**: قد تكون الافكار والكتابات والبرامج غير المدروسة التي تعرض من الاذاعة والتلفزيون سبباً للانحراف أو لتـرسيخ حـالة الانـحراف. فادارة الشؤون الثقافية في البلاد تعتبر من جملة الامور المستوجبة للـرعاية والاهتمام. فلا يكفي ان يكون المتصدي لها شخصاً متديّناً فحسب، بل لابـد وان يتصف بالوعي اللازم والتجربة العميقة.

الانسان ما لم يصبح نفسه أباً لا يدرك الطفولة ومشاكلها، وهو اذا لم تصقله السنون ولم يكن قد ذاق حلو الدنيا ومرّها ولم تمحّصه التـجارب، لا يـصبح قادراً على وضع البرامج الصحيحة. قد يتعلم الطفل فن الكاراتيه من التلفزيون ويطبّقه في المدرسة. وهذا ما حصل فعلاً اذا قتل أحد التلاميذ زمـيله بـركلة قوية، فسقط ذاك ينازع الموت فيما وقف هذا ضاحكاً مبتهجاً بنجاح ضربته. لقد ارتكب هذا الطفل جريمة وسلك سلوكاً منحرفاً، ولكن من الذي علّمه هذا السلوك؟

الكتب والمطبوعات أيضاً لها دور كـبير فـي تـهذيب او انـحراف سـلوك الاشخاص، وخاصة كتب الاطفال القصصيّة اذ ان لها تأثيراً لا يستهان به على هذا الصعيد. وكذا التلفزيون يعتبر وسيلة اعلامية هامّة، والاسرة الواعية تدرك ان بعض البرامج تناسب الصغار وبعضها الآخر للكبار فـقط. رغـم انـنا نـحن الكبار نتابع احياناً برامج الصغار ونلتذ بمشاهدتها.

الزموا انفسكم بتقييم برامج التلفزيون والكـتب والمـجلات قـبل السـماح

للطفل بمشاهدة تلك البرامج او قـراءة تـلك الكـتب. فـبامكان جـماعة مـن المعلمين قراءة كتب الاطفال وارشاد الابوين الى الصالح مـنها لكـي يـوّفروه لأبنائهم.

ثمة كتب قصصية كتبت خصّيصاً لاطفال المرحلة الابتدائية وهي تـتضمن مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، وكما نعلم ان هذا المبدأ ماركسي لا يـقرّه الاسـلام. وبعد انتصار الثورة الاسلامية سادت اسواق الكتب ظروفٌ أخرى، فلم يتوقف عدد التي طبعت منها بعد انتصار الثورة على عشرة أو عشرين ضعفاً بل وصل الى مائتي ضعف، فدخلت المجتمع افكار مـتضاربة، فكـان مـن الطـبيعي ان يتّصف بعضها بالجودة ويحمل مـضامين هـادفة، وان يـتسم البـعض الآخـر بالرداءة وسوء المحتوى، وهذا ما أدّى الى ايجاد انحرافات كبيرة.

ـ **عامل المذاهب الفكرية**: حينما نتحدث عن الثقافة كعامل مـن عـوامـل التخريب او البناء لابد لنا ان نأتي أيضاً على ذكر المذاهب الفكرية والثـقافية التي تطرح بعض الافكار وتروّج لها على الصعيد العالمي، وتنتشر بين الناس آراء تتبّنها الفئات والمجاميع السياسية وحتّى ان بعضها يتّخذ طـابعاً عـقائدياً. وكثير من هذه الحالات لا يـلتفت اليـها الآبـاء والامّـهات ولا المـعلمون ولا التربيّون أيضاً.

لاحظنا بعد انتصار الثورة الاسلامية بعض من بادر الى فتح دورات عقائدية غريبة تحت غطاء تعليم المفاهيم الدينية للأطفال، لكنهم دسّـوا مـن خـلالها الكثير من الأباطيل. وهذا تحذير لأولياء الامور لينظروا من هو الذي يـدرّس ابـناءهم الديـن والاخـلاق، وعـن أي مـذهب اخـذ ذلك المـدرّس اخـلاقه ومعلوماته الدينية، حذراً من هولاء الذين ادّعوا التديّن خلال يومين ليصبحوا

فيما بعد سبباً في ايجاد كارثة لابنائنا، اذ لابد من الالتفات الى هذه المسائل حتّى بعد انتصار الثورة الاسلامية، فالاعداء لا يقر لهم قرار الا ان ايديهم لا تصل الينا حالياً، لكنهم لا يتركون اطفالنا وشأنهم.

يجب ان لا نحسن الظن بكل دورة تقام بأسم الدين، ولا نقبل كل برنامج وينظم تحت شعار السفرات الجماعية، فاعداؤنا يركّزون جهودهم على ان تتدفّق المعلومات على ابنائنا ابتداءً من المذاهب الماركسية وحتّى الفاشية والاشتراكية وانتهاءً بالوجودية وما شابهها بشكل مباشر أو غير مباشر.

ـ **عامل الاتراب والاصدقاء:** للاتراب والاصدقاء او ما يسمّى بـ(الجوقة الاجتماعية) تأثير في اشاعة الفساد او تكريس الانحراف في صفوف الاطفال. علينا ان ننتبه الى نوع الجماعة التي يعاشرها ابناؤنا، والمحاذرة من ارتباط الطفل الذي لا يزال في المرحلة الابتدائية مع من هم في سن المرحلة الثانوية او المتوسّطة. فالضرورة توجب عزل مدارسهم. واذا كانت الابتدائية والمتوسّطة في مكان واحد فالواجب يحتم وضع سور بينهما.

انني هنا لا أتّهم أحداً لكنني اشير الى ان الانحرافات تنشأ من هذه العوامل والمؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين. فلدينا خبرة وملاحظات كافية عن النتائج التي أدّت اليها علاقات كرة القدم بين تلاميذ المدارس الابتدائية وطلاّب المدارس الثانوية. لاحظت خلال فترة اشرافي على احدى المدارس في منطقة فقيرة اموراً كثيرة وكشفت اكثر من اربعين او خمسين حالة انحراف عشرٌ منها على اقل تقدير ناتج عن علاقات اطفال صغار مع شبّان او مراهقين. فنحن نعيش في مجتمع فيه كثير من الناس الطيّبين، الا انه لا يخلو من اللصوص والمجرمين.

ـ **الاختلاط**: ثمة عوامل كثيرة تساعد على تعميق مظاهر الانحراف نظير التخلّف الثقافي، والعقد النفسية، وعدم مبالاة الأبوين لعلاقات ابنائهم مع سائر الاطفال. وكذلك اللمس فهو مصدر لكثير من حالات الانحراف، وحتّى ان لمس البدن سبب رئيسي من اسباب مشاعر الحب. وهذا ما يوجب علينا تشديد الانتباه الى امثال هذا السلوك فلا نسمح للطفل بالنوم بالألبسة الداخلية لوحدها لكيلا يحتك ساقاه مع بعضهما، ونوصي الآباء والأمّهات بعدم الانشغال ـ بأمر الضيوف مثلاً ـ وترك الاطفال من البنين والبنات يلعبون سوية في اجواء مختلطة بعيداً عن الانظار.

الاختلاط من اسباب البلوغ المبكر؛ فالنظر والسمع واللمس ثلاث مصادر هامّة من مصادر انحراف الاطفال والاحداث، وهي من موجبات حذر الوالدين وتشديد الرقابة. وهناك مسائل أخرى طبعاً الا ان المجال لا يسمح بتناولها بالتفصيل. وثمّة عوامل أخرى لابد من الاشارة إليها ولكننا مضطرون الى عرضها بشكل مختصر كما يلي:

ـ **عامل القوانين**: ويشمل التغييرات المتكررة للقوانين وضعفها وعدم كفاءتها وعدم تطبيقها عملياً، والتمييز في تنفيذها، وتغطيتها لجانب واحد من جوانب القضية.

ـ **العامل الاداري**: ويشمل مظاهر الفوضى الادارية، والتضخم بمختلف انواعه، والتعليمات الادارية الصارمة و...الخ.

ـ **العامل العسكري**: ويشمل انتشار وسائل الدمار، واتساع رقعة الحرب، وعوامل التعبئة الخالية من الدراسة والتخطيط و...الخ.

ـ **الاعراض عن احكام الدين**: ويشمل ضعف الايمان، وزعزعة المعتقدات، وتداخل الخرافات مع التعاليم الدينية.

ـ **اهمال الجانب الاخلاقي:** ويشمل ضعف الاخلاق وذهـاب مـرتكزاتـها، واختلاطها بالاهواء والرغبات.

ـ **عامل التقليد:** ويعني التقليد الاعمى لأي أمر مستجد في الحياة، واتباع النماذج والامثلة والمغلوطة التي يشاهدها الطفل في حياته اليـومية، وعـدم وجود الهدف والواضح في مثل هذه التبعية و ...الخ.

عوامل اتّساع الانحراف

تتداخل عوامل كثيرة في توسيع الانحرافات ومن جملتها الافكار الداعية الى انتهاج مسلك العنف كالفاشية، أو المعتقدة باصالة اللذة كآراء نتشـه، وآراء أخرى تدعو الى اباحية الجنس وسيادة الشهوة كالفرويدية، وبـعضها الآخـر يميل الى فكرة العبثية، وما شابه ذلك.

في بعض الأحيان تُـتخذ وسـائل الاعـلام كأدوات تـنفيذية فـي اشـاعة الانحراف كالاذاعة، والتلفزيون، والكتب، والمجلات، والصحف وغيرها. كما ان للعوامل الاخرى دورها أيضاً كالفقر، التخلّف الثقافي، العـادات والتـقاليد البالية، مخلفات الاستعمار وعملائه.

علاقة الانحراف بالعوامل الاخرى

يرى علماء النفس ولا سيما المختصّين بعلم النـفس الاجـتماعي وجـود علاقة بين الانحراف وغيره من العوامل الاخرى، ويلخّصونها في النقاط التالية:

١ ـ **السن:** الانحراف اكثر تفشياً بين فئات صغار السن بالقياس الى كـبار السن ويعزى ذلك الى غلبة المشاعر وقلّة التجارب. صحيح اننا لم نلاحظ أية

جريمة في اوساط الصبيان الذين تقل اعمارهم عن اثني عشر عاماً، الا ان الشذوذ الجنسي ينتشر بينهم بنسبة كبيرة ما بين سن ١٢ ـ ١٦ عاماً فهنالك مخالفات صغرى، وانحرافات جنسية كبيرة، وتبلغ الجريمة ذروتها في المرحلة السنية بين ١٦ ـ ٢٠ عاماً.

٢ ـ **الجنس**: الجرائم والانحرافات اكثر انتشاراً بين الفتيان مقارنة بالفتيات. وحالات العدوان والتجاوز عند الفتيان اكثر، اما عند الفتيات فتقابلها صفة الاستسلام والمتاجرة بالشرف وخلاصة القول ان مظاهر الانحراف اكثر شيوعاً بين الفتيان.

٣ ـ **العنصر**: تبيّن من احدى الدراسات ان الانحرافات اكثر شيوعاً بين ابناء العنصر الاسود وسبب ذلك لا يعود طبعاً الى نفس العنصر وانما الى الفقر وانخفاض المستوى الثقافي الذي يطبع الغالبية العظمى من السود. الانحرافات في الجنس الابيض اكبر لكن نسبتها أدنى. فللعامل الثقافي تأثير لا يستهان به، والا فليس هناك من يولد وهو مجرم.

٤ ـ **العامل الاقتصادي**: اكثر ما تشيع الانحرافات في ظروف الفقر والعوز، وتتفاقم عند الازمات الاقتصادية، وتتسع الدوافع المؤديّة اليها في فترات الركود الاقتصادي. تلاحظ انعكاسات هذه الظروف على الاطفال، اما عند الكبار فهي اشد واكثر.

٥ ـ **النظام الانضباطي**: كلما كانت حالة الانفلات في المجتمع اشد واوسع ازدادت فيه نسبة الانحراف والجريمة، واذا كانت القوانين اكثر تساهلاً انعكست النتيجة على زيادة الانحراف. فالناس بحاجة الى القوانين الرادعة في جميع مراحل حياتهم.

٦ ـ نسبة ذكاء الاشخاص: اظهرت الدراسات التي اجراها عالم النفس الانجليزي «برت» بان الانحراف يتناسب عكسياً مع نسبة الذكاء، وغالبية المجرمين هم من قليلي الذكاء. الا اننا ننظر الى هذا الرأي بشيء من الريبة والتأمّل حيث ان الاذكياء يمارسون الاجرام ويتّصفون بالانحراف لكنهم لا يخلّفون وراءهم اثراً دالاًّ يساعد على كشفهم والقبض عليهم.

٧ ـ التطور الحضاري: اظهرت الدراسات ان الانحراف اضحى امراً سهلاً من في ظل التطور الحضاري والتقدّم الصناعي بسبب سهولة الحصول على الادوات والوسائل اللازمة، وصار الكثير من الناس يمارسون الانحراف، والاطفال غير مستثنين من هذه القاعدة؛ اذ تؤثر فيهم النظرة واللمسة وما شابههما.

٨ ـ الاضطرابات الجسمية: ومن جملة العوامل الأخرى التي تساهم في تفاقم الانحراف الامراض العضوية والاضطرابات الجسمية كالاصابة بمرض السفلس، وكثرة الأرق وما شابه ذلك. ولا يستبعد ان تكون بعض الانحرافات والجرائم ناتجة عن هذه الامراض. فالارق مثلاً يدفع بالانسان الى ارتكاب جرائم كبيرة.

تعدد الأسباب والعوامل

لا تقتصر الانحرافات الاجتماعية على سبب او عامل واحد؛ اي ان الانحرافات والجرائم ليس لها سبب واحد بل لها عدّة اسباب او حتّى سلسلة من العلل أحياناً. ففي موضوع الانتحار مثلاً يمكن الاشارة الى عدم الاستقرار العائلي، وتفكك الروابط الأسرية، والفقر، والثقافة السيّئة وامثال ذلك. وتدخل

عوامل أخرى في مسألة كمسألة الاعتياد من قبيل الفقر، والحالة التربوية، والوضع العائلي، ونوعية الاصدقاء، وتدهور العلاقات الاجتماعية والأسرية البناءة.

أ ـ التوجّه نحو وضع خطّة صحيحة:

ان اصلاح الانحرافات الاجتماعية يستدعي ان نضع في الحسبان نقطتين وهما:

١ ـ **التقيم والتشخيص**: وهو ما يتطلب الالتفات الى ما يلي:
معرفة السبب او الأسباب القائمة وراء تلك الظاهرة، ودرجة شدّتها، وهل هي منتظمة الحدوث ام مجرّد حالة اعتباطية او طارئة، وتأثيرها على المجتمع، واحتمالاتها المستقبلية، وكيفية المواجهة وهل تكون بشكل تدريجي ام فوري؟

٢ ـ **القيام بوضع الخطّة اللازمة**: وغرضها اجتناب الاجراءات العاجلة وغير المدروسة، لتكون بين ايدينا خطّة واضحة وقطعية، وبرنامج مدروس قائم على اسس علمية، تتضمن مراحل التنفيذ والفواصل الزمنية المطلوبه في ما بينها، وان تأخذ بنظر الاعتبار الضوابط التنفيذية والامكانات اللازمة التي يجب توفيرها مسبقاً.

ب ـ التطبيق العملي:

ثمة نقاط جديرة بالاهتمام في مجال التطبيق، اليك ثلاثٌ منها:

١ ـ **التطبيق الرسمي او غير الرسمي**: من الواضح ان بعض هذه الاجراءات

تتطلب تطبيقاً رسمياً للضوابط والقوانين كالسجن والاخضاع للفحص والعلاج السريري. وهذه الاجراءات يجب اتّخاذها من بعد استنفاد تأثير الاساليب الاصلاحية الاخرى. اما الجانب غير الرسمي فيركّز على دور الوالدين والتربويين الذين ينتهجون خطّة قائمة على مبدأ الاقناع واللين بعيداً عن اسلوب العنف والتعسف سعياً وراء القيام بالإصلاح المطلوب.

٢ ـ الاتجاه الفوري او التدريجي: فالاتجاه الاول يقتضي السرعة في التنفيذ، اي ان تكون هناك سرعة في اتّخاذ القرار مع السرعة والحزم في التطبيق. وهذه الطريقة مفيدة طبعاً في اجتثاث الانحراف بسرعة، الا ان تأثيرها لا يتّسم بالجذرية.

وقد تتأخر النتائج الى حدٍّ ما في الاصلاح التدريجي الا ان الاصلاح يتّخذ صفة الثبات والاستمرارية، ويظل احتمال عودة الانحراف ضعيفاً.

٣ ـ طول المدّة وقصرها: وهذه المسألة تقف الى جانب المسألة السابقة. ففي الاجراء قصير المدّة تتّخذ التدابير بشكل متتابع وسريع من غير الاهتمام بالابعاد والجوانب الاخرى، في حين يهتم البرنامج طويل المدّة بالجوانب الثانوية، ويتناول القضّية بما يناسبها من الاهتمام. ويمكن في كل مرحلة الالتفات الى المراحل السابقة وتقييم نتائجها، لتكون الخطوات اللاحقة دقيقة ومحسوبة.

موضوع الرقابة

من الضروري أوّلاً وقبل كل شيء معرفة الشخص المنحرف عن طريق المراقبة والمتابعة، وهذه العملية لا تتحقق بالطرق الرسمية لأن الكثير من

الانحرافات تحصل بعيداً عن أعين الشرطة وبعض المنحرفين لا يطالهم القانون والسجن، ثم ان الشرطي هو احد افراد المجتمع. ومن البديهي ان السجن لا يعطي النتائج المتوخّاة. والسجون تتحول في بعض الحالات الى مراكز لتبادل المعلومات الجنائية. وكثيراً ما يكون السجّان سبباً لايجاد عقدة الانتقام عند السجين، وليس ثمة علاقة بين تكرار الجريمة وشدّة العقاب. وكثير ممن أعفي عن زلاّتهم يعاودون ارتكاب جرائم أخرى.

اذن سبل المراقبة غير الرسمية اكثر نجاحاً في معرفة المنحرفين ومعالجتهم لأنها تنطلق من العائلة ومن المدرسة وترافقها عوامل العطف والالتزام وحسن النيّة وتنسجم والميول الفطرية والرغبات الباطنية، ولا تخلّف في النفوس عقدة او حساسيّة.

سبيل الاصلاح في رأي الاسلام

عند اتباع الخطّة ذات المدى القصير لابد أوّلاً من ابداء حسن النيّة، والعطف، والمحبة، والتلقين، والاشارة، والتوعية، والحث على التأمل والتفكير، والنقد باسلوب لطيف، والانذار، واللوم، ومن بعد ذلك يمكن اللجوء الى اساليب العنف والعقاب.

في البرنامج الطويل المدى يمكن القيام بعملية الاصلاح من خلال الطرق التالية:

١ ـ عن طريق الأسرة وتوجيهها؛ فهي قادرة على الاصلاح من خلال اسلوب المحبّة والتوعية وكذا من خلال تقوية ايمان الشخص.

٢ ـ عن طريق المدرسة وذلك في اعقاب اعادة صياغة الشخصية، والقيام

باصلاحها عن طريق التوجيه، والتوعية، وترسيخ البناء العقائدي، وتقوية جانب الالتزام بالواجب، وتوسيع آفاق النظر عند ذلك الشخص.

٣ ـ عن طريق البيئة الاجتماعية، وذلك بعد ازالة معوّقات التكامل، وايجاد مقوّمات الحفاظ على سلامة المجتمع.

المسؤولون في البلد ملزمون ـ بطبيعة الحال ـ بتشديد الرقابة على الثقافة الدخيلة والمستوردة، وتوفير فرص العمل، واماكن التسلية، وتسهيل امر الزواج، وسد الحاجات المادّية والثقافية للناس ضمن الحدود المتعارفة.

الوسائل المساعدة

يمكن الاستعانة بالكثير من الوسائل المساعدة في اصلاح الاشخاص وأكثرها اهمية هي:

وسائل الاعلام لغرض الارشاد والتوعية، كالصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون، أضف الى ذلك ايمان الانسان واخلاقه المغروسة في فطرته، النظام الاجتماعي المؤثر، الفن الذي يُنمّي العواطف ويوجّه الاحاسيس، الرقابة الاجتماعية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مستقبل الانحراف

ولكن حتّى متّى يستمر وجود الانحراف؟ والجواب هو: مادامت الغرائز حيّة وتستثار بسهولة مع انعدام اساليب التهذيب والردع، ومادام الوالدان والمربون يتصرّفون باساليب بدائية، ومادام الجور والتمييز شائعين في

المجتمع، ومادامت الانظمة التربوية تعاني الفوضى، ومادام الشعور بالمسؤولية مفقوداً بين كبار المسؤولين، ومادام المجتمع يسوده التناقض، وبسبب ضعف الاسس الدينية والاخلاقية و ...الخ، فظاهرة الانحراف تبقى موجودة في المجتمع.

لذا من الضروري ان تتواصل عملية الاصلاح لأن الانحرافات ربّما تعاود الظهور لأنّ النفس الأمارة ماان تجد لنفسها منفذاً حتّى تعود الى سابق عهدها. فالضمير بحاجة الى الايحاء المتواصل لكيلا تقع النفس تحت تأثير الظواهر السلبية والانعكاسات الاجتماعية المغلوطة. ومن الضروري أيضاً وجود الرقابة الاجتماعية في جميع الاحوال لصيانة البيئة الاجتماعية وحماية الناس من الشرور والمكائد.

القائمون بامر الاصلاح والشروط الواجب توفّرها فيهم

لا يقتصر امر الاصلاح على فئة دون أخرى، فالكثير من الناس يمكنهم المشاركة فيه ابتداءً من الوالدين والتربويين وانتهاءً بالباحثين الاجتماعيين، المصلحين، علماء الدين، القضاة وغيرهم.الا ان المهمّة الاساسية تقع على عاتق الوالدين ومن بعدهم اولياء المدرسة.

اما شروط نجاحهم في هذا العمل فتتمثل في المعرفة الصحيحة بالدين، والوعي بأساليب عملهم وتعلّم فنون التربية ومستلزماتها، والاعتقاد بالدين والواجب الديني، والقناعة بجدوى عمله وضرورة الخدمة التي يؤدّيها، والاقبال على العمل برغبة مع الحفاظ على الهدوء والسكينة واستغلال الفرص المناسبة.

جدوى هذه التدابير

ولكن متى تثمر هذه الجهود؟ فذلك يتوقف على عوامل عديدة منها جهود المربي ووعيه وايمانه وقدرته عـلى التـلقّي، اضـف الى ذلك مـدى اسـتعداد الشخص المنحرف لتقبّل الاصلاح ونوع المعاملة التي يتلّقاها، ومـدى تـوفّر الظروف والامكانيات، ناهيك عمّا تستلزمه هذه الامور من وقت فـي جـميع الظروف والاحوال.

لا يمكن الجزم بضرورة ان يثمر هذا الاجراء في ظرف زمـني قـصير؛ لأن الارباك يؤخر مفعول العلاج، والافضل تجنّب حالة الارتباك والانهيار مع أخذ جميع جوانب الامر بنظر الاعتبار والتبّصر بعواقبها مع الابتعاد جهد الامكـان عن تراكم الانعكاسات التربوية السـيّئة، والتـربص لكـل فـرصة مـفيدة فـي الاصلاح ، والاتّكال على الله في جميع الاحوال والاستعانة بـه لتسـديد كـلّ مساعينا.

عدم استقرار الأطفال

تقديم

نلاحظ في اكناف البيت والمدرسة اطفالاً يتحركون ويقفزون بلا سبب واضح، ويركضون من غير وجود دواعي بارزة، ويتنقلون هنا وهناك من غير حاجة بيّنة لذلك، يتكلمون بلا مبرر ويضحكون من غير دافع، ويحشرون انفسهم حشراً في شؤون الآخرين وأحاديثهم.

يجلسون في مكانٍ ثم يهبّون فجأة ويركضون في اتّجاهٍ ما ويتوقّفون ويجلسون ثم ينهضون ثانية. وفي المدرسة ترى الطفل الواحد يضيق به المكان الذي يسع لثلاثة اشخاص. وغالباً ما يعمد الطفل إلى ايذاء الآخرين ومضايقتهم. يتّصف سلوكه بالضجيج وكثرة الاثارة والرغبة في التخريب والعدوانية. نطلق على امثال هؤلاء الاطفال مصطلح الاطفال الحركين.

سلوك الأطفال الحركين

اوضحنا سلفاً بعضاً من خصائصهم وسلوكهم، ولو شئنا التوسّع في الحديث عن هذا الجانب لقلنا بان هذا النمط من الاطفال لا يقر لهم قرار وهم في حالة ضجيج وتحرّك متواصل ما داموا في حالة يقظة. فالطفل في هذا الجانب يشبه الطير الذي يقفز من موضع ويحط في آخر. يؤذي هذا ويستشير ذاك ثم ينهض مغادراً المكان إلى موضع آخر.

كثيراً ما يلاحظ الطفل وهو يتسلق الجدار والشجرة في محاولة منه لجلب التسلية والانشغال لنفسه. واذا جلس فترة وجيزة من غير عمل يجهد نفسه لاختلاق عمل يلهيه، واذا لم يتيّسر له ذلك يتّجه نحو ادواته الشخصية فيعض

قلمه ويلعب بالدمل أو الجرح الموجود في جسمه و...الخ.

يتصف الطفل الكثير الحركة بالنسيان، عدم التركيز، والنظرة السلبية، العناد وعدم الاستقرار العاطفي حتى يبدو سلوكه وكأنّه لا يطاق، يلاحظ عليه سرعة التأثر وقلما ينتهج الاسلوب الذرائعي.

من هم الذين يتّصفون بهذه الظاهرة؟

كثرة الحركة تلاحظ عادة عند الاشخاص الذين لا يعيشون ظروفاً طبيعية ويشعرون على الدوام أنهم واقعون تحت ضغوط متواصلة وما أن يتحررون منها حتى يثيرون الشغب ويبدأون بالحركة والضجيج. يتبيّن من خلال استقراء ماضيهم بأنَّ البعض منهم قد تعرّض منذ لحظة ولادته لظروف غير طبيعية؛ أي أن الولادة لم تتم بالشكل الطبيعي ثم انهم لم يحصلوا في ما بعد في الاجواء العائلية على الدعم والرعاية الكافيين، انّ غالبية الاطفال الحركين كانوا، او هم الآن مصابون بامراض جسمية ونفسية.

كما ويعتقد انهم قد أُصيبوا في فترة الطفولة بمرض طويل المدّة أو صعب العلاج أو فرضت عليهم بعض الوان التسلط والغطرسة ولم يستطيعوا في مقابلها التغلب على مشاعر ضعفهم ونيل مطاليبهم، أو ربّما ذاقوا الكثير من العقوبات وواجهوا الكثير من التصرفات المغلوطة من الوالدين والمربّين اثناء حياتهم التربوية.

الظروف المؤثرة

تتأثر ظاهرة عدم الاستقرار بالكثير من الظروف والعوامل التي تساعد على

ظهورها وتفاقهما نشير فيما يلي إلى بعضٍ منها:

١ ـ **عامل الجنس**: وهذه الظاهرة يتصف بها كل من الذكور والاناث، ولكن يبدو ان الذكور اكثر تعرضاً لها من الاناث بمراتٍ عديدة. ويظهر ان القضيّة مرتبطة بأمرين آخرين: الاول هو التكوين العضوي اذ تتصف الاناث بالمزيد من الهدوء والسكينة، وبالقليل من الحركة والاثارة. والثاني هو الظروف الثقافية والتربوية للاشخاص اذ تركز كل المجتمعات في تربيتها على ان يكون الذكور اكثر جرأة وجسارة، فتتساهل ازاء حركات الذكر وكثرة ضجيجه فيما تستنكر مثل هذه الحالة من الاناث، فتحد من حركتها بمختلف انواع الضغوط والاستنكار.

٢ ـ **عامل العقل والذكاء**: يحظى اغلب الاطفال الحركين بمستوى من الذكاء يفوق اترابهم نسبياً. حتى يبدو وكأن ذكاءهم لا يستطيع تحمّل الظروف والاوضاع السائدة. يحتمل أيضاً أن يكون البعض من هؤلاء الاطفال في مستوىً متدنٍ من الذكاء إلاّ ان سلوكهم يختلف اختلافاً تاماً عن بقيّة الاطفال كأن تكون كثرة تحركهم غير مدروسة ولاتسير وفقاً لنمط معين.

٣ ـ **ظروف النضج**: بعض تحركات الاطفال ناتجة عن النضوج، فمن المعروف مبدئياً ان الطفل حينما يلعب ويلهو ويقفز ويتحرّك فذلك جزء طبيعي من نضجه، وعلى الوالدين ان يعتبروا ذلك مبعث ارتياح، وعلى العكس من ذلك اذا لاحظوا ان اطفالهم يتميّزون بالصمت والخمول الكامل فذلك مما يبعث على الأسف والقلق، وعليهم البحث عن علله واسبابه. فالتحرك والضوضاء دليل على السلامة والصحّة، ولكن اذا ما خرج ذلك عن الحدود الطبيعية وبات مصدراً لازعاج الآخرين فلابد من المبادرة للعلاج.

٤ ـ الظروف العائلية: يرتبط استقرار الطفل او تحركه بنوعية ظروف الحياة العائلية؛ فالاطفال الذين لا يلقون الرعاية والاهتمام والعطف الكافي يتميّزون في فترة طفولتهم بالحركة وعدم الاستقرار. والعوائل التي يسودها النزاع والاختلاف وتعاني من الفقر والمشاكل الأخرى، ولا ينال الطفل فيها أي نصيب من الرعاية والاهتمام، تغلب على حياة الأطفال فيها مظاهر الاضطراب وفقدان السكينة والاستقرار.

٥ ـ الظروف الأخرى: واخيراً فان حالة عدم الاستقرار تتأثر بسائر الظروف الأخرى كالتعب واليأس واستشعار المهانة وضياع الكرامة وما إلى ذلك، الا اننا نصفح عن الخوض فيها تجنّباً للإطالة.

أسباب عدم الاستقرار

هل يمكن التوصل إلى جذور واسباب حالة عدم الاستقرار عند الاطفال، وما هي؟ والجواب هو ان ثمة طائفتين من العلل والعوامل التي تجدر الاشارة إليها في هذا الصدد؛ وهي الاسباب الذاتية المتعلقة بالشخص نفسه، والاسباب المتعلّقة بالآخرين. نتقدم فيما يلي بدراسة موجزة عن هاتين الطائفتين من العوامل والاسباب.

أ ـ العوامل الذاتية

يمكن الاشارة في هذا المجال الى امور متعددة، نأتي هنا على ذكر بعضها:

٢ ـ الامراض والآلام: ان عدم استقرار الطفل قد يكون سَببه احياناً مرضاً أو عارضاً مؤلماً.

فالطفل المصاب بالديدان ويعاني على الدوام من الحكّة والازعاج والألم لايمكنه الجلوس والاستقرار في موضع معيّن، أو الطفل الذي يشعر بالألم ولايفصح عنه آلامه من الطبيب، فان ذلك الألم يثيره ولايتيح له الاستقرار أو المكوث في وضع معين لفترة من الزمن. وفي بعض الحالات تكون الآلام على درجة من الشدّة بحيث تجعل الطفل في عذاب متواصل.

٢ ـ **الغضب**: وفي بعض الحالات يتّسم الاطفال بعدم الاستقرار بسبب صفة الغضب فيهم. ولتوضيح ذلك نشير إلى ان الطفل الذي يعاني من الآم وامراض ـسواء كانت بيئية ام ولادية ـتجعله في حالة توتر دائم وحدّة في المزاج تؤدي به إلى سرعة الغضب. ومن البديهي ان اصلاح اوضاع الطفل يستلزم معالجة تلك الامراض أو الآلام.

٣ ـ **الألم الداخلي**: قد ينتج عدم الاستقرار احياناً من ألم داخلي يعاني منه الطفل وربّما كان منشوه امتهان الكرامة وفقدان المكانة الاجتماعية أو النواقص التي تفرزها الاوضاع العائلية السيّئة. ان الطفل يفهم الكثير من حقائق الامور الا انّه لا يفصح عنها للأب أو للأم، فهو مثلاً يلمس فقر عائلته بشكل أو آخر ويستشعر الألم والعناء لكنه لا يصرح لأبيه أو امه بشيء من هذه المشاعر.

٤ ـ **الاضطراب وفقدان الأمن**: ان القلق والاضطراب سواء كان سببه المرض أوالشعور بفقدان الأمن من جرّاء حادثة أو موقفٍ معيّن، يحدث عند الصغار ـوحتّى عند الكبار ـ حالة من عدم الاستقرار. الطفل الذي يتوقع العقوبة على خطأ اقترفه يبقى في حالة من القلق وعدم الاستقرار ما دام الأب غائباً والعقوبة لم تنفّذ بل، وقد يمتد مثل هذا الشعور حتّى إلى فترة النوم اذ يرى فيها احلاماً مزعجة ولايذوق طعم الراحة في نومه، أو حينما يعلم الطفل ان

المدرسة قد سلّمت أباه شهادته المدرسية وفيها درجاته الرديئة وهو لا يعلم بردّ الفعل الذي سيقوم به أبوه، فمثل هذا الموقف يزعجه ويجعله في قلق دائم.

٥ ـ **الشعور بالاخفاق:** يتولد عدم الاستقرار احياناً من العجز عن حل مسألة ما أو الاخفاق فيها؛ فالطفل يمتعض حينما يجد نفسه عاجزاً عن الحصول على امتيازات معيّنة أو حينما يفشل في بلوغ غرض يبتغيه، أضف إلى انه لا يملك النفسية القوية القادرة على مواجهة مثل هذه الانتكاسات، فيقع بالنتيجة في حالة من عدم الاستقرار وانعدام السكينة.

٦ ـ **الشعور بفقدان الحنان والمحبّة:** قد يكون عدم استقرار الطفل ناتجاً احياناً من عدم التأكد من حبّ والديه ومعلّمه له، وكلما كان الطفل أصغر سنّاً كان شعوره بانعدام الأمن اكثر. وربّما يكون مصدر هذا الشعور أحياناً ولادة طفل جديدة في الاسرة يستحوذ على اهتمام الوالدين.

٧ ـ **حب الجاه:** يرى بعض علماء التحليل النفسي ان السبب في عدم استقرار الطفل يكمن في حبّه للجاه وعدم قدرته على تحمل الأوضاع القائمة واكثر من يتّصف بهذه الخصلة الاطفال الاذكياء لأنهم غير قادرين على تحمل اخطاء الوالدين والمعلمين. وحينما يُطرح في قاعة الدرس موضوع يفهمه التلميذ الذكي، الا ان المعلم اذاكرّره عدّة مرّات ليفهمه سائر التلاميذ ينزعج مثل هذه التلميذ، وانزعاجه هذا يكون مصدراً لعدم استقراره.

٨ ـ **العادات السقيمة:** يحتمل ان يكون عدم الاستقرار نابعاً من نمط التربية التي تلقّاها الطفل في مستهل حياته حيث كان كثير الحركة والضوضاء والضجيج ولم يلق أي اهتمام أو توجيه من قبل الأبوين لتصحيح سلوكه فتركا له حرّية التصرف كما يحلو له فنشأ على هذه الصفة وصار الآن عنيداً وكثير الحركة.

٩ ـ الرغبة في جلب الانظار: يبدي بعض الاطفال حركات كثيرة لكي يلفتوا إليهم انظار الآخرين. حينما يكون الوالدان مشغولين في الأحاديث بين جماعة من الاقارب والاصدقاء ولايبديان للطفل أي اهتمام ولايحسبان له أي حساب يلتجيء الطفل إلى اثارة المزيد من الحركة والاضطراب والصياح والقفز لأجل أن يكون له صدى بين الاصوات ويثبت وجوده. واكثر ما يلحظ هذا السلوك على الاطفال الذين لا يحظون بالمحبّة الكافية من الوالدين.

١٠ ـ الانتقام: وفي بعض الحالات تعزى كثرة الحركة عند الاطفال الى رغبتهم في الانتقام. بمعنى ان الوالدين أو التربويين خلقوا له وضعاً يثير القلق والألم فيتحفّز للانتقام لكنه لا يملك الوسيلة التي ينتقم بها فيلجأ إلى الصياح والصراخ والضرب والركض والقفز أي أنّه ينتقم منهم بطريقة أخرى.

ب ـ الاسباب المتعلّقة بالآخرين

يمكن الاشارة في هذا الصدد إلى الاسباب والعوامل ذات الطابع الاجتماعي، وصورتها الاجتماعية تتعدى الحالات التي سبقت الاشارة إليها، وهي بطبيعة الحال كثيرة جداً إلا اننا هنا نذكر عدداً منها:

١ ـ انعدام الرعاية من قبل الوالدين: في بعض الحالات يكون الأبوان أو المربّون انفسهم سبباً في ظهور حالة انعدام الاستقرار، فهم قد لا يلتفتون أحياناً إلى انّهم الملاذ الوحيد للطفل، فهو يعتبر أباه وامّه كل دنياه ويرى كل آماله وأمانيه متجسّدة فيهما فاذا ما لمس منها ادنى اهمال يعتريه الارتباك والاضطراب ويعجز عن اخفاء هذه المشاعر عن الآخرين، فيتعمد اثارة الضجيج وكثرة الحركة من اجل ان يغمره والداه بمزيد من الاهتمام والرعاية.

٢ ـ **مطاليب الوالدين وأمالها**: يُعزى عدم الاستقرار عند الاطفال أحياناً إلى الآمال التي يعقدها عليه الأبوان والتربويون ويعجز عن تحقيقها. فعلاقة الطفل بهم تجعله غير قادر أو غير راغب في تجاهل تلك المطاليب أو تخطّيها. وهذا ما يتسبب في اثارة قلقه وضجره، فيجد نفسه ملزماً بالتشبث بكل وسيلة تعينه على تنفيذ تلك المطاليب.

٣ ـ **العلاقات الاجتماعية الضارّة**: تنتج اسباب انعدام الاستقرار في بعض صورها من الاختلاط مع اطفال مشاغبين، اذ تكون تصرفاتهم درساً سيئاً بالنسبة له حيث تؤثر فيه فيقتبس نفس نهجهم ويسلك عين طريقهم وقد يكون التعارض والشجار بين الاخوات والاخوان سبباً لاثارة الصخب والضوضاء وايجاد حالة عدم الاستقرار وذلك لأن كل واحد منهم يسعى للحصول على الاهتمام والمكانة المناسبة، فيبلغ البعض غرضهم فيما يبقى البعض الآخر عاجزاً عن مجاراتهم.

٤ ـ **النماذج المغلوطة**: نأتي هنا على ذكر الحكايات والقصص لأن لها تأثيراً كبيراً عليهم في هذا الصدد. فالطفل يرى في السينما والتلفزيون حكايات وقصصاً تختلف كلياً عن العالم الذي يعيش فيه فيستلهم منها الدروس ويأخذ عنها نفس النمط من السلوك المعروض في تلك القصص.

٥ ـ **التشجيع في غير الموضع الصحيح**: من الاسباب الأُخرى التي تؤدي في بعض الاحيان بالاطفال إلى فقدان حالة الاستقرار هو التشجيع الذي لا يأتي في موضعه المناسب. وكثيراً ما نلاحظ في بعض الظروف واثناء الجلسات التي يجتمع فيها الاقارب والاصدقاء ان الابوين يجعلان من الطفل زينة للمجلس فيقوم باداء الأصوات والالعاب ويقرأ الشعر ويلقي منهما

التشجيع على هذا العمل. ومن البديهي ان الطفل الذي يحظى بمثل هذا التشجيع والاطراء يحاول ان يعرض في كل يوم شيئاً جديداً امام الآخرين من غير ان يميّز بين مجالس الضيافة وغيرها.

٦ ـ التهديد بعقوبة مؤجّلة: من السمات الطبيعية للطفل المشاكسة والأذى، وعند ما تبدر منه هذه التصرفات تهدده الأم بأنها ستخبر الأب عن فعله، أو يهدده مراقب المدرسة بأنه سيطلع المعلم على سوء سلوكه ومخالفته. فيبقى الطفل طوال تلك الفترة وحتّى الموعد المذكور عرضة للقلق وعدم الاستقرار. وفي البيت ينام الطفل ليلاً قبل مجيء ابيه الا ان نومه يطغى عليه العناء والقلق وربّما ينتبه من نومه فزعاً مرعوباً. بيد أنّه لو عوقب لانتهت القضية ولنام ملء جفنيه، ولم يبد أي نوع من اللااستقرار.

٧ ـ الاختلافات والنزاعات: الطفل يعتبر البيت ملاذه ومستقرّه الآمن، ويرى أن الأب والأم اولياؤه حقّاً، بل ويبلغ به الامر إلى الظن بأنّهما مصدر رزقه وان موته وحياته بيديهما. والطريف في الأمر ان الاحاديث الشريفة تقدم تصوراً مقارباً لهذا التصور. ولهذا السبب نجد ان التصدع الذي يصيب بناء الاسرة،والاختلافات والنزاعات التي تسودها تحدث في وضعه النفسي خللاً واضحاً وتضاعف معاناته النفسية.

٨ ـ التناقضات الانضباطية: يفقد الطفل استقراره في بعض الاحوال من جرّاء التناقضات الانضباطية التي يواجهها في حياته اليومية؛ فقد يأمره الأب أمراً وتأمره الأم بامرٍ آخر. أو قد يتلّقى الطفل من اخوته وأخواته الأكبر سناً نوعاً من الأذى بينما يتلقّى من غيرهم نوعاً آخر منه.

يلاحظ أحياناً مثل هذا التناقض بين البيت والمدرسة وذلك حينما يـتلّقى الطفل من ابويه نوعاً من التعليمات والاوامر فـي حـين يـملي عـليه الـمعلم والمدرسة تعليمات أخرى مناقضة لها فيظل حائراً بين هذا وذاك، ولايـدري هل يلتزم بهذا ام يتجاهل ذاك. ومن الطبيعي ان يؤدي به هذا الوضع إلى فقدان الاستقرار.

اعراض عدم الاستقرار

حالة عدم الاستقرار هذه تتسم بأعراض وتأثيرات تنعكس نـتائجها عـلى الشخص نفسه وعلى الآخرين. فتأثيراتها على الشخص نفسه تتمثل في ايذاء نفسه واضاعة طاقاته، وتعريضه لمخاطر مختلفة، وتؤدي العادات السقيمة التي تتأصل في نفسه إلى رفضه من قبل الآخرين.

اما ما يتعلق بالآخرين فيمكن القول انّ هـذا السـلوك يـفضي إلى ازعـاج الوالدين والجيران وحتّى الضيوف، لأن رغبتهم في اللعب بكل مـا تـقع عـليه ابصارهم، واثارتهم للمشاكل والضجيج تؤدي بـطبيعة الحـال إلى كـثير مـن الاضرار والخسائر. وهم كثيراً ما يجعلون من اجواء البيت والمـدرسة اجـواءً مضطربة يشعر معها الوالدان والتربويّون بانعدام الأمن والهدوء.

اظهرت التحقيقات العلمية بان حالة عدم الهدوء والاستقرار عند الاطفال اذا تركت طليقة من غير تهذيب تؤدّي بهم في المستقبل القـريب وفـي مـرحـلة المراهقة أو مرحـلة الشـباب إلى الاتـجاه نـحو الجـريمة والانـحراف. ومـن المعروف ان قسماً كبيراً من الانحرافات الاجتماعية تقوم بها هـذه الشـرائـح الاجتماعية. ودراسة سوابقهم وماضيهم تثبت صحّة هذا الرأي.

وجوب التصدي والاصلاح

ان وجود مثل هذه الاعراض والاضرار تتطلب المبادرة السريعة لمعالجة وضع هؤلاء الاطفال. فليس من الجائز عقلاً ترك زمام الطفل بيده بحيث يقلق الآخرين بصخبه ويزعجهم بضجيجه.

ان الآباء والامّهات الذين يبدون تساهلاً مع طفلهم في هذا الصدد انما يهيّئون له بعملهم هذا كل اسباب الاضطراب في حياته الحالية والمستقبلية ويمهّدون له طريق الجنوح والانحراف لأن الطفل الذي يألف هذا الوضع يتعذر عليه التخلّي عنه والسيطرة على زمام نفسه والتوجه نحو بلوغ متطلبات سعادته. وهذا ما يملي على ذويه اتخاذ التدابير الكفيلة بردعه منذ مطلع حياته حيث ان التصدي له في السنوات اللاحقة اما ان يكون متعباً واما ان يكون مصحوباً بكثير من المصاعب.

على طريق العلاج

الخطوة الاولى التي يجب القيام بها هي التعرف على وضعية الطفل وحقيقة معاناته من اجل العثور على الاسلوب الصحيح في معالجته. وهذا يعني وجوب الكشف عن منشأ انعدام الاستقرار، والاسباب التي تحدو بالطفل لانتهاج هذا السلوك.

بعد التعرّف على الاسباب يمكن القيام بعملية العلاج من خلال سبل شتّى نشير في ما يلي إلى بعضها:

١ ـ **العلاج الطبّي**: ذكرنا ان هذه الظاهرة قد تكون ناتجة عن آلام جسدية أو امراض عصبية وما إلى ذلك. في مثل هذه الحالة يمكن للطبيب تشخيص

الحالة وتحديد الأدوية ويعتمد اسلوب العلاج الطبي بشأن الاطفال الذين تشتد حالاتهم في اوقات المرض.

٢ ـ ازالة الاضطراب والقلق: من الضروري ازالة اسباب القلق والاضطراب لكي يستعيد الطفل وضعه الطبيعي وحياته الاعتيادية. وعلى هذا الاساس اذا كان في نية الأب أو الأم معاقبة الطفل بسبب اساءة صدرت منه فلابد من الاسراع بتنفيذ تلك العقوبة وعدم اللجوء إلى اسلوب التهديد والوعيد لأن ذلك يضاعف من حالة عدم الاستقرار لديه.

٣ ـ اشباع الطفل من المحبة والعطف: اشباع رغبة الطفل بالمحبّة والعطف امر ضروري لكيلا يتولد لديه شعور بانه مرغم على التشبث بهذا الاسلوب او ذاك من اجل نيل العطف والمحبة. ان معالجة جانب مهم من حالات عدم الاستقرار عند الاطفال تكمن في ابداء المحبّة لهم. بل يمكن القول ان المحبّة افضل غذاء روحي يضمن سعادة الاطفال وهذه الحقيقة يتفق على صحتها جميع الاطباء النفسيين. وخلاصة القول هي ان الطفل ما دام عطشاناً لمنهل العطف والمحبّة فلا أمل في شفائه من هذا الداء.

٤ ـ الاهتمام بالاطفال: يجب على الآباء والامّهات الملتزمين الالتفات إلى حجم مسؤوليتهم بشأن تربية الاطفال اذ عليهم ان يخصصوا لهم ما يكفي من وقتهم وجهدهم. صحيح ان مشاكل الوالدين لا حصر لها؛ وان الوقت والظروف الاخرى لا تتيح لهم الاهتمام بهم، إلاّ انه لا مفر لهم من الاذعان لهذه الحقيقة والاهتمام بأمرهم.

٥ ـ توفير مستلزمات التسلية: يلزم توفير مستلزمات الانشغال والتسلية للاطفال للحيولة دون تسرّب حالة الاضطراب والضجر إلى نفوسهم. وهذا

يستدعي ان نوفر للطفل الادوات والوسائل التي يشغل بها أكثر اوقاته. فالطفل غير قادر على تحمل الوحدة والفراغ، وغالباً ما يسعي لايجاد الوسائل التي يتسلّى بها، وقد تتحول احدى صور اللهو والتسلية إلى ظاهرة الضجر وفقدان الاستقرار.

٦ ـ **تكليفه ببعض الواجبات والمسؤوليات:** من الافضل تكليف الطفل ببعض الواجبات والمسؤوليات الصغيرة لكي يشعر بشخصيته ووجوده ويبدي حرصه من وراء ذلك للالتزام بالضوابط والتعليمات. من جملة الامور التي يمكن ايكالها إلى الطفل مثلاً الاهتمام بأمر الاخ او الأخت الأصغر، واطعام الطيور الموجودة في البيت، أو سقي الأزهار، كما ويمكن تكليفه ببعض الواجبات او المسؤوليات البيتية الاخرى، وهذا يساهم إلى حد كبير في اِلهائه ويتضمن كذلك جانباً بناءً ويحقق له موجبات الهدوء والسكينة.

٧ ـ **التقبل والحماية:** من الضروري تقبّل الطفل في جميع الاحوال والتعبير عن دعمه وحمايته وبالشكل الذي يشعره بالثقة والاطمئنان، ولكي يشعر بانّه ابن امه حقّاً وان اباه يقف إلى جانبه في جميع المصاعب. يجب ان لا يطرد الطفل من البيت مطلقاً لأن الشعور بانعدام الملاذ من الاسباب القوية للاضطراب وفقدان الاستقرار بل يتحتم التعبير له عن مشاعر المحبّة والاعتزاز وان يتذوق طعم ذلك.

٨ ـ **العلاقة والتفاهم:** يجب ان تبنى حياة الطفل على العلاقة الطيّبة والتفاهم المتبادل. فكون الاولياء مشغولين وغارقين في المشاكل ولا فرصة لديهم للاهتمام بامر الطفل، لا يعتبر عذراً مقنعاً بالنسبة له، فهو يريد ان يكون على صلة وثيقة بهم ويقيم معهم روابط مبنيّة على الانس والارتياح. ان وجود

مثل هذه العلاقة يقضي على حالة عدم الاستقرار بل ويساهم أيضاً في الحيلولة دون بروز الكثير من الاضطرابات السلوكية الأُخرى، وحتى انها تعتبر من العوامل المؤثرة في تطبيع السلوك.

٩ ـ **التركيز على الايجابيات:** من جملة العوامل الفاعلة في تطبيع سلوكية الطفل استمالته بالتشجيع والتكريم. ومن الاساليب المفيدة في مثل هذا العمل التركيز على النقاط الايجابية لديه وتشجيعه عليها. لا شك ان هذا يجعل الطفل اكثر ثقة بوالديه وبنفسه ويزيل عنه عوامل الاثارة والاضطراب.

١٠ ـ **النصح والارشاد:** مما يمكن التأكيد عليه هو عدم الغفلة عن ارشاد الطفل ونصحه عند التلبس بأية حالة غير مرضية ففي كل مرّة يبدي فيها الطفل صخباً وضجيجاً ينبغي تنبيهه بان يكون اكثر هدوءاً لأن صوته يزعج الآخرين وان سلوكه هذا خاطىء، وانه يبتعد من خلال تصرّفه هذا عن مواصفات الطفل الجيّد وما إلى ذلك. لا شك ان مثل هذه النصائح مجدية إلى حدٍ بعيد في تقويم مساره الاخلاقي وتحمله على الالتفات إلى وضعه بشكل مستمر.

١١ ـ **الانذار والتهديد:** في بعض الحالات يمكن اتباع اسلوب الانذار والتهديد لغرض توجيه الطفل. فنحن قادرون على ارغامه على الاصغاء لارشادات الآخرين. واذا ما تكرر الخطأ نلجأ إلى اسلوب الانذار والتهديد مع الابتعاد ما امكن عن اسلوب العنف وبالشكل الذي لا يترك على نفسية الطفل أيّة تأثيرات سلبية، كما لا ينبغي تكراره بشكل متواصل لأنّه في مثل هذه الحالة يفقد تأثيره.

١٢ ـ **العقوبة:** فاذا لم تنفع كل الاساليب المذكورة فلابد حينها من اللجوء إلى اسلوب العقوبة حتّى وان كان الهدف هو الردع الفوري والسريع عن السلوك المشاكس شريطة التأكّد من حتمية الفائدة في تقويمه أو اصلاح سلوكه.

ما ينبغي اجتنابه

ان اصلاح سلوكية الطفل المؤذي والمشاكس يتطلب اجتناب بعض الاساليب والممارسات بسب تأثيرها السلبي ونتائجها الضارة، ومن جملتها:

١ ـ **وصمه بالمعايب**: ان مثل هذا الطفل حتّى وان كان كثير الشغب ومثيراً للصخب الا ان هذه الحالة لا تجيز لنا وصمه باوصاف ونعوت قبيحة مثل المؤذي أو المشاغب لأن مثل هذا العمل يؤدي إلى تثبيت تلك الصفة في نفسه ويشعره باحقّيته في تصرفه هذا، فالشخص الذي يتّهم بتهمة ما يتخذ في بداية الأمر موقفاً دفاعياً يحاول من خلاله تبرئة نفسه ولكنّه حينما يلمس اخفاق مساعيه يتجه نحو ممارسة نفس ذلك العمل الذي يوصف به.

٢ ـ **الافراط في العقوبة**: اذا كانت العقوبة لا تتناسب مع حجم الاساءة، تساهم في الانحدار بوضعية الطفل نحو الأسوء وخاصّة حينما تكون الاساءة أو اثارة الضجّة نابعة من رغبته بالانتقام او كانت بدافع الشعور بالخيبة والاخفاق. الطفل يتقبل العقوبة العادلة ولكنه اذا أحس فيها نوعاً من الجور يتجه نحو الاسوء.

٣ ـ **الضغط وايجاد عوامل القلق**: يجب علينا ان لا نضغط على الطفل من خلال حساباتنا الخاطئة، فلا نطلب منه ما يعجز عن ادائه لأن مثل هذا العمل يفضي إلى تفاقم مبررات قلقه. وحينما نطلب منه القيام بعمل ما لا نتشدد كثيراً في وجوب التمسك بالتنفيذ الحرفي، بل لابد من التسامح والتغاضي عن بعض الاخطاء والهفوات التي تصدر منه، وان نتركه يؤدي العمل بملء رغبته.

٤ ـ **كثرة الاوامر والنواهي**: يجب عدم الاكثار من الأوامر والنواهي الصادرة للطفل، ولاتكون الاوامر قاطعة وحادّة وانما يفترض ان تكون علاقتنا

به علاقة الوالد بالولد لا علاقة الآمر بالمأمور، فهنالك فارق كبير بين البيت والثكنة العسكرية. والاوامر الصادرة إليه يجب ان تكون بالحجم الذي يطيقه مع اجتناب الأوامر التي نعلم بان الطفل لا يمتثل لها أو يعجز عن تنفيذها.

٥ ـ **الغطرسة والاستبداد:** ان الاساليب المستبّدة في التربية قد شارفت على الزوال، فقد اكتشف الناس منذ سنوات متمادية ان الاستبداد مصيره الفشل، وهو حتّى وان كان ظاهره اليوم ناجحاً ومجدياً إلاّ ان نتائجه المستقبلية باهتة ومحدودة. ربّما ينفّذ الطفل أوامرنا خوفاً ولكن من المؤكد أنّه سيضرّ بنا في موضع آخر ويعيق بعض عملنا.

ثمة نقطة أخرى جديرة بالذكر وهي ان الضغط والاكراه يؤثر سلبياً على الطفل ويقتل استعداده الفطري. والطفل الذي يؤدّي الاعمال تحت اكراه الوالدين والتربويين يتحول في المستقبل القريب الى شخص ضعيف مسلوب الارادة.

ارشادات وملاحظات

واخيراً فهنالك جملة من الارشادات والملاحظات التي يجدر الاهتمام بها والالتفات إليها على طريق استمرار منهج الاصلاح والتربية وازالة معوقات النضوج والتكامل، نشير في ما يلي إلى بعضٍ منها:

١ ـ لا ينبغي الامتعاض كثيراً بسبب وجود حالة عدم الاستقرار عند اولادكم، فليس اكثرها سوى عاصفة تهب فجأة وما تلبث ان تزول اثارها بعد ايام معدودة.

٢ ـ بعض حالات عدم الاستقرار تعتبر جزءاً طبيعيّاً من مسيرة حياتهم لذا

فهي لاتستدعي الحرص على القضاء عليها بالكامل.

٣ ـ اسلوب التدقيق وامعان النظر في سلوك الاطفال واعمالهم وتصرفاتهم غير مرغوب فيه واثارة استيائهم بين الفينة والاخرى عمل غير لائق ولا يمكن ان ننصح به.

٤ ـ اسلوب العطف واللين انجح من اسلوب الاكراه والعنف.

٥ ـ يجب غض النظر في بعض الحالات عن اخطاء الاطفال لكيلا تدفع بهم نحو مزيد من التمرّد والعناد.

٦ ـ تجنّب الكثير حالات الغضب والفوران يجعل صورة الولي والمربّي اكثر قبولاً عند الطفل وبعكسه يندفع الطفل نحو التصلب والتمادي في الخطأ.

٧ ـ يلزم ان تكون بيئة الطفل هادئةً وخاليةً من عوامل الاثارة والعناد من أجل الحيلولة دون تفاقم مظاهر انعدام الاستقرار.

٨ ـ ينبغي توفير عوامل الشعور بالأمان والارتياح والثقة بالنفس قدر الامكان ليكون اكثر قدرة في الوقوف على قدميه ولايستشعر القلق من تقلّب الظروف والاوضاع المحيطة به.

التمرّد والعناد عند الاطفال

تقديم

ان حالة التمرّد والعناد تعد من جملة انواع السلوك المضطرب التي تلاحظ عند الكثير من الاطفال وتنم عن مشاعر النفور والكراهية للوالدين وبقيّة الاشخاص المحيطين بهم.

نعرف الكثير من الاطفال الذين يتخذون مواقف مخالفة للاوامر والنواهي الصادرة من الوالدين ويتمرّدون عليها فيحولّون بذلك حياتهما إلى جحيم.

قد تنبثق هذه الظاهرة عن وعي وارادة حيناً أو عن غير وعي حيناً آخر، أي ان تكون على هيئة العادة، وهي في الحالتين تعكس الوضع غير الطبيعي للاطفال وهذا ما يستلزم القيام بدراسة شاملة لمجمل حالتهم لغرض التحكّم بسلوكهم.

وصف سلوك المعاندين

للاطفال المعاندين سلوك خاص لا يتطابق ـ في جميع الاحوال ـ مع السلوك الطبيعي. ومن جملة المظاهرة المميزة لسلوكهم ما يلي:

١ ـ ابداء العناد والتمرّد على الأوامر والتعبير عن عدم الرضا ازاء بعض الامور حتّى وان كانت موضع اهتمامهم ورغبتهم.

٢ ـ حينما يرغبون بالحصول على شيء ما، يعبّرون عن ذلك بالبكاء ويحاولون الحصول عليه بأية طريقة ممكنة.

٣ ـ عندما يلمسون رفضاً من الوالدين لمطاليبهم ينمرغون في الارض

ويكثرون من النحيب ويتعمدون ازعاج الآخرين، وبعد تحقيق رغبتهم ينقلب الموقف إلى هدوء تام وكأنَّ شيئاً لم يكن.

٤ ـ يبدون الاستهزاء احياناً باوامر الوالدين ويسخرون منها تعبيراً عن حالة العناد ازاءها.

٥ ـ حالات العناد هذه تكون مصحوبة احياناً بالضرب والعض والتخريب والصخب والعدوانية وبشكل لا تجدي معه نفعاً ارشادات ونصائح الوالدين.

٦ ـ قد يتمثل العناد احياناً بالاضراب عن الطعام أو العبث عند النوم او على هيئة الاعتداء على الضيوف أو على المضيّف، وقد ينام جائعاً أو حزيناً على أن لا يستسلم لآراء الآخرين.

صفات الأطفال المعاندين

الطفل المعاند متمرّد وعصبي، كثيراً ما يثير الضجيج والصخب فيحوّل حياة والديه إلى عناء وعذاب. يبدي لهما التحدّي والرفض لجميع مطالبهما.

يتّسم الطفل المعاند بالنزق وسرعة الغضب لأي سبب ولأدنى إثارة ليبدأ بعدها بالازعاج والأذى فيقوم بركل الأرض برجله ويتمرغ على الارض ويبكي بشدّة ثم يفرغ ما يعتمل في نفسه على رؤوس الآخرين، واذا عجز عن ذلك يفرغ غضبه على ما تناله يده من الادوات ووسائل اللعب.

غالباً ما يعمد الطفل المعاند إلى تجنّب الانعكاسات الناتجة عن تمرده وعناده فيتظاهر بالبراءة ويختلق لنفسه الاعذار والتبريرات، ويظهر وكأن والديه قصّرا بحقه وتسبب في ايذائه.

جذور العناد

ينبثق عناد الطفل عادة من شقائه، والطفل المعاند انما يعبر في حقيقة الحال عن وضع غير طبيعي يمر به، وهو على هذا الاساس راغب بممارسة عمل وفق ارادته ولا يريد لأحد التدخل فيه.

يمتاز الطفل برغبة عارمة في التسلط ويميل الى حبّ الرئاسة والإمرة ليطفىء دوافع الغرور والانانية في نفسه، وهو مبدئياً يرفض تسلط الوالدين والتربويين ويرى فيهم منافسين له ويجب عليهم التقهقر امام ارادته والاقرار له بالغلبة.

كما ويمكن البحث عن جذور التمرد والعناد في تضارب العواطف وحالات الانفعال الحاد، وفي نفس الوقت يجب الاعتراف بوجود جوانب مجهولة كثيرة في حياة الطفل المعاند، أي أن العوامل التي تدفعه نحو العصيان والعناد غير معروفة على وجه الدقّة.

الفرق بين الإرادة والعناد

يبدو من الضروري ان نشير هنا إلى الفرق بين الارادة والعناد عند الطفل لنرى ما بينهما من الاختلاف، وما هو الجانب الذي يتطلب التهذيب والرعاية، وأيّاً منهما يستوجب المحو والازالة.

الحقيقة ان الارادة هي تعبير عن الشخصية المهذّبة وتستهدف غرضاً معيناً يمكن تحديد صحته او سقمه وفقاً للأسس والمبادىء الدينية أو بناءً على

مقتضيات العرف، بينما لا تعكس حالة العناد الاطغيان الاهواء والميول ولايبغي من ورائه الطفل سوى تحقيق مطاليبه بأية صورة ممكنة بسبب عادة مقيتة مغروسة في نفسه. وبعبارة أخرى ينم العناد عن نوع من الرغبة في التسلّط، ومتى ما رأى الطفل ما يقيّد ارادته وحرّيته يبدي العناد ويظهر الغضب وتتحول هذه الحالة إلى ما يشبه المرض المزمن الذي يهيمن عليه بصورٍ شتّى.

دوافع الجرأة في ظاهرة العناد

اما السبب الذي يبعث بالطفل على العناد ويشجعه على الجسارة فهو الاسلوب التربوي المغلوط الذي يتّبعه كل من الأب والأم، وذلك حينما يدرك من خلال تجربته في البيت وجود مجال للتمرّد والعصيان.

ولتوضيح الفكرة نشير إلى ان بعض الأُسر أو الاشخاص التربويين لا ينتهجون اسلوباً واضحاً ومنهجاً مدروساً يجعل موقفهم واضحاً ازاء مختلف تصرفات الطفل، ونتيجة لهذا فهم يتبعون في كل ساعة اسلوباً مغايراً لما قبله.

يدرك الطفل خلال مسيرته التربوية انه اذا اخفق في نيل مراده فان امامه طريقاً آخر يرغم الأبوين من خلاله على الرضوخ له وتحقيق مطاليبه. وعلى هذا المنوال فهو يستغل الاسلوب التربوي للوالدين سعياً وراء محاصرتهم واخضاعهم لرأيه.

العناد باختلاف السن والجنس

لا شك ان العناد موجود لدى الفتيان والفتيات وكلاهما يمارسان العناد في

ظروف واوضاع خاصّة، لكن الحقيقة انه عند الفتيان اكثر مما عند الفتيات باضعاف مضاعفة وكذا الحال في مجال التمرّد والعدوان اذ انهم يبدون مزيداً من التصلّب في هذا المجال.

اما بشأن عامل السن فيمكن القول ان امثال هذه الاضطرابات السلوكية تزداد عند الاطفال في سنوات معيّنة من اعمارهم وفي حالة عدم معالجتها تترسخ في نفوسهم وترغمهم على انتهاج نفس ذلك المسار غير القويم في السنوات اللاحقة.

تبدأ ظاهرة الخلاف والعناد لدى الطفل منذ السنة الاولى وتبلغ ذروتها في السنة الثانية من العمر، وتصل به الحال حتّى إلى مخالفة نفسه ومعاندتها. هذه المرحلة من العمر يطلق عليها سن العناد وفيها يبدي الطفل رغبة عميقة بالتصرف على هواه من غير ان يمنعه احد من ذلك.

وخلال الفترة المحصورة بين السنة السادسة والسنة التاسعة من العمر ـ حيث لاتزال خصلة العناد على اشدّها ـ يسعى الطفل خلال هذه المدّة إلى الانعتاق من التبعية للأب والأم. وفي سن العاشرة تعتريه ميول غامضة تدعوه للتحرر من القيود العائلية وما تنطوي عليه من اوامر ونواهي، واثبات وجوده واستقلال شخصيته.

من هم الاشد عناداً؟

اما من هم الاشخاص الاشد عناداً؟ فسنتعرض لجواب هذا السؤال في موضوع اسباب ودوافع شدّة العناد، الا اننا نشير في ما يلي إلى ان العناد اكثر ما يكون:

١ ـ عند الاطفال المرضى اكثر من الاطفال الأصحّاء.

٢ ـ لدى من اعتادوا في طفولتهم على الدلال والمحبة المفرطة.

٣ ـ لدى من لم ينعموا برعاية الابوين ونشأوا في ظل حياة مضطربة.

٤ ـ واخيراً لدى الاطفال الذين يمتاز آباؤهم وامهاتهم بالنزق وعدم التحمّل فيستجيبون لكل طلباتهم تخلصاً من شرهم وصخبهم، فتتحول هذه الحالة إلى عادة راسخة فيهم.

أسباب العناد ودوافعه

هنالك أسباب ودوافع متعددة تجعل الطفل مولعاً بالعناد واهمّها:

١ ـ الاهمال: يؤدي اهمال الوالدين لشؤون طفلهم إلى ان يتحول بالتدريج إلى شخص معاند وكثير الالحاح، ولهذا الاهمال ـ طبعاً ـ اسباب متباينة منها كثرة مشاكلهما ومشاغلهما، وعدم وجود الوقت الكافي للاهتمام بالأولاد فرداً فرداً بالنسبة للأسر الكثيرة الاطفال، والانشغال بمجالس اللهو عن تخصيص الوقت الكافي لرعاية الاطفال وإلى آخر القائمة من الاسباب. في بعض الاحيان يقع الطفل على الارض ويتمنى لو كانت امّه حاضرة عنده لتمسح بيدها على رأسه، إلا انه لا يحظى طبعاً بمثل هذا الموقف.

٢ ـ الحرمان: الحرمان بكل اشكاله يخلق حالات العناد وخاصة الحرمان من حنان الامومة وهو ما يحتمل ان يؤدي في بعض الحالات ايجاد ميول عدوانية وتدميرية. تشتد حالة العناد حينما يدرك الطفل أنه قادر من خلالها على تحقيق مطاليبه، وكذا الحال في حرمان الطفل من التحرك وتقييد حرّيته. وهذا يعتبر بذاته صعوبة أخرى في هذا المجال.

٣ ـ الاحتياجات الملحّة: الاحتياجات الشديدة تـدفع بـالطفل الى العـناد. فالطفل الذي يعاني من التعب الشديد يشعر بحاجة ملّحة للاسـتراحـة، ومـن يشعر بالجوع يحتاج للطعام، وتحملّ الآلام الشديدة يستلزم الهدوء والسكينة. وفي مثل هذه الاوضاع يعبر الطفل ـ وخاصة الصغير ـ عن حاجته بمثل هـذه الطريقة.

٤ ـ استبداد الوالدين: في بعض الحالات يتهرّب الطفل من والديه إذا كانا يتّصفان بالاستبداد وربّما يكون على استعداد للمجازفة من اجل التخلّص من هذا الوضع. فالطفل مجبول على عدم الخـضوع ولا يـرتضي اطـاعة الأوامـر والنواهي ويرى فيها عاملاً يتعارض واستقلاله، ولذلك ينتهج اسـلوب العـناد للتخلص منها.

٥ ـ التربية السيّئة: يتعلم الطفل من والديه في بعض المواقف ان المصاعب والمشاكل تحل عن طريق القوّة، أضف إلى ان الطبيعة الاكتسابية عند الطـفل تجعله في وضع نفسي يملي عليه اتّباع هذا السلوك او ذاك، والفارق الوحـيد بين سلوكه وسلوكهما هو انهما يمتلكان القدرة والقوة والقابلية على الاستبداد بينما هو قاصر عن ذلك.

٦ ـ الاختبار: في كثير من الحالات يعمد الطفل إلى اختبار الأب والأم ليرى هل انه قادر على مجابهتهما وتحدّيهما أم لا؟ فـيتبع اسـلوب البكـاء والعـناد لتحقيق مطاليبه، ويفهم من خلال ذلك امكانية فتح هذا الباب في التعامل مـع الوالدين والتربويين. فان نجح ونال مراده استمر على نهجه هـذا وإلاّ لجأ إلى اسلوب آخر.

٧ ـ الاخفاقات المتتالية: الطفل الذي يتعرض إلى اخفاقات متعددة ومتوالية

ولا يستطيع احراز أي نجاح في حياته، يتّجه تدريجياً نحو سوء السلوك وسوء الخلق. فالفشل في اللعب وفي الترفيه، وفـي جـلب اهـتمام الوالديـن، وفـي منافسة الآخرين يحطم شخصيته. ومثل هذا الطفل يعجز عن اقـامة عـلاقات سليمة مع الابوين والتربويين ولا يمكنه عرض مطالبيه بشكل طبيعي.

٨ ـ **عدم استجابة الوالدين**: نحن لا نـطلب مـن الأبـوين والتـربويين ان يكونوا للطفل خدماً مطيعين يلبّون له كل مطالبيه؛ الا ان الواقع يستدعي اتّخاذ مواقف مدروسة ازاءها.

أمّا إذا كنّا بصدد عدم الاستجابة له بالشكل المقنع فلابد من اتّباع اسـلوب يجمع بين الوعد والوعيد ليشعر من بعده بالارتياح. فالبعض يتصور وجـوب عدم الاستجابة لطلبات الطفل باي شكل من الاشكال لكيلا ينشأ على التملق والضعة، وهذا تصور واهم طبعاً.

٩ ـ **الاضطرابات العصبية**: تشكل الاختلالات والامراض العصبية سـبباً من اسباب ظهور هذه الصفة. نحن نعرف بعض الاطـفال الذيـن يـعانون مـن الامراض العصبية حتّى ان حالات العراك والعناد لديهم تـتخذ طـابعاً عـصبياً معقّداً، وهم في صراع دائم مع كل شـيء. ويـتصفون بشـدّة الغـضب وعـمق الاضطراب، وتحدوهم رغبة عارمة في تحقيق مطالبيهم عـن طـريق البكـاء والعناء.

١٠ ـ **العجلة**: يبرز عناد الطفل احياناً من الاستعجال وفقدان الصبر. فالطفل عجول وليس له من الصبر ما لدى الآخرين إلى ان يحقق هدفه. حينما يكون الطفل جائعاً ولا يرى من امه أي استعجال في اعداد طعامه، او قد يتطلب اعداد الطعام وقتاً طويلاً، وفي مثل هذا الموقف يفقد الطفل صـبره ويأخـذ بـالبكاء

والصراخ. واذا تكرر مثل هذا الموقف يتخذ اعتراضه وعناده صورة أكثر جدّية.

١١ ـ الاندفاع الذاتي: في بعض الحالات يندفع الطفل تلقائياً ويضغط على نفسه من اجل ان يكون طفلاً جيداً أمام والديه، فيحرص على تنفيذ اوامرهما بدّقة ويكف عن الايذاء.

وهذا الضغط على الذات يؤدي بشكل طبيعي إلى التعب والملل والضجر وتتمخّض عنه رغبة في العناد واثارة الصخب. قد يستطيع التزام الصمت والهدوء ليوم او يومين ولكن حينما ينفذ صبره يذيق والديه من العناد والأذى عذاباً مضاعفاً.

١٢ ـ اظهار القدرة على المجابهة: يبدي الطفل احياناً العناد والالحاح ليظهر بذلك قدرته على التصدّي والمجابهة فالطفل حينما يطلب من ابيه او من امّه شيئاً ولايعيرانه اهتماماً يلجأ إلى اسلوب البكاء، فينال منهما العقاب ولكنه لا يهدأ ويواصل البكاء والعزوف عن الطعام حتّى يضطرهما في نهاية الامر للخضوع لمطاليبه. وهذه التجربة تشجعه على معاودة هذا السلوك في المرات القادمة.

١٣ ـ الامراض المتوالية: الطفل الذي يعاني من الامراض المتوالية بحاجة للمزيد من الرعاية والاهتمام والملاطفة. فكثرة الامراض تجعله يألف الاوجاع والآهات الى ان يتحول هذا الوضع إلى عادة متجذّرة في أعماق نفسه. مثل هذا الطفل يواصل هذا السلوك حتى في حالة الصحّة والسلامة فلا يطلب من والديه شيئاً الا وكان مصحوباً بالآهات والنحيب، إلى ان تصير هذه الخصلة جزءاً طبيعياً من حياته.

١٤ ـ الولادة الجديدة: يبدأ عناد الطفل احياناً منذ ولادة طفل جديد

لاسر ته لأن المولود الجديد يستحوذ على الجانب الاكبر من رعاية واهـتمام الوالدين. والطفل بطبيعته عاجز عن طرح موضوع تعسف وتمييز الوالدين مما يدفعه الى التعبير عن عقده الداخلية بواسـطة العـناد والتـمرّد. اي ان الحسـد والمنافسة تعد من عوامل عناد الاطفال.

ثمّة عوامـل أخـرى لهـذه الظـاهرة كـالشعور بـالقمع الشـديد للـرغبات والانكسارات المتواصلة، وعدم تلبية الرغبات المشروعة، وعدم مبالاة الطفل بوالديه بسبب الجرأة التي منحوه إيّاها، الرغبة في التسـلط و... الخ الا انـنا لا نخوض في شرح تفاصيلها هنا مراعاة للاختصار.

عوامل تفاقم العناد

يبدو من المناسب هنا التطرق إلى العوامل التي تلعب دوراً مؤثّراً في تفاقم العناد والتي تمهّد الأرضية لمزيد من التمرّد عند الاطفال وهي طبعاً عـوامـل متعددة ومتباينة ونقتصر هنا على شرح الاكثر أهمية منها وعلى الشكل التالي:

١ ـ **الاسلوب الخاطىء في التربية**: يتراءى لنا ان الاسلوب التربوي الذي ينتهجه الأب او الأم في بعض الحالات يفضي إلى جعل الطفل وقـحاً ومـيّالاً للتسلط وكثير الايذاء. وقد يبديان له من الحنان والمحبّة ما يجعله يتصورهما خادمين له، وما عليهما ـ اذا طلب شيئاً ـ الا التنفيذ. من البديهي ان طفلاً كهذا حينما يواجه بعض القيود والموانع يسعى جاهداً لمجابهتها مستهدفاً من وراء ذلك تحقيق رغباته بأية وسـيلة مـتاحة، حـتّى وان كـانت بـالعناد وازعـاج الوالدين.

٢ ـ البيئة السيّئة: يعيش الطفل احياناً في وضع عائلي ومعاشي سيّء وغير مرضٍ بالنسبة له. فهو لا يطيق تحمل الصراعات المتواصلة والعلاقات العدائية بين أبوية، لكنّه لا يمتلك الجرأة أو القدرة على الاعتراض او التحدّث في هذا الموضوع ولايجد مفراً امامه سوى التنفيس عن همومه عن طريق العصيان والتمرّد واختلاق الاعذار.

والدليل الذي يؤيد هذا الادّعاء هو ما ان تتحسن العلاقات العائلية حتّى يشعر بالبهجة ويكف عن عناده.

٣ ـ ضعف الوالدين: ذكرنا ان الاسلوب التربوي الذي يتبعه الابوان ربّما يؤدي إلى نشوء طفل مستبد ومغرور لا يعيرهما أي اهتمام ويجلب عليهما البلاء والألم. وفي امثال هذه المواقف بدلاً من اتّخاذ الابوين الضعيفين لمواقف حازمة ومناسبة نجدهما يتخذان موقفاً ينم عن العجز والضعف او يندبا حظّهما العاثر وهذا ما يشّجع الطفل على التمادي مستغلاً نقطة الضعف هذه مما يزيده عتواً وايغالاً في عناده.

٤ ـ العنف: يستخدم بعض الآباء والامّهات اسلوب العنف في التعامل مع الطفل لكيلا ينشأ على التملّق والتحلل. واذا ما تكرر استخدام العنف أدّى الى تهيئة الأرضية الخصبة للخروج عن جادة الصواب والاتجاه صوب خصلة العناد. اما اذا أدّت ظروف طارئة الى معاودة اسلوب العنف والقسوة خلال فترة وجيزة فان الوضع السلوكي للطفل يسير من السيء الى الأسوء وتتضاعف معاناته.

٥ ـ اسلوب الضرب: يتغيّر موقف البعض فجأة ويتحوّل بعد سنوات من

مجاراته لعناد الطفل ويقرر التعامل معه بنمط آخر غافلاً عن ان الطفل قد اعتاد على وضع يستحيل معه اصلاحه بين ليلة وضحاها. وفي مثل هذا الظروف يبدأ الاهل بممارسة اسلوب جديد الا وهو اسلوب الضرب بغية اخضاعه غير ملتفتين الى ان الضرب يساهم في تعميق روح العناد. فالاسلوب التدريجي اجدى بكثير من الاسلوب الآني أو الفوري.

٦ ـ **اعتلال الصحّة**: من الاسباب التي توقع الطفل احياناً في التمرد والعناد هو سوء الوضع الصحّي. فقد ظهر من خلال الدراسات العلمية ان الحالة المزاجية تدخل في عداد العوامل التي تؤثّر على المزاج، ومن مظاهرها: الامراض العضوية، جفاف المزاج، وجود الديدان المعدية، سوء الهضم واضطراباته، والآلام المتواصلة وغير ذلك.

٧ ـ **اصدقاء السوء**: وهذا عامل آخر من جملة العوامل التي توجد حالة العناد عند الطفل لأن صديق السوء تنتقل عدواه الى اصدقائه. وعواطف الاطفال ـ كما نلاحظ ـ ذات تأثير متبادل كالضحك، البكاء، الفرح، الحزن، العناد، والطاعة. والطفل الذي يخالط اشخاصاً يتّصفون بالعناد يأخذ عنهم نفس ذلك السلوك ويطّبقه في حياته اليومية.

٨ ـ **كثرة الاوامر والنواهي**: لوحظ ان كثيراً من صور العناد والتمردّ سببها الآباء والأمهات وذلك حينما تصدر أوامر إلى الطفل من قبل الاب أو الأُم دون الالتفات الى استطاعته وقدرته على التنفيذ فتكون النتيجة المعارضة والعناد من الطفل وعند اللجوء الى اسلوب العقاب يزداد سوءاً ويصبح الطفل اكثر الحاحاً.

توجد عوامل أخرى يمكن اضافتها الى ماذكر من جملتها: التعب المستمر، والخمول، وجود آلام داخلية، حدّة المزاج المتأتّية من الامراض العصبية أو الانكسارات النفسية المتواصلة، واستشعار الهلع والاضطراب لأي سبب كان و...الخ.

الاعراض والاضرار:

خصلة العناد لها أضرار كثيرة على الطفل والوالدين والمحيطين به. فهو ـ اي العناد ـ يجعل حياة الاسرة مليئة بالمعاناة والضجر وينتهي باثارة الاختلاف بين الزوجين. واستمرار هذه الحالة يهدد الحياة المستقبلية للطفل لأنه حينما يألف وضعاً معيناً يصبح من الصعب انقاذه منه بل وان مقتضى العادة يفرض عليه تطبيق هذا الاسلوب على الآخرين أيضاً في حين ان الآخرين يقابلونه بالرفض.

وفي بعض الحالات قد يؤدي الغضب الناتج عن العناد الى اصابة الطفل بلكنة لسانية بحيث لا يستطيع السيطرة على مشاعره او يفقد قدرة التعبير عنها وحتى ان الحالات الشديدة من العي واللكنة ربّما تشل بعض طاقاته، او تجعله عرضة لبعض المخاطر.

موقف الوالدين:

لا شك ان الابوين يتحمّلان العناء الاكبر من عناد الطفل لانه يزعجهما ويثير كوامن غضبهما. يواظب الكثير من الآباء والامهات على الاحتفاظ برباطة

جأشهم ازاء مثل هذه السلوكية التي يبديها الابناء، لكن البعض الآخـر يـبدي امتعاضه منها ولايخفي انزعاجه ومعاناته.

اساساً يجب النظر الى هذا السلوك على انه سلوك غير طبيعي، ونحن على ثقة ان هؤلاء الاشخاص يستعيدون وضعهم الطبيعي في ما بعد اي في مرحلة النضوج، الا ان الضرورة تستدعي انقاذهم حالياً من اجل راحة والديهم فنحن نتصور ان الطفل المعاند يؤدّي إلى شيخوخة ابويه في وقت مبكّر ويجلب لهما الضجر والهموم، ويتسبب كذلك في ازعاج ومضايقة الضـيوف أو المـضيّفين ويسلبهم الاستقرار والراحة.

وجوب التصدي لهذا السلوك

نؤكد هنا على الآباء والأمهات والتربويين بضرورة عدم الاستسلام امام هذا السلوك حينما يبدر من الطـفل، وان لا يـعوّدوه عـلى نـيل مـطالبيه بـالبكاء والالحاح. ونحن نرى ان مثل هذه الخصلة يجب ان لا تتجذّر في نفس الطفل ويجب ان لايتكّون في ذهنه تصور يوحي له بأنَّ جـميع افـراد العـائلة رهـن اهوائه ورغباته.

وعلى هذا الاساس يتضح لنا ان التصدي لهذا السلوك ومعالجته يعد أمراً في غاية الاهمية، ولابد من ترويضه منذ الطفولة على اطاعة الوالدين والتربويين لتكون لهم في المستقبل شخصيتة محببة. ولذا يجب تقويم شأنـه بأسـرع مـا يمكن لأنه في حالة تكريس هذا الوضع يصبح من الصعب اصلاحه ناهيك عمّا يعانيه ذووه خلال هذه المدّة من ألم وعذاب. كما اثبتت التجارب ان مثل هذه الخصلة تنتقل بالعدوى، والويل لو أضحى سلوكه هذا درساً ومثالاً يقتدي به بقية الاطفال.

هنالك امل طبعاً بان يسلك مثل هذا الطفل منهجاً قويماً ويتحول عناده إلى طاعة وهدوء. وصفات الاطفال على العموم تتّسم بهذا الطابع؛ فهم يبكون في لحظة وينتقلون بعد دقيقة الى الضحك والبهجة. وسريعاً ما يحزنون وسريعاً ما يفرحون، ويتيسر بكل سهولة عطف اهتمامهم من مسألة إلى اخرى.

معرفة الأسباب والدوافع

ان معالجة السلوك غير الصحيح عند الطفل والحيلولة دون بروز اي تصرف بعيد عن الاستقامة يقتضي أوّلاً معرفة السبب الأساسي لبروز هـذه الخـصلة، ووقت حدوثه، والاوقات التي تتفاقم فيها هذه الحالة، وما هي المؤثّرات التي تزيد العناد عند الطفل، وما هي الامور التي تؤمّن وداعته، وعلى العموم ما هي التدابير الواجب اتّخاذها لكي لا يكرر هذه التصرّفات؟

امّا التأكيد على تشخيص جذور ودوافع هذا الانحراف فيعزى الى ان كـل حالة من حالاته تستلزم اتخاذ موقف معين ازاءها. فعلى سبيل المثال اذا كان مصدر العناد هو الحسد فعلى الآباء والامهات اتخاذ موقف معيّن ازاءه، اما اذا كان سببه منبثقاً من مرض عصبي فالظرف يحتّم اتّباع اسلوب آخر.

اي لابد من اتخاذ القرار الذي يتناسب مع ذلك الظرف.

أساليب العلاج

قلنا بضرورة معالجة عناد الطفل وتقويم سلوكه، وهذا يتم من خلال ثلاثة اساليب، وهي: الاسلوب الطـبي، الاسـلوب النـفسي، والاسـلوب التـربوي، ونتناول في ما يلي كل واحد منها بالدراسة مع مراعاة جانب الاختصار:

أ ـ الاسلوب الطبي:

لا مبرر للاطالة في هذا الباب لكونه عملاً تخصصياً وله اهله من ذوي الفن والخبرة. ونقتصر على اشارة اجمالية له وهي أن مصدر الكثير من حالات العناد نابع من اسباب عضوية وعصبية فاذا ماتمت معالجتها ستزول الاعراض الجانبية الناتجة عنها بشكل تلقائي، اما الخطوة الاولى التي يجب اتخاذها بشأن الطفل الذي يعاني من امثال هذه الاضطرابات السلوكية فهي التأكد من عدم اصابته بأية اعراض عضوية. والطبيب المختص هو الذي يدلي برأيه في هذا الصدد.

ب ـ الاسلوب النفسي:

للعناد ـ في بعض حالاته ـ سبب نفسي اذا تم اصلاحه فانّ هذه الحالة عند الفرد يتم اصلاحها تلقائياً. وهنا يتحتم على الوالدين والمختصين بالامور التربوية التعامل بايجابية مع روح الطفل لكي يضفوا عليه موجبات السكينة والاستقرار. واذا ما برز الى السطح اي اختلال نفسي صار من الواجب الاسراع لمعالجته. واذا كان فقدان الثقة يثير فيهم الألم فلابد من المبادرة للاصلاح.
نتاول في ما يلي مجموعة من النقاط الجديرة بالذكر وأهمها:

١ ـ **الاحترام والمحبّة**: يجب ان يقوم البناء التربوي للطفل على هذا الاساس، وينبغي أن يحظى بالاحترام. فقد وردت عن الرسول ﷺ توصيات عديدة تؤكد على وجوب احترام الطفل. والمختصون بالشؤون التربوية يؤكدون اليوم على هذه النقطة أيّما تأكيد ويضيفون الى ذلك وجوب اقتران الاحترام بالمحبّة.

يمكن تقويم سلوك الطفل من خلال ابداء الاحترام والتعبير عن المحبّة، وعندما تقتضي الضرورة نطالبه بلزوم الطاعة.

٢ ـ تفهّم مشاعره: حينما يقوم الطفل بابداء الالحاح والعناد ولاسيما في الوقت الذي يكون فيه محقاً في التمرّد والتذّرع؛ لا مناص حينئذ من الاصغاء إليه وتفهم مشاعره ومجاراته في طلباته وهذا ما يؤدي الى ارتياحه ويدفعه الى التعقّل في طرح رغباته. والحقيقة ان الطفل حينما يلمس من والديه التّفهم والاستجابة يميل الى الهدوء والسكينة.

٣ ـ الحث على التكلّم: واحياناً يمكن الدخول في حديث حتّى مع هذا الطفل الصغير ولكن بالاسلوب الذي يفهمه من اجل اكتشاف السبب الذي يدفعه نحو العناد، وما الداعي لعدم الاصغاء لكلام الوالدين؟ وما الباعث على انزعاجه؟ ولماذا يتصرف على هذه الشاكلة؟

الطفل يتحدّث عادة بصراحة وصدق عن مشكلته، ونفس هذا الحديث يعتبر بالنسبة للطفل بمثابة المتنفّس عمّا يختلج في نفسه، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى يقودنا الى معرفة السبب في انحراف سلوكه، وهذا ما يجعلنا اكثر قدرة على اتّخاذ الموقف الصحيح ازاءه.

٤ ـ الاهتمام بشخصيّته: وهذه من المسائل المهمّة التي تفتح باب التفاهم في ما بين الطفل والوالدين والتي يمكن استثمارها في بعض الظروف لصالح كل من الطفل والأبوين. فالتعامل مع الطفل لابد وان يكون عقلانياً ومدروساً بعيداً عن الاستهزاء بمشاعره، ويفترض أيضاً ان يدرك بانهما لا يستخدمان معه منطق القوّة بل يأخذان عواطفه ومشاعره بنظر الاعتبار وهذا ما يساعد على ايجاد حالة من السكون عند الطفل والاتجاه نحو الكف عن هذه العادة.

٥ ـ التجاهل: واخيراً، اذا ما فشلت جميع الخطوات المشار إليها آنفاً، يمكن استخدام اسلوب التجاهل، فالطفل حينما يعاند يمتنع حتّى عن تناول الطعام، وحينها لا يجب على الأبوين الاصرار على وجوب تناوله الطعام. فالمصلحة قد تقتضي احياناً تركه وشأنه ليصرخ كيفما يشاء وليثير ما يحلو له من الضجيج، وحينما يجد ان الطريق مغلق امامه ولا يمكنه الضغط على والديه بهذا الاسلوب، يضطر للعدول الى طريق آخر. اي ان تجربة هذا الاسلوب عدّة مرّات تنفع كثيراً وتخمد في اعماقه مثل هذه الاثارات.

ج ـ الاساليب التربوية:

الطفل كائن عديم التجربة ويستوجب الرأفة به. يسلك احياناً طريقاً يظن فيه سعادته الا انه يدرك بعد مضي فترة قصيرة بان هذا الطريق يوصله الى التعاسة والشقاء؛ ولهذا فلابد من مساعدته لئلا يسقط في مثل هذه المنزلقات. ان هذه المصاعب التربوية ومن جملتها العناد تفرض علينا استخدام الاساليب التربوية التي نشير في ما يلي إلى بعض منها:

١ ـ توعية الطفل باسلوب الحياة: وهذه نقطة مهمة وجديرة بالذكر وتقوم على توعية الطفل تدريجياً وتعليمه اسلوب الحياة، وهذه المهمّة من وجهة نظر الاسلام تقع على عاتق الابوين والمربّين لكي يربّوهم بشكل يجعلهم اكثر انصياعاً لهم وإطاعةً لأوامرهم، والافضل هو المسارعة الى بناء اسس الطاعة عند الطفل منذ نعومة اظفاره، لكيلا يصبح امره اكثر صعوبة في المستقبل.

٢ ـ الفات نظره الى أهميّة شخصيّته: وهي أيضاً نقطة أخرى جديرة بالتأمّل وهي وجوب اتّخاذ الوالدين والتربويين منهجاً مدروساً في تربية الطفل

وتوعيته شيئاً فشيئاً بالنمط الأخلاقي الذي يلتزمون به لكي يفهم ما يجب اجتنابه، وما هو الموقف الواجب اتّخاذه ازاء كل مسألة.

كما ويجب توعيته بقيمة وقدر شخصّيته لغرض ان يدرك انه فرد مهم ولا يليق به سلوك اسلوب العناد لأن فيه انتقاصاً لشخصيّته. فاذا ما شعر الطفل ان له مكانة في النفوس فانه يسعى الى الحفاظ عليها واصلاح سلوكه المنحرف.

٣ ـ ذكر القصص والحكايات: ويقوم هذا الاسلوب على ذكر قصص عن حياة الناس او حتى عن الحيوانات، ويؤثر كثيراً في لجم عناد الطفل لأنه يصغي إليها بكل اهتمامه ويحاول التشبّه بها. وليس من الضروري في هذا المجال الاتيان بقصص حقيقية أو مسبوكة، بل يمكن اختلاق أية قصّة وعرضها على الطفل بشكل هادف ومثير.

٤ ـ تكليفه بعملٍ او مهمّة محدودة: من الضروري ان نمنح للطفل شخصيته لكي يشعر بأهميته ويسعى للتعاون معنا من اجل حفظ مكانته. ومن الاساليب المتّبعة في اشعاره بشخصيّته هو ان نكلّفه بعمل او بمهمّة ولو كانت صغيرة ونشجّعه على ادائها لأنَّ هذا يشعره بأهميّة شخصيّته ويسوقه نحو الانصياع والطاعة والكف عن كل انواع العصيان والعناد.

٥ ـ اتّباع السلوك المثالي: حينما يكون الطفل في حالة غضب وعناد فذلك يعني انه في حالة انفعالٍ شديد ولا يمكن اقناعه بسهولة، وهو غير مستعد لسماع النصائح والارشادات، ولا فائدة من الانتقاد في مثل هذه الحالة بل من الأفضل التحدّث بلسان المشاعر ومن خلال انتهاج سلوك سلمّي مقرون بالصبر والتأنّي. لقد ثبت من خلال التجارب العملية ان الطفل يميل نحو

السكون والطاعة في مثل هذه الحالات وينصاع لرأي والديه ويكف عن عناده سريعاً.

٦ ـ **الانذار**: وعندما تفشل جميع الجهود السلمية نضطر لانتهاج اسلوب الانذار والتلويح له بأنّ امثال هذه التصرفات لا تجديه نفعاً وقد تنتهي بمعاقبته، وعند التكرار يتحول الانذار الى تهديد ونادراً ما ينتهي بالعقاب. ومن الطبيعي ان امثال هذه الحالات تطبّق حينما نستيقن جدواها في اصلاح شأن الطفل، والاّ فاننا اذا علمنا بانعكاساتها السلبية لا يجوز لنا اتباعها، لأن الهدف هو البناء لا الهدم.

٧ ـ **تجاهل شأنه**: ومن الطرق المتّبعة في معالجة السلوك المنحرف لدى الطفل هو تجاهله وتركه. فالطفل الذي يكثر من الصياح والضجيج يمكن تجاهله او حتّى يمكن الخروج من الغرفة وتركه وحده يصرخ ويبكي. لقد تبيّن من خلال الدراسات بأنَّ تجاهل الطفل مفيد في بعض الحالات، لأنه حينما يلحّ في البكاء والعناد ويرى ان لا أحد يهتم لسلوكه هذا يضطر للكف عنه ومعاودة سلوكه القويم.

ضرورة الاستمرار

لا يتحقق تقويم السلوك الملتوي عند الطفل بين ليلة وضحاها، ولا يمكن نيل النتائج المرجوّة جملة واحدة، بل ان الضرورة تقتضي الاستمرار على الاصلاح ومواصلة التقويم حتّى نصل إلى النتيجة المطلوبة.

ثمة ضرورة ملحّة تفرض نفسها من جهة أخرى وهي ان الكثير من التصرّفات الشاذّة تعاود الظهور وتفرض نفسها من جديد. فالطفل الذي يحصل

على كل شيء عن طريق العناد والبكاء والتذرّع لا يحبّذ الحصول على مطالبيه بالسبل الطبيعية المألوفة، وهو حتّى وان اظهر الطاعة مؤقتاً الا انـه يـعود الى سابق عهده عند الشعور بادنى تلكؤ من الطرف المقابل. ولهذا لابد من مواصلة الرعاية والرقابة للحيلولة دون عودة هذا السلوك.

ما ينبغي اجتنابه

ان الاهتمام بتقويم سلوك الطفل ومعالجته يفرض علينا اجتناب جملة من المسائل التي نكتفي في ما يلي بمجرد الاشارة اليها دون الخوض في تفاصيلها الجزئية مراعاةً للاختصار:

١ ـ **الاهتمام المفرط**: ان الاهتمام المفرط بالطفل لغرض التخلص من بكائه وعناده يثير في نفسه شعوراً بانّه يمتلك سـلاحاً فـعالاً يسـتطيع بـه ارضـاخ الوالدين متى شاء ذلك وانه قادر على اشهاره عند الحاجة، وهذا مـا يـفرض على الوالدين والمربّين تجاهله وعدم الاهتمام بمثل هذا السلوك لكي يسقط في يده ولايجد في متناوله سلاحاً فعالاً كهذا.

٢ ـ **سرعة الاستجابة**: صحيح ان الاستجابة الفورية تنطوي عـلى نـتيجة فورية وهي اسكات الطفل وانهاء بكائه وعناده، الا انها تتضمن ضرراً فـادحاً وهو التأثير السلبي الذي تغرسه في اعماقه وتخلق منه في المستقبل شخصيته مستبدة تحيل نهار الوالديـن الى ليـلٍ حـالك. أضـف الى ان حـالة العـناد اذا تواصلت لدى الطفل تسوقه الى اتباع الطرق المنحرفة فـي المسـتقبل وعـدم السير في اي صراط مستقيم، ثم تكون عاقبة امره تلقّي الكثير مـن الضـربات والصفعات في ميدان الحياة الاجتماعية.

٣ ـ **استخدام القوّة:** يعمد الطفل الى التمرغ في الارض والتخبّط بيديه ورجليه لغرض الذهاب مع امّه ـ على سبيل المثال ـ، وهنا لا يجب علينا الاسراع الى استخدام القوّة الا اذا كانت هناك ضرورة ملّحة؛ لأن ظاهر هذا الأمر ينبيء عن استسلام الطفل وانصياعه. الا ان هذا يولد لديه عصياناً وتمرّداً اكثر ويدفعه الى انتهاج طريق جديد يوصله الى مراميه، مضافاً إلى انه يتلقّن من هذا الاسلوب درساً سيئاً يبقى ملازماً له في حياته المستقبلية.

ويستقي منه مبدأ يتمسك به لاحقاً وهو مبدأ استخدام القوّة متّى توفّرت لديها اسبابها ودواعيها.

٤ ـ **العقوبة:** يبدو لنا ان العقوبة لا تجدي كثيراً في معالجة عناد الطفل، حتّى وان تقبّلها وانصاع لها مرغماً. فالعقوبة اذا كان المراد منها ضرب الطفل فيجب ان تكون كالدواء الذي يوصف بجرعة محدّدة وفي اوقات معيّنة. فاستخدام العقوبة البدنية لا يتيح لنا الحد من ظاهرة العناد.

واذا تمّت العقوبة في حالة غضب احد الوالدين قد تؤدّي الى الحاق الأذى بالطفل بسبب ما يرافعها من فقدان زمام الامور أو الايغال في العقوبة. بالاضافة الى هذا فان العقوبة تنتهي بالطفل الى الغضب والتصلّب في موقفه مما يزيده عناداً وتمرّداً.

٥ ـ **تسليمه الى دور الحضانة:** يطرح بعض المختّصين بالشؤون التربوية فكرة إحالة الطفل الى دور الحضانة لفترة زمنية غير محددة. وقد ذكرنا في موضع آخر ان هذه الطريقة مرفوضة وضارّة ولا تنم الا عن ضعف الوالدين، وان القيام بمثل هذا العمل لا ينسجم والتوجّه الاسلامي؛ لأن وضع الطفل في مثل هذه الاجواء قد يؤدّي الى افساده بالشكل الذي يعطي في ما بعد ثماراً أكثر مرارة من العناد.

٦ ـ **التوبيخ اللاحق:** واخيراً اذا عاد الطفل الى رشده وانصاع لكلام والديه سواء كان ذلك بواسطة التجاهل والاهمال، أو عن طريق النصح والارشاد، فمن الضروري في مثل هذه الحالة ان نبدي له الارتياح والمحبّة ونقابله بالتشجيع، ونقدم له شيئاً من الحلوى أو غير ذلك ولايجوز مطلقاً مواجهته بالتوبيخ والاستصغار كأن نقول له مثلاً: هل رأيت انك لا تستطيع فعل شيء؟! لأن مثل هذا التوبيخ يمثل في حقيقة الحال تحريضاً له واثارة لمشاعره، ويدفعه بالنتيجة الى استئناف تمرّده والحاق الأذى والازعاج بوالديه ومربيه وهو حتى وان لم يفعل هذا فانه سيصاب بصدمة نفسية ويواجه انكساراً روحياً حاداً.

توجيهات ضرورية

وفي نهاية المطاف رأينا أن نلفت انظار الآباء الكرام الى النقاط التالية اكمالاً للبحث واتماماً للفائدة:

١ ـ اذا اراد الطفل ان يجعل من العناد سلاحاً يتحدى به الوالدين فلابد من مجابهته بكل قوّة لارغامه على الكف عن هذا التفكير.

٢ ـ حينما يكون ضرر هذا السلوك كبيراً ولايتاح اسكات الطفل الا بالردع لامناص هنا من استخدام اسلوب الردع ولكن بشكل محدود.

٣ ـ يجب ان لا نأبه كثيراً لعناد الطفل ولانقيم له وزناً لانه سلوك سطحي لاجذور له وبالامكان ازالته بقليل من التهديد والتخويف.

٤ ـ ينبغي الحفاظ على هدوء الاعصاب ازاء عناد الطفل لأن اظهار الغضب قد يسبب له ظروفاً واوضاعاً سلبية.

٥ ـ ليس هناك أية ضرورة تدعو الى الوقوف من الطفل موقف الاستعطاف والترجّي ليكفَّ اذاه ويلتزم الهدوء.

٦ ـ عند محاولة تقويم سلوك الطفل يجب عدم اتباع سبيل العناد والالحاح فلا داعي للتاكيد عليه بوجوب الانقياد لآرائكم بشكل مطلق، بل من الافضل التزام الهدوء بمجرّد ان نلاحظ عليه ميلاً نحو الانقياد، اما الامور الاخرى فنتركها له حتّى يستعيد هدوءه ووضعه الطبيعي.

٧ ـ واخيراً نؤكد على ضرورة اجتناب الاوامر الصارمة كأن نأمره بالقيام فوراً، أو أن يغسل وجهه في الحال، او بان لا يرفع صوته، أو لا يضحك حتماً، لأن هذا الاسلوب لا اصلاح فيه، بل فيه هدم وتخريب، ونيل من مكانتكم عند الطفل.

غضب الاطفال

تقديم

يُعتبر الغضب نوعاً من الانفعال العاطفي الموجود عند الانسان بقلّة أو كثرة ويرافقه في كل مراحل حياته وبأنماط مختلفة من الشدّة والضعف. يعتقد بعض علماء النفس انه عبارة عن غريزة طبيعية مغروسة في اعماق الانسـان وذات منشأ عضوي، وحالات شدّته وضعفه مرهونة بافرازات الغدد الداخلية.

تبرز هذه الحالة في حياتنا بين الحين والآخر وتؤدي الى احداث تغيير في سلوكنا وتبدّلاً في نمط حياتنا. ويشعر الانسان من خلال وجودها بقدرة فائقة يمكنه توظيفها على طريق اهدافه ومراميه.

ان وجود هذه الظاهرة بشكل متزن وخاضع للسيطرة يـعد أمـراً ضـرورياً بالنسبة للانسان؛ الا انها اذا تجاوزت ذلك واتخذت طابع الافراط تصبح نوعاً من البلاء والمعاناة التي تسبب له مختلف المصاعب ولاشك انها اذا بلغت هذه الدرجة صارت تستوجب الاهتمام بها ومعالجتها. ان اكثر ما يـؤذي الأبـوين والتربويين هو هذا النوع من الغضب المفرط.

انواع الغضب

يقسم الغضب من حيث المنشأ الى نوعين؛ احدهما حالة طبيعية وغريزية وجميع الناس فيه سواء، ولايخلو منه انسان لأنه في مثل هذه الحالة لا يستطيع الدفاع عن نفسه.

النوع الآخر هو الغضب المـتأتّي عـن وضـع جسـدي خـاص، او نـتيجة

لافرازات غير طبيعية في الغدد الداخلية، أو لأسباب اكتسابية. وهذا النوع من الغضب لايمكن كظمه بسهولة بل لابد من معالجته بواسطة العوامل التربوية او الاساليب الطبية.

يتّصف الطفل الشديد الغضب بجملة من السمات منها عدم القدرة على النوم العميق، او صعوبة النوم ليلاً، وكثيراً ما يقترن نـومه بـاختلاق الذرائـع وايـذاء الآخرين، يخاف من كل الاماكن، ويهب من النوم فزعاً لأدنى صـوت وأقـل ضوضاء، يؤلمه مفارقة الأب أو الأم ويحاول البقاء قريباً منهما على الدوام.

الجانب الإرادي للغضب

يمكن ان يحصل الغضب بكشل ارادي. ومن يريد ان اثارة الغضب في نفسه بامكانه ان يتذكر ما يعانيه من حرمان وضعف واخفاق وتمييز، وان يضع نفسه في موضع يستثير غضبها فيكون مهيّئاً للهجوم على المواطن المثيرة لغـضبه. وكذلك يؤدي العزم على ايذاء الآخرين او الحاق الأذى بهم الى اثارة الغضب أيضاً. ولكن لابد من القول ان الغضب ليس ارادياً في كل الحـالات، ولانـعلم سبب بروزه في جميع الظروف فقد ينتابنا احـياناً بشكـل لا ارادي، ولانـفهم سبب وملابسات نشوءه الا بعد فواتها.

وعلى هذا الاساس لا يمكن ان نطلب من الطفل ان لا يغضب او ان يكـظم غضبه لانه غير قادر على كبت الغيظ والغضب بسبب قدرته المحدودة. كما أنه لايعلم بكيفية ظهوره حتّى يعمل على منعه. والشيء الوحيد الممكن عمله هو حثّه تدريجياً على التحكّم بزمام نفسه، والامتناع عمّا يـوجب الاضـرار بـها وبالآخرين.

حالاتهم

يتصف الاشخاص الذين تنتابهم سوْرة الغضب بحالات تتجسد على هيئة الحقد، والزعيق، والبغظ، والاهانة، والتذّمر، واستعمال العنف ضـد الآخـرين وضربهم او ضرب نفسه أحياناً، والوحشية، وسوء الظن وغير ذلك. وقد يتلفظ الانسان بكلمات نابية ضد نفسه وضد الآخرين بسبب الغضب، فيصف نـفسه بالغباء، ويعضّ شفته، ويلطم رأسه بشدّة ويضرب نفسه حتّى يزول غضبه.

الاعراض الظاهرية

نوبة الغضب هذه حينما تنتاب الانسان ولاسيما الطفل تظهر عليه الاعراض التالية: تشنج البدن وارتعاشه، لكنة في اللسان، التقيّؤ، الاسهال، احمرار الوجه أو شحوب اللون، شدّة ضربات القلب، ظهور الزبـد عـلى الشـدقين، انـهمال الدموع من العينين، انتفاخ الاوداج، ارتفاع حرارة الجسم، اضطراب مؤقت في الجسم ومسار الحياة، تحفز القوى واستجماعها في عضلات اليد لانزال ضربة بالشخص أو الشيء المقابل،التأهّب للهجوم، جـحوظ العـينين و...الخ، وقـد تؤدي حالة الغضب الحادة الى الاغماء وضعف القلب على الرغم من سلامته.

سمات سلوكهم

يتصف الشخص الغاضب بسمات تلك الحالة، فيثير النـزاع ويـتسبب فـي ازعـاج الآخـرين. فـيقوم بـالتدمير ومـضايقة الآخـرين ويـعمد الى اثـارة الاضطراب، ويتّضح من خلال مجمل اوضاعه ان قوّة مـا تـدفعه الى الايـذاء والتدمير والازعاج والتخريب و...الخ.

وحالة الغضب هذه ربّما تؤدّي به حتى الى الاستهزاء بالمقابل، واطلاق الضحكات الساخرة بحقّه وتعنيفه واثارة غضبه او حتّى تعذيبه والانتقاص من شخصيته، وقد يبادر في بعض الحالات الى الانتقام والاتيان بعملٍ يشعر من جرّائه بالخجل.

يعبّر الطفل الرضيع عن غضبه برفع يديه ورجليه والبكاء بكل قوّته. وفي السنوات اللاحقة يسعى الى تقليد حركات الأم والأب والاخ والاخت لغرض التنفيس عمّا يكابد من الغضب. والطفل عادة لا يتناول الطعام.اثناء الغضب للتعبير عن سخطه وقد يرتعش جسمه ويأخذ بالصراخ من شدّة الانفعال.

الحالة الجسمية والنفسية

اذاكان الشخص في حالة غضب فهو ليس في وضع طبيعي من الناحيتين الجسمية والنفسية. فالبدن تطرأ عليه التغييرات التي ذكرناها مضافاً اليها فقدان الاحساس؛ فهو لا يشعر بالضربات التي تصيب بدنه ولايشعر بالألم.

اما من الناحية النفسية والذهنية فيمكن القول ان الشخص حينما تعتريه نوبة الغضب يصبح وكأنّه فاقد العقل وذلك لأنّ سلامته الفكرية وقواه النفسية تتعرض للانهيار فلا يعد يدرك ماهية سلوكه وما ينطوي تحته من تأثيرات سلبية على حياته، وهذا ما يحدو به الى توجيه ضربات خطيرة للآخرين. وكثيراً ما توقعه الكلمات البذيئة التي يتلفظ بها في مواقف مخجلة في ما بعد، وكذا الاعمال التي يقوم بها في حالة الغضب، يضطر لاحقاً الى دفع ثمنها أو تحمّل العقوبات المترتّبة عليها، او الاعتذار منها على اقل تقدير.

دور الاشخاص المحيطين به

للاشخاص المحيطين بالطفل دور فاعل في اثارة غضبه وفي تسكينه أيضاً. فالطفل حينما يغضب يبادر أبوه او أمّه او غيرهم الى القيام بما يوجب سكون غضبه او عدم الحاق الأذى بنفسه وبالآخرين. الا ان البعض ـ ومع الاسف ـ يقوم باثارته وتهيئة موجبات غضبه.

وانطلاقاً من هذه الرؤية فاننا نعتقد ان الآباء والأمّهات وجميع الاشخاص الذين يتعاملون مع الطفل بشكل أو بآخر يجب ان يكون لديهم الوعي الكافي في مجال التربية، وان يعرفوا اهمية مواقفهم وتأثيراتها على الطفل.

موقف الوالدين

وفي كل الاحوال نؤكد على ان موقف الوالدين هو موقف التوجيه والتهدئة. وعليهم ان لا ينسوا بان رعاية الطفل وتوجيهه وتقويم سلوكه ليس بالأمر الهيّن، وانهم اذا ما تركوا الطفل وشأنه فلن يكون انساناً نافعاً، ليس هذا فحسب، بل سيتحول الى كائن خطير وادنى من الحيوان منزلة.

يجب ان نولي الاطفال بالرعاية والتوجيه المستمرين، منذ نعومة أظفارهم، وعدم السماح لهم بالعبث والتخريب، وإلحاق الأذى بأنفسهم وبالأخرين.

وكذلك لابد من الحؤول دون استثمار الطفل لغضبه كسلاح يحرج به الوالدين في سبيل تحقيق مطالبه. وعلى العوائل التي لديها أطفال صغار ان تضع هذه المسألة المهمة في رأس برامجها التربوية.

فوائد الغضب

اذا اعتبرنا الغضب حالة عاطفية وغريزية في الانسان، فلابد من القــول إن وجوده ضرورة لا غنى عنها في الحياة. ومن فوائده أنه يعين عـلى مـواصـلة الحياة، ويحفز المرء للدفاع عن نفسه، وعن المجتمع، والحفاظ على بقاء النوع الانساني.

فلولا الغضب، لتعرضت الحياة الأنسانية الى مخاطر جمة، وما كان بامكان المرء الدفاع عن نفسه والحفاظ على حياته مـن الخـطر، ولسـادت المـفاسد والشرور في المجتمع.

ومن شأن الغضب ان يوّلد في الإنسان طاقة محركة يمكنه بفعلها مواصـلة سعيه ونشاطه في الحياة، ويثير فيه حب الذات والأنا. ان وجود هذه الغـريزة لدى الأشخاص شيء ضروري، شريطة ان لا تصل الى درجة الافراط المخل بالحياة.

مضار الغضب

يترك الغضب، في حال تجاوزه حد الاعتدال، بعض الأضرار؛ فمن الناحية البدنية يؤدي الى تزايـد ضـربات القـلب، وسـرعة التـنفس، ومـن اعـراضـه الإرتعاش وتشنّج الأعضاء، واضطراب النوم، وسوء الهضم، والأعياء والشعور بآلام في المعدة.

ومن الناحية النفسية ايضاً يؤدي الى اختلالات عقلية ونفسية، وانعدام حالة السرور والبهجة عند الانسان.

ومن المضار الأخرى للغضب، انه يمهد سبيل الحاق الأذى بالآخرين.

وتتجلى أعراضه على هيئة القيام بأعمال الايذاء، والضرب، والقتل، والتخريب. فما اكثر الأقوال والأحاديث القبيحة الناتجة عن الغضب. والتي تدفع الإنسان لإبداء انعكاسات انفعالية وعصبية.

كما يؤدي الغضب الشديد أحياناً الى اتخاذ قرارات ومواقف متسرعة ومتشنجة، تترك اثاراً سلبية ووخيمة. وقد يؤدي الغضب، في حالاته الحادة، بصاحبه إلى الحاق الأذى بنفسه، وحتى الاقدام على الانتحار.

دوام الغضب

من الضروري الإلتفات الى هذه المسألة وهي ان الغضب ليس حالة ثابتة ودائمية لدى الأشخاص. وبالإمكان معالجته عن طريق التلقين، والتوجيه، والنصح، والتنبيه.

ان نسبة النجاح في مثل هذا العلاج مع الأطفال اكبر، لأن الطفل بطبيعته كثير التقلب والتبدل في اهتماماته واحزانه وافراحه، ولذا على الأباء والتربويين ان لا يقلقوا كثيراً لهذه الحالة.

فالسيطرة على غضب الأطفال في السنوات الأولى من اعمارهم توفر لهم حياة هادئة ومستقرة في السنوات التي تليها. إلاّ أنهم اذا اعتادوا على الغضب وتجذر فيهم، فإن امكانية علاجه تكاد تصبح مستحيلة أو صعبة جداً على اقل التقادير.

على طريق علاج الغضب

لابد لكل من يريد تربية الاطفال وإصلاح سلوكهم والسيطرة على غضبهم، ان يلتفت الى عدد من الأمور، منها التعرف على الأسباب التي تثير غضبهم، والعوامل التي تؤدي الى تشديده أو تخفيفه، وكيفية التصرف ازاءه. وسنتناول هنا هذه الجوانب بإيجاز.

أ ـ الأسباب الموجبة للغضب:

أجل لابد من معرفة السبب أو الأسباب الموجبة للغضب قبل كل شيء، ومن ثم التعامل معه، وبعبارة أخرى، هناك سببٌ ما يوجب غضب الأطفال ويلهب دخائلهم، وما لم يتم الأهتداء إليه وتشخيصه، لا يمكن معالجته بأية حالة من الأحوال. فالدراسات الجارية حول الأشخاص الشديدي الغضب تشير الى ان العوامل التي سنوردها فيما يلي مؤثرة جداً في الإبتلاء بالغضب:

١ ـ **الحرمان**: يعدُ الحرمان من العوامل الرئيسية لغضب الأطفال، فالطفل المحروم من عاطفة الأمومة، ومن الطعام أو الحلويات التي يرغب بتناولها، بسبب الفقر المادي تارة أو الوقاية الطبية تارة أخرى، يتألم ويغضب لذلك بطبيعة الحال.

٢ ـ **القصور**: وينشأ الغضب في بعض الأحيان من الضعف والعجز عن تحقيق الرغبات والأهداف، لأن الأطفال لا يستطيعون تحقيق الكثير من الأشياء التي يرغبون في تحقيقها. فكم توجد من الأهواء والميول والرغبات التي تراود أذهان الأطفال الا أنهم يجدون انفسهم قاصرين عن تحقيقها او

يحال بينهم وبينها. تصور طفلاً يرغب في تناول طعام ما، ويعجز عـن تـناوله بسبب التهابات في حنجرته. كيف تكون حالته؟. بلاشك ان ذلك يؤلمه ويثير غضبه.

٣ ـ السخط: الطفل بطبيعته يرغب في ان يكون حراً في كل شيء، بمعنى ان يتجول، ويلهو، ويأكل ويشرب، ويلمس ما يشاء بحرية تامة ودون أية قيود. وعندما يُقيده الأباء والمربون ولا يسمحون له بمثل هذه الحرية رعايةً لمصلحةٍ ما؛ كأن ينزعون من يده شيئاً يحبه، أو يحولون بينه وبين وما يرغب، او يبعدون عن متناول يده طعام ما مضرٌ.. نراه يتألم ويغضب.

٤ ـ سوء الظن: وينشأ الغضب أحياناً بسبب تغلب سوء الظن على الطفل ـ فاذا ما قام بانجاز عمل ما، بحسب ما يملكه من قدرات ولم يكافأه عليه والداه، لأنشغالهما او لعدم التفاتهما لأهمية ذلك، يحزن ويـتألم، ولأنـه يـخجل مـن الإعتراض بشكل مباشر يعبر عن تبرمه وغضبه. بحجة أخرى.

٥ ـ الأحساس بالخطر: يشعر الطفل ـ وحتى الإنسان الكبير ـ فـي بـعض الأحيان ان مصالحة مهددةٌ بالخطر، أو أن والديه ومن يـحيطون بـه يـهددونه بالخطر، فيبادر الى الوقوف بوجه هذه الحالة، الا أنه عندما يرى ان لا جدوى من سعيه وانه غير قادر على دفع الخطر عن نفسه، تعتريه حـالةٌ مـن الثـورة والغضب.

٦ ـ التفرقة والتميز: يحصل أحياناً ان يلاحظ الأطفال والأحداث في البيت ـ والكبار في المجتمع ـ مظاهر للتفرقة والتمييز، فيقفون بوجهها بحكم فطرتهم المياله للعدالة. فمثلاً عندما يلاحظ الطفل أن أبويه يهتمان بطفل آخر في البيت اكثر منه، ويميزانه عنه في الرعاية والمعاملة، يشعر بالغبن والمظلومية، ويضمر له الحقد ويغضب عليه وعلى كل من يهتم به.

٧ ـ **الغضب من الذات:** في بعض الحالات يغضب الطفل من ذاته. وبعبارة أوضح اذا حاول الطفل ان يأكل شيئاً من الطعام ولم يستطع بسبب مـرض، او عجز عن نقل شيء ما من مكان الى آخر، يفرغ جام غضبه على والديه؛ ظناً منه انهما السبب في ذلك؛ لضيق افقه الفكري.

٨ ـ **الانتقاص:** ومع كل ما يتّسم به الطفل من ضعف، الا انه مغرور وأناني، ويحب سماع المديح والحديث عن رجاحته من قبل الآخرين في كل مناسبة. ولايتحمل سماع ما يمكن اعتباره انتقاصاً منه بأيّة حال من الأحوال، حتى انه يعتبر ذلك جفاءً واهمالاً له من قبلهم. ومن هنا، فانه عندما يواجه مـثل هـذه الحالات، ويعجز عن اثبات ذاته امامها، ينهار نفسياً ويستشيط غضباً.

٩ ـ **الأوامر والنواهي:** الطفل ميال بفطرته للحرية والإسـتقلال بـمختلف شؤونه اكثر من أي شخص آخر. لذا فمن شأن كثرة الأوامر والنواهي، خصوصاً اذا كانت غير منصفة ان تدفعه للتصلب في موقفه وحتى الى ابداء ردود فـعل عكسية، والسعي لأداء عمل مخالف لما يؤمر به، واذا عجز عن تحقيق ما يريد يلجأ إلى الغضب تنفيساً عما يضطرم في اعماق نفسه.

١٠ ـ **المرض** : في بعض الحالات، يكون المرض والنقاهة سببين لأثـارة الغضب. فمن جهة تؤدي الأمراض الناشئة عن اضـطراب الافـرازات الغـددية الداخلية، والإلتهابات وغيرها الى حصول انفعالات نفسية لديه، ومـن جـهة أخرى يفقد في مرحلة النقاهة الاتزان والقدرة على تحمل مـا يـواجـهه مـن مشاكل، ولذا يكون سريع الاشتعال والغضب:

ب ـ الاسباب الموجبة لتشديد الغضب:

هناك اساب وعوامل عديدة تؤدي الى تشديد الغضب لدى الأطفال، ومن

جملتها:

١ ـ **الفشل:** فالذين يعاكسهم التوفيق ويفشلون على الغالب في اعمالهم خلال حياتهم يقلقون كثيراً جراء ذلك ويؤدي بهم الأمر الى الغضب الشديد.

٢ ـ **الحساسية:** هناك اطفال يتسمون بالحساسية من بعض النواحي؛ اما بسبب الوضع الخاص لطبيعة حياتهم، او نتيجة لأخطاء في تربيتهم، وكثيراً ما يثور مثل هكذا اشخاص ويغضبون بشدة لأدنى فشل وحرمان يتعرضون له في حياتهم.

٣ ـ **الماضي المحزن:** بعض الناس تقترن حياته بالحزن منذ صغر سنه، وترافق ماضيه المآسي والصعاب والألام ولايستطيع تكييف نفسه مع هذه الأوضاع. ومن شأن أية معاناة جديدة تعرض له أن تثيره وتأجج غضبه.

ومن الواضح ان توالي الالآم والأحزان واستمرارها يحيل الغضب الى ظاهرة مزمنة تخرج الشخص عن توازنه الى الأبد.

٤ ـ **الضغوط:** اذا تعرض الطفل الغاضب الى الضغط، سواء بصورة الأمر والنهي أم الزجر والمنع، وسواء كانت الدوافع اجتماعية أم اقتصادية، فإن من شأن ذلك ان يضاعف غضبه. فالطفل الذي يغضب مثلاً بسبب عدم تحقيق رغباته ويجبره الأب أو الأم في هذه الحال على القيام بعمل آخر ولايجد سبيلاً للمقاومة والتمرد يزداد غضبه بطبيعة الحال.

٥ ـ **الشعور بالإهمال:** أحياناً يكون الطفل غاضباً، فيتجاهله الأبوان ويعرضا عنه بقصد معاقبته وكفّه عن هذا السلوك في حين يمارس هو مثل هذا التصرف طلباً لعطفهما واهتمامهما. وهو يواصل عناده على أمل ان تنجده أمه وتعطف عليه، الا أن الأم ـ ولشديد الأسف ـ تبدي له الجفاء في مثل هذا

الموقف أو تمر من أمامه وتنشغل بأعمالها دون ان تكترث به وهذا يؤدي الى مضاعفة غضبه.

٦ ـ ازدياد الحرمان: ان الهموم والأحزان التي تتراكم على الطفل تسبب له مصاعب لا طاقة له على تحملها. وكثيراً ما يبدي مثل هذا الطفل غضبه كردٍّ على ما يعانيه من الحرمان. واذا نزلت به هموم ومشاكل أخرى فإنه لا يعجز عن استيعابها وحسب، بل يثور اكثر ويتضاعف غضبه امامها.

٧ ـ التعب: من شأن التعب ان يجعل الانسان يشعر بمزيد من الضجر ويشعره ان الصعاب والمشاكل تحيط به من كل حدب وصوب. واذا مارس الشخص الغاضب عملاً متعباً فإن الإجهاد يضاعف غضبه ويخرجه عن اتزانه.

٨ ـ الارق: بامكان الشخص الغاضب اذا شاء، ان يخلد الى الراحة، فقد ينسى حتى الهموم والأحزان التي تثير غضبه. لكنّ حالة الأرق سواء كانت اسبابها طبيعية أم غير طبيعية، تمنعه من الخلود الى النوم والراحة، فيتضاعف غضبه، وقد يؤدي به الأمر حتى الى الحاق الأذى بنفسه.

كما وأن هناك عوامل واسباب أخرى أيضاً لمضاعفة الغضب من قبيل أعمال العنف، والأمراض المؤلمة، وكثرة الموانع والتوقعات الكثيرة، والإستصحاب الإلزامي، والوسواس وغيرها.

ج ـ عوامل تخفيف الغضب:

لابد من ذكر الأسباب والعوامل التي من شأنها الحيلولة دون حصول الغضب أو الحد منه، وهي كما يلي:

١ ـ الغنى المادي، والعيش في اجواء مريحة وهادئة وما الى ذلك.

٢ ـ توفر الأحتياجات وتحقيق المطاليب في مختلف المجالات.

٣ ـ التمتع بالصحة والسلامة والقوة البدنية، وعدم الشعور بالضعف في مواجهة المشاكل.

٤ ـ قوة الأرادة والنضوج النفسي والمعنوي يعينان المرء على سيطرة النفس.

٥ ـ التربية الصحيحة البعيدة عن الدلال المفرط في مرحلة الطفولة.

٦ ـ وجود الأصدقاء والرفاق الذين يملأون الأوقات بالبهجة.

٧ ـ استشعار العطف والإهتمام، والبعد عن اجواء التمييز والفرقة.

٨ ـ وجود الرعاية والتوجيه من قبل المخلصين.

د ـ كيفية التصرف أثناء الغضب:

فيما يخص كيفية تصرف الوالدين أثناء غضب الأطفال هناك جملة ملاحظات نشير إلى أهمّها فيما يلي:

١ ـ **العطف**: لا ينبغي معاندة الطفل حين غضبه او التحدث معه بلهجة التأنيب واللوم، بل لابد من اعادته إلى حالته الطبيعية بأغداق الحب والعطف عليه حيث ان من شأن ذلك ان يترك آثاراً جيدة على الأطفال. وبالطبع يجب التعامل معهم في سنوات ما قبل الفتوة والنضج بأُسلوب حازم، بل ويجوز مواجهتهم في هذه السنين بالتأنيب وعدم الأكتراث.

٢ ـ **البديل**: ان كان الطفل غاضباً بسبب حرمانه أو فقدانه لشيء يحبه، يمكن التعامل معه بالإستفادة من فكرة البديل. فالطفل الذي يغضب، مثلاً، بسبب تحطم لعبته، بالإمكان اخماد غضبه باعطائه شيئاً آخر بدلاً عنها. ففكرة

البديل هذه مجدية أكثر في السنوات الأولى من عمر الطفل.

٣ ـ **الإلهاء**: ويمكن التعامل أحياناً مع غضب الطفل بطريقة أخرى وهي القيام بحركة أو لعبة يحبها وترغيبه في الإشتراك فيها. ومما لا شك فيه أنه سينزعج كثيراً في بداية الأمر ويمتنع عن الإشتراك، لكنه سيقع بعد لحظات تحت تأثير جاذبيتها وينسى أصل القضية التي غضب بسببها. وقد قيل قديماً بشأن الكبار، على الغاضب ان يشغل نفسه بحساب الارقام ليسكن غضبه عن هذا الطريق.

٤ ـ **تغيير الحالة**: ومن الطرق الأخرى لمعالجة الغضب، تغيير الحالة، أي ان يقف اذا كان جالساً، ويجلس إذا كان واقفاً، ويغيّر مذاقه؛ بتناول قطعة من الحلوى مثلاً، أو يغيّر ثيابه أو يرتديها فقد دلت التجربة على ان هذا الأمر بحد ذاته مؤثر في الحد من الغضب.

٥ ـ **تغيير الجو**: ومن الطرق الأخرى أيضاً لعلاج الغضب تغيير الجو. فمثلاً يمكننا أن نأخذ الشخص الغاضب من غرفة الى أخرى أو الى ساحة الدار، أو الى الشارع، واحياناً الى الحديقة من أجل الترويح عنه. فقد دلت الدراسات والتجارب على ان لذلك آثاراً مفيدة جداً في الحد من الغضب.

٦ ـ **الغسل**: يجب حين الغضب غسل الوجه واليدين، والإستحمام قدر الإمكان.

ان لهذه الأمور اثارها الإيجابية في تسكين الغضب. وآحياناً يكون من المفيد الى حدٍ ما، وضع شيء رطب على وجه الطفل، وتشجيعه على السباحة. كما ومن المفيد أيضاً، الخروج به الى الهواء الطلق الذي يعد في الواقع نوعاً من الإغتسال الذهني.

٧ ـ **التنبيه**: ان تحذير الطفل من أن حالته غير طبيعية من شأنه أن يكون

مؤثراً بحد ذاته، ويدفعه الى الإلتفات الى نفسه واصلاح وضعه، لأن الطـفل لا يحب ان يصفه الأخرون بالغضب وسوء السلوك. وبالطبع يجب التأكيد في مثل هذا التنبيه على الجانب المعني فقط، وتجنب الأبعاد الأخرى من شخصيته.

٨ ـ **التشجيع على الكلام**: من الضروري اتاحة المجال للطفل الغاضب كي يتمكن من الكلام، وافراغ عقدته، والتعبير عما يغضبه ويؤلمه، لأن ذلك يهدّىء انفعالاته ويسكن غضبه، وبالتالي يرجعه عن سلوكه غير الصحيح.

٩ ـ **تركه لحاله**: الطفل الذي يتحجج كثيراً ويـؤذي بـذلك الأخـرين، مـن الضروري ان يترك لحاله في مكـانه لوحـده. وبـالطبع ان هـذا الأمـر يكـون صحيحاً، شريطة الإطمئنان من انه لا يلحق الأذى بنفسه، او يقدم على العبث والتخريب في خلوته، وكذلك بشرط ان يؤدي هذا الأمر الى اصلاحه، وليس الى مضاعفة غضبه.

١٠ ـ **الضرب**: وأخيراً في الحالات التي يمعن فيها الطـفل فـي اللـجاجة والعناد، وايذاء الأخرين باستمرار، يـمكن اللـجوء مـعه ـ وبـعد التـحذيرات والإنذارات المتكررة ـ إلى اسلوب آخر، وهو الضرب الخفيف الذي يعيده الى رشده. وبالطبع ان تأثير هذا الأسلوب اكثر من التأنيب والحبس والزجر، ولكن لا ينبغي تكراره لئلا يفقد فاعليته بالتدريج باعتياد الطفل عليه.

هـ ـ بعض المسائل المفيدة في الوقاية:

لابد من الأخذ بنظر الأعتبار المسائل المفيدة لكظم الغضب والوقاية مـنها واليك فيما يلي بعضاً منها:

١ ـ **الجو الهادئ**: والمقصود مـن ذلك هـدوء الحـياة العـائلية اذ ان الأبـاء

والمربين مطالبون بابعاد الأطفال عن اجواء التوتر والتشاحن والشجار المقلقة، فكلما كان الأبوان عطوفين فيما بينهما، ومع ابنائهما، ازداد تأثير ذلك في اصلاح وتربية الأطفال، وخمود غضبهم لذا فلابد من السعي للحفاظ على جو الأسرة من كل ما من شأنه تعكير صفوه وهدوئه.

٢ ـ النوم والراحة: يجب ان ينال الأطفال قسطاً كافياً من النوم والراحة، خصوصاً وانهم يقضون جل أوقاتهم باللعب واللهو، ويجب على الاباء والمربين السعي الى ان يكون نوم الأطفال واستيقاظهم منظماً، وطعامهم سليماً وبسيطاً ويحتوي على الألبان والفواكه والخضار بمقادير كافية.

٣ ـ توفير الاحتياجات الطبيعية: نحن جميعاً ندرك عدم امكانية توفير احتياجات الأطفال بأجمعها، وحتى اذا كان ذلك ممكناً فإنه ليس في صالحهم، ولابد للطفل ان يتعايش مع الحرمان بشكل وآخر، ويكيف نفسه على تحمل الصعاب والمشاكل قليلاً أو كثيراً. الا أنه من الضروري احياناً توفير الحد الممكن من احتياجاته الطبيعية، التي يخشى بسببها من اصابته بالعقد النفسية في حالة عدم توفيرها.

٤ ـ التعويد على العادات الحسنة: ينبغي تعويد الطفل منذ نعومة اظفاره على الكلام بهدوء، والتمرن احياناً على الصمت، وعلى كظم الغيض وعدم الإكتراث به، وعلى التضحية بالحرية الشخصية رعاية لحريات الأخرين، وعلى ان يغسل وجهه حين الغضب، وانَّ غرس مثل هذه العادات في نفس الطفل من شأنها ان تقيه الكثير من الإنعكاسات الوخيمة.

٥ ـ التنبيه الى بعض المحاذير: في الوقت الذي يجب ان يكون فيه الطفل حراً في السنوات السبع الأولى من عمره، ينبغي أن لا تطلق حريته الى حد الحاق

الأذى بالآخرين ومع وجوب اتخاذ المواقف الحازمة من قبل الأبوين. ووجود حدٍ فاصل بينهما وبين الأبناء يؤثر في السيطرة عليهم وضبط حالات غضبهم.

٦ ـ **بين الخوف والرجاء**: ان التربية عندنا قائمة على اساس وضع الطفل بين حالتي الخوف والرجاء؛ بمعنى أن يفكر من جهة بالأضرار التي تلحق به في حال فقدان عطف ومحبة الأبوين، ومن جهة أخرى ان يأمل ويرجوا كسب رضاهما وعطفهما. ومن شأن مثل هذا الأحساس عند الطفل أن يحفزه على اصلاح وضعه اذا اكتشف ان غضبه يسوء والديه.

٧ ـ **التعليم والإدارة الذاتية**: بامكاننا أن نجعل من الطفل شخصية جديرة بادارة شؤونه الذاتية بالتدريج، بحيث يتمكن من ضبط نفسه والسيطرة عليها امام المشاكل التي تثير حفيظته، وذلك بواسطة الاستعانة بالقصص والأمثال، وسرد أحوال الأبطال.

٨ ـ الضبط: أخيراً، لابد من وجود الضوابط والمقررات داخل البيت، بمعنى ان يعرف الطفل مجالات حريته من عدمها، وان يفهم ما اذا كان بامكانه جعل الغضب وسيلة لتحقيق مطاليبه أم لا؟ ويدرك ما اذا كان يحق له العبث والتخريب في حال عدم الاستجابة لمطاليبه أم لا؟ وبطبيعة الحال يجب على الأبوين، في بعض الحالات، الحؤول دون اهتمام الطفل باعمال العبث والتخريب، والحاق الأذى بنفسه وبالأخرين.

و ـ العلاج الطبي:

وفي الختام من الضروري الأشارة الى هذه النقطة وهي ان بعض الأطفال يغضبون لأسباب مرضية من قبيل انسداد الغدد الداخلية، أو الإصابة بأمراض

عصبية، أو آلام بدنية متواصلة، أو نقص عضوي يعذبهم نفسياً، وما الى ذلك.

وفي مثل هذه الحالات يجب اجراء الفحوص الطبية مـن اجـل تشـخيص السبب او الأسباب، والمبادرة الى علاجها. وبـإمكان الأطـباء واخـتصاصيّي الأعصاب والنفس احياناً انقاذ المصاب بواسطة الدواء والمعالجة.

عداء الأطفال

تقديم

النزعة العدائية عاطفة طاغية يحاول فيها الشخص تـحقيق هـدف مـعين، ويسعى من أجل ذلك الى إزالة جميع الموانع التي تعترض سبيله، وهي ضرورة لا غنى عنها بالنسبة للانسان، وذلك في سبيل الاستفادة منها عند الضرورة في الدفاع عن النفس والعرض.

وعلى ذلك، فإن النزعة العدائية حالة مطلوبة بذاتها؛ شريطة ان لا تخرج عن حد الاعتدال، وتحصل أولاً في الحالات الضرورية. وينبغي على المربي العمل على توجيه هذه الحالة في الانسان، وتربيته على السيطرة عليها.

جذور الحالة

يعتقد بعض علماء النفس أنها حالة متجذرة في اعماق الإنسان؛ وتثير فيه محفزات الدفاع عن نفسه ازاء الأخطار التي تعترض سبيله.

ويرى آخرون أنها حالة اكتسابية تنشأ من البيئة، وتـتسبب فـي حـصول انحرافات لدى الفرد الى جانب تمكينه من الدفاع عن النفس. على أية حـال، فإنّها حالة طاغية وغير مفهومة، ولها تأثيراتها في حـياتنا وحـياة الأخـرين، واساسها تربية الإنسان على الخشية من فقدان مكانته.

وهناك آراء تذهب الى اعتبار النزعة العدائية نتيجة طبيعية لحصول تغيرات كثيرة في الأبعاد الذهنية والنفسية، والعاطفية لدى الفرد. وتعتقد بأنها رد فعل على الفشل الذي يحاول الفرد تجاوزه من خلال هذه الحالة.

النزعة العدائية تختلف عن الغضب؛ اذ أنها حالة ذات جذور عميقة ومزمنة،

في حين ان الغضب ثورة آنية، وليس لأي منها علاقة بالأعصاب. والعداء حالة ناتجة من آلام عميقة، والغضب حالة ناتجة من آلام عادية. وفي الغضب تتجلى حالة الطفل من خلال الفاظه، في حين انه يسعى في حالة العداء الى اخفاء مراميه وحتى مشاعره.

اشكال العداء

فيما يخص كيفية ابراز الأطفال لمشاعرهم العدائية والأساليب والطرق التي يتبعونها في ذلك، لابد من القول انها مختلفة ومتنوعة وغالباً ما تبدأ من الأوهام والتخيلات، وتنتهي بالأفعال والتصرفات. وسنشير الى بعض صورها في ما يلي:

- الإستهزاء والضحك والتقليد.
- العنف ومهاجمة الأخرين وحتى الوالدين.
- التلفظ بعبارات وكلمات بذيئة ونابية.
- التمرد على الأوامر والنواهي.
- مضايقة وايذاء الأخرين.
- ايراد انتقادات عنيفة وعدائية بهدف ازعاج المقابل.
- الاساءات اللفظية، وابراز الكراهية لكل من يتسبب في غضبه.
- افشاء ما يعتبره سراً.
- العبث والتخريب.
- الحاق الأذى بالمقابل ورميه بالأشياء.
- عدم الإكتراث بأولياء الأمور والمربين.

ـ فتح وغلق الأبواب وخلق الضوضاء والضجيج.
ـ البكاء الشديد والحار الذي لا يمكن اسكاته باي نحو من الأنحاء.
ـ التحليلات القاسية وتهويل الأمور بحيث يصنع من الحبة قبة.
ـ الإستياء والأنزواء والصمت.

حالات هؤلاء الأطفال

ان للأطفال من ذوي النزعة العدائية حالة اشبه ما تكون بحالة الإضطراب، بحيث يبدو وكأنهم عاجزون عن تكييف أنفسهم مع البيئة. وهم عادة يسعون وراء الظروف والإمكانيات التي تعينهم على ازعاج الطرف المقابل.

كما وتتملكهم في اغلب الأحيان مشاعر وميول تخريبية يحاولون بواسطة التعبير عن نزعاتهم العدائية. ويخططون باستمرار لالحاق الأذى بالمقابل وازعاجه، وحتى انهم عندما يكونون بمفردهم، يتخيلون انفسهم احياناً في موقع الرئاسة والأمر والنهي.

وفي بعض الأحيان تتجلى امارات العدوان من خلال الفاظه وعبارته وكأنه يقول لك لواستطعت لفعلت كذا وكذا؛ لقتلتُ الجميع، مثلاً، ببندقيتي هذه وأرحتُ نفسي. ويتخيّل نفسه في بعض الحالات وكأن بيده سلاحاً نارياً، أو في حالة قيادة طائرة او سيارة ما، ويطلق النار على الأخرين ويدهسهم متعمّداً لغرض تهدئة نفسه عن هذا الطريق.

اتجاهات العدوان

يبرز الأطفال عدائهم باشكال مختلفة من قبيل الغضب، والشجار،

والضوضاء، وتمريغ انفسهم بالأوساخ، ويسعى هؤلاء الى ايذاء الأخرين وضربهم وازعاجهم واذا عجزوا عن ذلك، عبّروا عن معاملتهم بأشكال أخرى.
وتتجه النزعة العدائية لدى الأطفال نحو ما يلي:

١ ـ نحو الأخرين: وفي هذه الحالة يوجه الطفل نزعته العدائية نحو الذين الحقوا به أذىً جسمياً أو نفسياً. وكثيراً ما يتجه عداؤه في الأسرة نحو الذين يحظون برعاية وحب الأبوين اكثر منه او نحو من استحوذ بمفرده على حبهما وعطفهما ومن الطبيعي والحال هذه ان يوجه عداؤه نحو الأطفال الأصغر سناً.

ان امثال هؤلاء الأطفال يسعون عادة الى العثور على اشخاص أضعف منهم، من أجل ان ينفذوا مخطّطاتهم بشأنهم، الا انهم يخفون نزعاتهم العدائية تجاه من هو أقوى منهم، ويسعون الى ضربه وايذائه بذكاء وكتمان.

٢ ـ نحو الأشياء والحيوانات: يتجه عداؤه احياناً نحو الأشياء والحيوانات.

فعندما يعجز عن مواجهة الآخرين يضرب لعبته بالأرض، أو يرمي القدح بعيداً، او يلكم الجدار، أو يفرغ غضبه على الحيوانات. وكثيراً ما نشاهد اطفالاً يحاولون تسكين انفسهم عن طريق ركل الأرض بالأقدام، او ضرب السلم بالأيدي او بخشبة.

٣ ـ نحو النفس: وأخيراً قد تتجه الروح العدوانية عند الشخص نحو نفسه، ويحصل ذلك عند تفاقم مشاعر الإخفاق لديه واليأس من جدوى المقاومة. وفي مثل هذه الحالة يسعى الى الإحتفاظ بغضبه في داخله، والترويح عن نفسه بواسطة خلق الصخب والفوضى.

وكذلك يستاء الأطفال الذين يتجه عداؤهم نحو انفسهم، فينعزلون في زاوية، ويمتنعون عن الطعام والنظافة والكلام الا نادراً.

ملاحظة

ينبغي الإشارة إلى هذه النقطة وهي ضرورة تفريق الوالدين والمربين بين ما نعتبره نحن عدواناً، وبين ما يجب اعتباره حالة طبيعية ودفاعية. فلا ينبغي اعتبار الجدل، وحتى الشجار، الذي يحصل بين الأشخاص احياناً حالة عدائية، لأنها مسألة طبيعية تحصل قليلاً أو كثيراً في حياة كل انسان، وتدل على نضوج الفرد ووعيه وذكائه.

ان دفاع المرء عن نفسه امام هجمات الأخرين، وابداء المعارضة والإمتعاض من القضايا التي لا توافق طبعه، تُعَدُّ حالة طبيعية وضرورية بالنسبة للإنسان، ومن غير ذلك، فمن شأن العدوان ان يتغلب عليه ويعرض حياته الى مختلف المخاطر. الا أن المهم فقط هو ان لا تستمر هذه الحالة وتتحول الى حالة غير طبيعية.

دلالات الروح العدوانية

ينم العداء عند الأطفال عن وجود حالة غير طبيعية لديهم تدل على حاجتهم الماسة الى مزيد من الرعاية والإهتمام والعطف من قبل ذويهم.

ويدل العداء أيضاً على عدم ارتياح الطفل المعني عن وضعه، سواء كان محقاً في ذلك او غير محق، وهو بطبيعة الحال يعد نفسه محقاً بحسب تصوراته، ويرى أن من الواجب الوقوف الى جانبه.

وأخيراً، يدل العداء عند الأطفال على وجود نوع من الإنحراف يرتبط بالبيئة التي يعيشون في وسطها، ويمكن اصلاحهم وتغييرهم بازالة اسبابه.

أسباب العداء

هناك اسباب ودوافع كثيرة للعداء، نشير في هذا المجال الى أهمها فيما يلي:

١ ـ **الموانع**: من العوامل التي تثير الأطفال بشدة شعورهم بوجود موانع تحول دون تقدمهم. فمثلاً عندما يسعون الى تحقيق أمر ما ويعجزون عنه لسبب أو آخر، يغتاظون وتستولي عليهم حالة من العداء.

وكذلك من شأن الموانع التي تحول بينهم وبين تنفيذ افكارهم وحرياتهم في العمل والحركة والتنقل. ان تولد لديهم حالة عدائية تضرُّ بهم وبالآخرين.

٢ ـ **الحرمان**: في بعض الأحيان يحرم الطفل من وسائل اللعب واللهو، ويواجه مشاكل وصعوبات كثيرة في سبيل الحصول عليها، الأمر الذي يغضبه ويدفعه الى التمرد والعصيان، وانتهاج منهج عدواني.

٣ ـ **الشعور بالخطر**: وقد يتوجه الطفل أحياناً بالعداوة والبغض الى شخص بعينه ظناً منه انه يهدد حياته بالخطر.

٤ ـ **الشعور بالضعف**: اذا شعر الأطفال عند مواجهتهم لمسألة ما، أنهم قادرون على التصدي لها يقدمون على مواجهتها، لكنهم إذا شعروا بالضعف امام شخص قوي ينصرفون عن التصدي له بالظاهر، لكنهم يضمرون له الحقد والعداء. كما وتسود في الحياة العائلية أحياناً مسألة التنافس بين الأشقاء والشقيقات، فلا يجد الأضعف امامه من سبيل سوى اضمار الحقد والعداء للأقوى.

٥ ـ **الضغوط النفسية**: ويحصل العداء أحياناً نتيجة معاناة الشخص من تناقضات نفسية؛ أي وجود جملة من العوامل النفسية التي تضغط عليه، فاذا عجز عن التصدي كما ينبغي لمثل هذه التناقضات التي تعترض سبيل حياته،

يستولي عليه شعور غامض يدفعه الى معاداة المحيطين به حتى وان لم يكن لهم ذنب في ذلك.

٦ ـ الحسد: ويأتي عداء الأطفال احياناً نتيجة الحسد، حيث ان من الصعب على الطفل ذي الأفق المحدود، تحمل رؤية تفوق الآخرين وتخلفه هو. ومن الأسباب الأخرى لعداء الأطفال الحسودين، عجزهم عن مواجهة المشـاكـل التي تترتب على ذلك. ان حالات التفرقة والتمييز الكثيرة من قـبل الوالديـن، وعجز الطفل عن مجاراة الآخرين ومنافستهم، تسـاهم فـي اعـداد الأرضـية للعداء. وتكثر هذه الحالة عند الأناث دون الذكور.

٧ ـ سوء الظن: وقد ينشأ العداء أحياناً مـن سـوء الظـن؛ فـيظن مـثلاً ان الآخـرين يـنظرون اليـه نـظرة سـلبية، الأمـر الذي يـولد شـعوراً عـدائـياً تجاههم.وبطبيعة الحال يمكن حل هذه المشكلة الى حدٍ ما، بـإصلاح وضـعه الفكري واعادة ثقته بنفسه.

٨ – الشعور بالأهانة: واحياناً يشعر الطفل انه عـرضة للإهـانة مـن قـبل الآخرين، فيفقد نتيجة لذلك اتزانه النفسي، ويسعى الى التعبير عن عدائه مـن خلال العنف. ولذا فلا عجب من حصول العدوان لهذا السبب.

٩ – الحاجة: قد ينشأ السلوك العدائي لدى الأطفال الصغار بسبب شعورهم بالجوع وحاجتهم إلى الطعام. ومن أجل ان تتضح هذه المسألة اكثر، لابد من الإنتباه الى الأوقات التي تعتريهم فيها هذه الحالة، فاذا حـصلت فـي أوقـات الطعام، فإن السبب يعود لها بطبيعة الحال. كما وقد تكون هذه الحالة على شكل الحاجة إلى الرعاية والعطف.

١٠ ـ **التدخلات**: من العوامل التي تثير عداء الأطفال تدخلات الآخـرين؛ فالأطفال بطبيعتهم يرغبون في ان يكونوا أحراراً في لعبهم ولهوهم، ولابأس في ان يراقبهم الأباء والمربون عن بعد، إلاّ أن المشكلة هي انهم يحاولون احـياناً، من خلال اوامرهم ونواهيهم توجيه الأطفال الوجهة التي يريدونها، الأمر الذي يزعجهم ويولد لديهم روح العداء.

١١ ـ **التقليد**: ويكون العداء احياناً ناتجاً عن نوع من المحاكاة للآخـرين والتأسي بهم بتقليد اعمالهم. فنحن نعلم ان التقليد يعني القيام بفعل معين على أساس التأسي بإسوةٍ ما، إلاّ ان نوع الأسوة يختلف عند الأطفال، والطفل يطبق ما يحلو له من التصرفات؛ سواء كانت سليمة أم سقيمة.

١٢ ـ **الأختبار**: قد لا يكون هدف العدوان في بعض الحالات نفس العدوان، بل مجرد نوع من الأختبار يجريه الطفل لمعرفة مدى قوته. أي انه يسلك سلوكاً معيناً من أجل ان يختبر قوته ويرى الى أية درجة وصلت. ان مثل هذا السلوك سرعان ما يخفت وينتهي بعد مرور فترة قصيرة.

١٣ ـ **العلاقات المتوترة بين الأبوين**: ينشأ العدوان أحياناً بسبب ملاحظة الأطفال في البيت توتر العلاقة بين أبويهم، وحـصول التـراشـقات الكـلامية والمشاحنات والنزاع المستمر بينهما، وهـذه الأمـور تـدل بـمجموعها عـلى الأختلال في السلوك وتعد دروساً سيئة للأطفال، يعبرون عن عدم رضاهم عنها عن طريق العنف والعدوان.

١٤ ـ **عوامل أخرى**: هناك عوامل كثيرة يمكن ذكرها في هذا المجال، لكننا نمتنع عن شرحها وتفصيلها تجنباً للأطالة، ونشير إليها بايجاز:

فمن جملة هذه العوامل؛ فرض القيود غير المـبررة، والضـغوط، والظـلم، والإجحاف، والتحقير، والتجاهل، وعوامل الأضطراب، ومعارضة ميول الطفل، وتجاهل أتعابه وجهوده، وتعقيدات الحياة، والإضطرابات النـاشئة عـن عـدم قدرة الطفل على تكييف نفسه مع البيئة، والفقر المادي، وأحياناً الإلحاح فـي المزاح مع الطفل الذي يتطور الى النزاع والشجار وما الى ذلك.

عوامل مضاعفة العداء

وفي نفس الوقت هناك بعض العوامل والقضايا التي تساهم فـي مـضاعفة العداء، وينبغي على اولياء الأمور والمربين الإلتفات اليها والحذر مـنها وهـذه العوامل هي:

١ ـ **تبدّل الصيغ الأنضباطية**: أي التلوّن في التعامل مع الطفل، وعدم الثبات على نوع معين من التعامل، بحيث يحار الطفل كيف يتصرف واي سلوك يـتّبع ازاء تغيّر وتلّون تعليمات اولياء الأمور والمربين، الأمر الذي يدفعه الى اضمار الحقد والعداء الشديد لهم.

٢ ـ **الإستهزاء**: والإستهزاء تصرف استفزازي يضيق به أكثر الأطفال، ومن شأن استهزاء اولياء الأمور والمربين بالأطفال ان يساهم في مضاعفة النـوازع العدائية لديهم تجاههم.

٣ ـ **التجاهل**: يؤدي تجاهل الطفل بطبيعة الحال، الى قلقه وشعوره بالحقارة. ولأنه يرغب ان يرى نفسه محاطاً برعاية واهتمام الكبار، ينزعج كثيراً اذا شعر

ان هناك تجاهلاً وعدم اهتمام به من قبلهم. وهذه المسألة تثير حقده وعدائـه الشديد تجاههم شيئاً فشيئاً.

٤ ـ **الأرهاق**: الطفل الذي يكون مرهقاً من المشي أو العمل اليومي، يميل الخلود الى الراحة في البيت، فاذا كلف في هذه الأثناء، بعمل آخر يضاعف من ارهاقه، ينزعج ويغضب كثيراً، وتشتد نزعته العدائية تجاه من يتسبب في ذلك، فالإرهاق بحد ذاته يعد سبباً من اسباب حصول العنف والعدوان.

٥ ـ **العقاب المفرط**: الأطفال يكرهون عادةً العقاب، لكنهم يتوقعون ذلك في حال ارتكابهم لخطأ يستحقون عليه العقاب. إلاّ انهم ينزعجون بشدة ويتضاعف عداءهم تجاه الشخص ـ بل وسائر الناس ـ إذا شعروا ان ما يتعرضون له، عقاب مجحف وغير عادل.

٦ ـ **المرض والضعف**: ان الأطفال الذين يعانون من المـرض والضـعف لا يتمتعون بأوضاع طبيعية، وينظرون الى الدنيا والمـحيطين بـهم نـظرة سـلبية وعدائية. وتصدق هذه المسألة أيضاً على الأطفال الذين يعانون مـن امـراض مزمنة. وكلما ازدادت هذه الأمراض وتضاعفت حدتها، اشـتدت وتـضاعفت النزعة العدائية لديهم.

٧ ـ **عوامل أخرى**: وبالطبع هناك عوامل واسباب أخرى تساهم في تشديد النزعة العدائية لدى الأطفال، منها التأنيب، والإيذاء، والتعرض لصدمات نفسية مفاجئة، من قبيل موت الأم أو أحد الأعزاء، وكثرة الأوامر والنـواهـي، مـثل لاتلمس، احذر، تعال، اذهب، لا تؤذي وما إلى ذلك.

الأشخاص الذين تزداد لديهم نزعة العدوان

تزداد النزعة العدوانية لدى بعض الأشخاص، نشير هنا الى امثلة منهم كما يلي:

ـ اولئك الذين لا يلقون العطف والحنان الكافيين من الوالدين.

ـ الأطفال الذين يتعرضون الى اخفاقات متتالية خلال حياتهم.

ـ من كانوا ولأسباب متعددة على صلة بثقافات عدوانية وتأثروا بها.

ـ الذين حرموا من الرعاية والتوجيه في الأسرة.

ـ الذين عانوا من امراض مزمنة في حياتهم.

ـ اولئك الذين تعرضوا بإستمرار الى التجاهل والتحقير من قبل الآخرين لمختلف الأسباب.

ـ من كانوا على اتصال دائم برفاق السوء.

ـ وأخيراً الأطفال الذين تعرضوا للإستهزاء بكثرة، ولم تتوفر لهم فرصة يلقون فيها الاحترام والتقدير من الآخرين.

في حالة الفشل

الأطفال عادة لا يخفون عداءهم وكراهيتهم لشيء، ويسعون الى مقاومته والدفاع عن انفسهم تجاهه بنحو وآخر. الا انهم نادراً ما ينجحون في مسعاهم هذا نتيجة ضعفهم البدني، وعدم قدرتهم على التدبير، ولذا فإنهم يخفون عداءهم في كثير من الحالات، أو يوجهونه نحو الأشخاص الأضعف منهم. أو نحو

الحيوانات أو الأشياء الأخرى . فالطفل الذي نشاهده احياناً منهمك بالضرب والتخريب والتحطيم بلا سبب، هو في الواقع يعبر عن حالته العدائية تجاه شيء ما.

يسعى الأطفال في نزاعاتهم مع الآخرين، إلى ابراز غضبهم والدفاع عن انفسهم بكل ما أتوا من قوة، الا انهم اذا شعروا أن لا جدوى من سعيهم، يكظمون غضبهم في دواخلهم ويعبرون عنه بأشكال أخرى.

خطر العدوان وضرورة الوقاية منه

يؤدي العدوان بالأطفال الى غض الطرف عن حقائق الواقع، والإندفاع وراء ارادة السوء بالآخرين والإنتقام منهم. وقد يتسبب غضب عابر خلال لحظات في تدمير بناء عائلة بأكملها، وخلق مأساة حقيقية لعدد من الناس.

وقد يلجأ الطفل في بعض الحالات إلى التخطيط لتنفيذ عدوانه، وفي هذه الحالة يتضاعف الخطر، وذلك لأن الطفل لا يفكر بعواقب عدوانه، ويكون اذاه اكثر من الآخرين.

وفي بعض الحالات، ولاينجح العدوان مع العاطفة العائلية، ويرتبط بطبيعة حياة الأبوين، فكم يوجد من اولياء الأمور من يعانون من المشاكل والصعاب في هذا الجانب.

من الضروري تربوياً الحد من نزعات العدوان لدى الطفل. ويجب المبادرة الى ذلك ابتداءً من السنوات الأولى من عمره حيث يصعب السيطرة عليها في

المستقبل. يجب تربية الأطفال بالشكل الذي يجعلهم يتمتعون فيه باوضاع طبيعية، ولا يندفعون الى معاداة الأخرين، لما من شأنه ان يضر بهم وبالأخرين.

الترتيبات والاجراءات اللازمة

من أجل تربية الأطفال تربية سليمة وصحيحة، ينبغي لأولياء الأمور ان يقيموا علاقاتهم مع الأطفال على أساس المباديء التالية:

١ ـ الإحترام: من المبادىء الاسلامية المهمة في تربية الأطفال بناء علاقات قائمة على اساس الإحترام فالطفل الذي يرى نفسه محاطاً بالإحترام والإهتمام من قبل أبويه ومربّيه، يتزن سلوكه بشكل طبيعي، ولا يجد حاجة الى التمرد والعدوان.

٢ ـ الحب: ان حب الأبوان لأطفالهما مسألة طبيعية وغريزية، الا ان الأطفال لا يشعرون به أحياناً بسبب عدم التعبير عنه بأشكال ملموسة. ومن هنا فإن التعبير عن مشاعر الحب والمودة باشكال عملية ومحسوسة تكتسب اهمية متزايدة في هذا المجال، ويشعر الطفل بالأمتلاء العاطفي الذي يحول دون تولد النزعات العدائية لديه.

٣ ـ صفاء اجواء العائلة: من أجل الحؤول دون تولد النزعات العدائية لدى الأطفال، ينبغي الحفاظ على أجوائهم الحياتية من كل ما من شأنه تعكير صفوها، ولتحقيق هذا الهدف، من الضروري تجنّب الأجواء البيتية النزاعات والخلافات العائلية، والتعامل مع اعضاء الأسرة بالعدل والإنصاف، والحد من حالات الشجار والعصبية بقدر الامكان.

٤ ـ **التفهيم:** قلنا ان الطفل اذا شعر ان والديه يهتمان بطفل آخر في البيت اكثر منه تتولد لديه حالة من الحسد التي تتطور تدريجياً الى نزعة عدائية، وعلى الوالدين في مثل هذه الحالة تفهيم الطفل بأن اهتمامهما ورعايتهما له لا تقل عن الآخرين،ورعايتهما للطفل الآخر اكثر لكونه يحتاجها لضعفه لا شيء آخر.

٥ ـ **التعليم:** يجب ان يميز الطفل وبالتدريج بين ما هو حسن وما هو سيء، ويعرف ان الاعتداء مذموم والألفة ممدوحة، وتستقر هذه المفاهيم في ذهنه ويتشبع بها، بحيث تولد لديه ميلاً ورغبة دائميتين في معاملة الآخرين بالحسنى.

أساليب الاصلاح

بدءاً لابد من الأشارة الى هذه المسألة وهي، على اولياء الأمور والمربين ان لا يقلقوا من عدم تأقلم الأبناء في مرحلة الطفولة مع الأوضاع، لأن التجارب العلمية اثبتت امكانية تحقيق هذا الأمر في السنوات التالية الى حدٍّ كبير، شريطة توفير أرضية مناسبة ومقدمات ملائمة. أما في اساليب الإصلاح فيجب مراعات النقاط التالية:

١ ـ **حب الطفل:** يجب على اولياء الأمور والمربين إفهام الطفل بأنهم يحبونه وليس مهماً عندهم ما اذاكان قبيحاً أو جميلاً بنتاً أو ولداً، وديعاً او مشاغباً، لكن المهم عندهم هو تغيير سلوكه الخاطىء لكسب المزيد من حبهما ورضاهما.

٢ ـ **ضبط النفس:** لابد للأطفال في هذا المجال ان يعرفوا مسألتين؛ الأولى: ان يدركوا في أي وقت خرجوا عن توازنهم، وهو ما يجب أن ينبههم عليه الابوان في وقته.

والثانية: كيف يتغلبون على مثل هذا الشعور ويضبطون انفسهم اثناء حصوله،

وهنا أيضاً يأتي دور الأبوين في توجيههم الى ضرورة التغلب عليه، بواسطة مغادرة المكان، او تناول قدح من الماء، أو القيام ببعض الحركات الرياضية ...الخ.

٣ ـ **أزالة الموانع والحرمان**: يجب السعي الى معرفة السبب او الأسباب التي تساهم في اثارة نزعة العدوان لدى الأطفال، والعمل على رفعها وإزالتها عن طريق تقويمهم، او محاولة الحد من تأثيراتها السلبية عليهم على الأقل عند تعذر رفعها.

٤ ـ **رفع سوء الظن والحسد**: قد يرى الطفل أحياناً مشهداً ما، فيداخله الحسد تجاهه، او يقوم الأبوان بتصرف عفوي، فيظن الطفل أنهما يسيئان إليه بذلك. ومن هنا يجب على الأبوين المبادرة لمعالجة هذين الأمرين والحؤول دون استفحالهما.

٥ ـ **توجيه العدوان**: يمكن توجيه النزعة العدائية أما نحو شخص أو جماعة تستحق مناصبة العداء، أو تغيير وجهته وتحويله الى طاقات فاعلة، تصرف على النشاطات الإنسانية، وبالطبع ان هذا الحل والعلاج عمليٌّ بالنسبة للأحداث أكثر من الأطفال الصغار.

٦ ـ **اللعب**: يمكن أحياناً إلهاء الطفل وصرفة عن نزعته العدائية عن طريق تشجيعه على اللعب والتسلية. ان لإشتراك الطفل في النشاطات الرياضية المختلفة أثاراً جيدةً في الحد من حالاته وحتى اصلاح سلوكه.

٧ ـ **البديل**: وفي بعض الحالات، يمكن اعطاء الطفل دمية ما كي يلهو بها. فسيعمد بطبيعة الحال، على افراغ جام غضبه على هذه الدمية، والتنفيس عن نزعته العدائية بواسطة ضربها، وضربها بالأرض، أو العمل على تسكين حالته

عن طريق مناجاتها وبثها همومه ولواعجه.

٨ ـ الاعتزال: وحينما تشتد نزعته العدائية يصبح من الضروري مجانبته واعتزاله او ابعاده عن الآخرين، وذلك لاحتمال الحاقه الضرر بهم. صحيح ان ابعاده عن الموضع الذي هو فيه، وتحذير الآخرين من الاقتراب منه يجعله اكثر غضباً، الا انه يبدو اسلوباً ضرورياً لاجتناب الاضرار بهم، وهو اضافة الى هذا يساعد على اعادة الطفل الى حالته الطبيعية بعد لحظات.

٩ ـ الاستنطاق: وقد تفرض الضرورة في بعض المواقف استنطاق الطفل للتعرف على الاسباب الداعية لبغضه لشخصٍ ما، وما هو التصرف الذي اثار استياءه؟

يتبّين من خلال الدراسات ان الافصاح عن المكنون يعتبر بحد ذاته متنفّساً اذا قام به يشعر بعده بارتياح نسبي. ولاشك ان الافصاح عن سبب المعاناة يعين الوالدين على معرفة اسباب نزعته العدوانية.

١٠ ـ التهديد: وبالتالي اذا لم تجد الأساليب المذكورة نفعاً، لم تؤثر المواعظ والنصائح والإرشادات، فيجب اللجوء الى اسلوب التهديد والوعيد، واخبار الطفل بأنه سيتلقى العقاب الصارم ويحرم من امتيازاته في حال عدم عودته الى رشده وامعانه في العنف والإيذاء.

تحذيرات مهمّة:

من أجل أن لا تترك عملية اصلاح سلوكيات الأطفال الخاطئة ـ ومنها السلوك العدواني ـ مضاعفات سلبية، ينبغي على اولياء الأمور والمربين الأخذ بنظر الإعتبار الملاحظات التالية:

ـ يجب الإمتناع عن قمع عدوان الطفل بعدوان يماثله بشدته، فمن شأن ذلك ان يقعده عن العمل إلى الابد.

ـ يجب عدم اتخاذ أي قرار بشأن كيفية التعامل مع الحالة العدائية لدى الطفل قبل الإهتداء الى معرفة اسبابها وحدودها، لأن ذلك قد يترك مضاعفات خطرة عليه.

ـ الحذر من أن لا يكون رد الفعل بالشكل الذي يؤدّي بالوضع النفسي لدى الطفل من سيء إلى اسوء.

ـ ان معاقبة مثل هكذا أطفال بالضرب يؤدي الى مضاعفة حالاتهم العدائية، وابتلائهم بمشاكل اكثر.

ـ لا ينبغي طردهم من البيت بسبب نزعاتهم العدائية بأيّة حال من الأحوال، بل اشعارهم بأنه لا بد لهم من ان يتعايشوا مع الاوضاع باصلاح سلوكهم.

الرقابة اللازمة

كما ويجب أيضاً في سبيل اصلاح سلوك الطفل والقضاء على نزعاته العدائية، الالتفات الى النقاط التالية:

١ ـ عدم الأصرار على فرض الرقابة الصارمة على جميع أفعاله، والسعي في بعض الحالات الى اصلاح بعض المسائل من خلال غض الطرف عنها وتجاهلها.

٢ ـ لابد من اتاحة الفرص للطفل دائماً من اجل ان يتمكن من حل مشاكله بنفسه.

٣ ـ يعد خلق الثقة عند الطفل بوجود الاخلاص والمحبّة من ذويه خـطوة بناءةً في هذا المجال، ولذا يجب العمل على احراز هذه المسألة بشكل حثيث.

٤ ـ ان من شأن ابقاء باب النقاش وتبادل الرأي مفتوحاً بين أولياء الأمـور والأطفال، ان يساهم في حل كثير من المشاكل. ولذا ينبغي الأهتمام بهذا الأمر بشكل جدي.

٥ ـ ينبغي مراقبة الوضع المزاجي والنفسي والعصبي للطفل فربما يكون هو السبب في حصول الإثارات العدوانية لديه.

٦ ـ يجب تجنب التفكير والتخطيط دائماً في «ما العمل»؟وما هو رد الفعل اذا تصرف الطفل كذا.

٧ـ اذا كان الطفل تلميذاً في المدرسة فمن الضروري تعاون البيت والمدرسة في أمر اصلاحه.

٨ـ على اية حال فإن من شأن الصبر والمطاولة والتحمل والتصرف بهدوء ان يزيل نصف المشاكل والصعوبات.

مشاجرات ومنازعات الاطفال

تقديم

كثيراً ما يواجه الوالدان في البيت، المعلمون في المدرسة، وعموم النـاس المارين في الشوارع نشوب المشاجرات والنزاعات بين الاطـفال. فـهم مـنذ نعومة الاظفار وحتّى سن الثالثة يتشاجرون مع بعضهم بكثرة لأسباب تـافهه، ويجلبون بذلك لأنفسهم الأذى ولذويهم الازعاج والعناء.

إنّ ما نبتغيه من وراء هذه الدراسة يتلخص في معرفة كون هذه الحالة عـند الاطفال طبيعية؟ أم انها وليدة حالة مرضية؟ وما هو الموقف الواجب اتخاذه من قبل الابوين والمعلمين ازاءها؟ وهل هناك ضرورة لمنع المشاجرات، وتـقويم سلوك الاطفال في هذا الاتجاه؟ وماهي طرق الاصلاح المتّبعة في هذا المجال؟ وغير ذلك.

عمومية الظاهرة

من الضروري الاشارة أولاً الى ان مشاجرات الاطفال تعتبر ظـاهر عـامّة وشاملة لا تختص بفئة او طبقة أو منطقة معيّنة ولاتقتصر على عنصر دون آخر، بل انها شائعة بين مختلف الاجيال والشعوب، ولاشك انها تتأثر بنمط التـربية ومقتضيات البيئة والظروف الثقافية السائدة في ذلك المكان.

تبلغ هذه النزاعات في بعض مراحل النضوج ـ وخاصّة بين سن ٧ ـ ١١ عاماً ـ حداً من الاتساع بحيث يمكن اعتبارها جزءاً لا يـتجزأ مـن حـياة الطـفل. والنزاعات الصبيانية هذه تبلغ ذروتها في هذه المرحلة من العمر.

كما ان نوع القيود الانضباطية السائدة في العائلة ربّما تفضي الى تفاقم هذه الظاهرة او التخفيف من حدّتها. أما تجاربنا اليومية فتؤكد وجودها بشكل أو بآخر لدى العوائل التي لا تلتزم بسياسة ناجحة في تربية ابنائها.

الطفل يختلط عادة في البيت أو في المدرسة باخوانه واخواته واقرانه الى حد معين، وحينما يبلغ هذا الحد مداه الاخير يبدأ التنازع والشجار والضرب، وقد تتحول هذه الممارسة عند الكثير منهم الى عادة متأصلة فلا يقر لأحدهم قرار الا باثارة المشاجرات والنزاعات والصراخ والشتائم.

كيفية حدوث المشاجرات

تبدأ المشاجرات عادة بذرائع تافهه وحجج واهية وتوجيه التهم للبعض الآخر. وغالباً ما تتلخص الدوافع في الرغبة في الاستحواذ على ادوات اللعب، الحسد، الرغبة في اثبات الوجود والقوّة، وعدم تحمّل شتائم الطرف المقابل وتنتهي على الاغلب بالضرب، الركل، البصق، العض، جر الشعر، الرمي على الارض، أو حتّى بالجرح واسالة الدماء من الآخرين.

اما الفاصل الزمني بين بدء المشاجرة اللفظية والشروع باستخدام القوّة فهو اقل مما يحصل بين الكبار ويبدو من هذا وكأن الاطفال لا يطيقون تحمل المشاذّات الكلامية، ويحاولون وضع حدٍ لها فوراً عن طريق الضرب، وبعبارة أخرى انهم يفضلون طرح الكلام الاخير منذ البداية.

يمارس الاطفال اعمال العنف والمشاجرة بناءً على ما يتعلمونه من القدوات والنماذج التي يشاهدونها في البيت والمدرسة والافلام التلفزيونية والسينمائية،

ولا يتورّعون طبعاً عن ايذاء البعض الآخر بشكل من الاشكال. ونحن نواجه في مجتمعنا الكثير من الأطفال الذين يتبعون مختلف اساليب التنازع مع بعضهم الآخر.

تبريرات الاطفال للمشاجرات

من الصعب جداً على الوالدين او المعلمين التدخل بين الاطفال والحكم باحقيّة هذا الطرف او ذاك، لأن الاطفال يدافعون عن أنفسهم بشدّة وكل واحد منهم يظهر نفسه وكأنه المحق. ولو استمع احد الى آرائهم لتبيّن له ان كل واحد منهم يتّهم الآخر بالبدء في اثارة الصراع ويظهر نفسه بمظهر العاقل المتروّي. فهذا يقول ان ذاك قد اخذ لعبتي أوّلاً، وجر شعر رأسي، وهو الذي خرّب ألعابي، فيما يقول الآخر بأنَّ الاوّل شتمه واراد ضربه فمنعه، او انه قد اساء اليَّ بقبح مزاجه و ...الخ.

ليس من الصعب طبعاً معرفة صاحب الحق اذاكان النزاع بين صغيرين الا اننا نواجه صعوبة اشد بالنسبة للاطفال بين سن ٧ ـ ١١ عاماً او حتّى بالنسبة للأحداث واليافعين.

نوكّد هنا على أهمية هذه المسألة وحسّاسيتها ونوصي الوالدين والمعلمين بعدم التسرّع في اصدار الاحكام والتعجّل في تحديد صاحب الحق.

النزاع حالة طبيعية

نعتقد بعدم ضرورة القلق من رؤية الصراعات التي تنشب بين الاطفال ولا

يجب التصور بان الوضع قد وصل الى حالة مقلقة، فالمشاجرات موجودة بشكل طبيعي بين الاطفال ويعتبرها بعض علماء النفس ـ كما سنرى ـ ذات طابع غريزي وفطري، والنزاعات بين ابناء العائلة الواحدة وبين ابناء الاقارب وحتّى بين الزملاء في المدرسة، والأقران في الشارع ـ اذا لم تكن مصحوبة بالعنف ولم تتخذ طابع الدوام والتكرار ـ تعتبر امراً طبيعاً يسلكه جميع الاطفال. الا اننا يجب ان نقلق حينما تؤدّي هذه الظاهرة الى ايجاد اضرار جسدية ومالية فادحة.

الوضع الطبيعي الذي يميّز حياة الاطفال هو المشاجرة حيناً والتصالح والمحبّة حيناً آخر. وحتّى ان موضوع الغالب والمغلوب لا وجود له في نزاعاتهم ومشاجراتهم. فما ان تنشب بينهم مشاجرة حتّى تهدأ الاوضاع بعد لحظات ويعودون الى اللعب والحياة العادية. اما دور العائلة في مثل هذه المواقف فيجب ان يتركز على تقليل النزاعات الى أدنى حد ممكن، والحيلولة دون استخدام اساليب العنف والتعسّف فيها.

مخاطر المشاجرات

تنطوي المشاجرات في بعض الحالات على بعض المخاطر وخاصة اذا نشبت بين شخصين يتفاوتان في السن والقدرة، او في حالة تكالب جماعة ضد شخص واحد لأنّها قد تؤدّي الى الحاق اضرار بالشخص او قد تشكّل تهديداً لحياته.

كما وتجدر الاشارة هنا الى ان مشاجراتهم تتميز بالسذاجة، فالطفل قد يرمي حجراً من غير ان يتأمل في العواقب الوخيمة التي قد تترتب على هذا

الفعل في ما لو أصاب الحجر عين شخص آخر، او قد يركل رفيقه ولا يأخذ في الحسبان ما قد تسببه ركلته لو انها أصابت موضعاً حساساً من البدن.

وانطلاقاً من هذا التصور، نعرض في ما يلي نقطتين بشأن علاقات ولعب الاطفال هما:

١ ـ تحذير الاطفال جهد الامكان من اللعب مع الشباب والاحداث.

٢ ـ ان تكون علاقات الاطفال ولعبهم تحت اشراف ورقابة الوالدين.

النتائج المترتّبة على المشاجرات

يهرع الوالدان والمربّون بشكل طبيعي عند سماع الصراخ والبكاء والعويل من الاطفال وذلك حينما ينشب الصراع وتتكسر ادوات اللعب ويختلط الحابل بالنابل، وتصبح الأيدي والوجوه زرقاء أو حتّى دامية من الضرب وينطلق الصراخ من كل مكان مقرون بالتهديد والوعيد وتبادل الاتهامات.

وعند رؤية شخص اكبر يتجه كل منهما نحوه في محاولة لتبرئة نفسه والقاء الذنب على المقابل. وهكذا يتهم كل منهما الآخر باثارة النزاع فيشير الى انه ضربني او دفعني او اخذ مني دميتي، ولا تقف المشاجرة عند هذا الحد بل تتعداه أحياناً الى بقية افراد العائلة ويسري إليهم النزاع وتبدأ المشاحنات والتوبيخ على عدم تربيتهم بالشكل الصحيح وما إلى ذلك من امور.

وحينما يمتد الصراع ليشمل بقية افراد العائلة ويتناحر الاخوة والأخوات تتحول المسألة الى لغز لا يعرف المقصّر فيه، هل هو الأب ام الأم؟ وهذا ما يؤدّي في كثير من الحالات الى اثارة مشكلة بين الرجل والمرأة قد لا يحمد عقباها.

فوائدها

وفي نفس الوقت لا بأس بالاشارة الى بعض الفوائد التي تتمخض عن المشاجرات رغم ما يكتنفها من شرور واضرار، وأهم تلك الفوائد هي:

١ ـ التدريب على فنون القتال لاكتساب القدرة واستعمالها في المواضع الضرورية.

٢ ـ اكتشاف القدرة البدنية والكلامية ومدى امكانية التغلب او الفشل فيها.

٣ ـ التنفيس عن العقد الناتجة من رؤية المشاهد التي ينقبض لها القلب وتضيق لها النفس.

٤ ـ اكتساب المهارة والقدرة من خلال مشاهدة الافعال وردود الافعال في المشاجرات.

٥ ـ التمرّس على الوقوف على القدمين والثقة بالنفس والدفاع عن الحقوق الذاتية.

منطلقاتها النفسية

هنالك آراء متعددة بشأن المنطقات النفسية للصراعات التي تحصل بين الاطفال وأهمّها: ان اندفاع الناس نحو التصارع منبثق من ميول غريزية مغروسة في فطرة الانسان، فيقولون ان الانسان بحكم غريزتة مجبول على الميل نحو الهجوم واثارة الصخب وحينما تتوفر الظروف الملائمة لبروزها تبدر من الانسان مثل هذه السلوكية.

فاذا كانت لهذه الظاهرة جذور غريزية فنحن غير قادرين على اقتلاعها

وانّما يتاح لنا فقط تهذيبها عن طريق التربية وغيرها من الاساليب الاخرى. ولو كانت غريزية حقّاً فهذا يعني انها موجودة لدى جميع الناس وعلى الدوام وما دام الانسان موجوداً فالصراع والتناحر موجود أيضاً. وحتّى اذا انعدمت فرص ممارسة هذه الغريزة على الآخرين فهو يتنازع مع نفسه ويضربها.

اما عن كيفية ظهورها فيكفي فقط وجود ذريعة لاثارتها كالحسد او التنافس او المغامرة او تحقيق الرغبات والاماني. ولهـذا السـبب نـلاحظ ان الدوافـع الكامنة وراء كل مشاجرة أو نزاع انما هي في حقيقتها دوافع تافهة لا تستحق الذكر، من قبيل لماذا عند الطفل الفلاني العاب ودمىً مختلفة وليس عندي مثله؟ او لماذا العابه اجمل من ألعابي؟ او لمذا قال لي كذا وكذا؟ وما الى ذلك من حجج وذرائع.

أسباب المشاجرات

يمكن ذكر اسباب كثيرة للمشاجرات التي تقوم بين الاطفال؛ وهي اسباب اذا لم تتأمّلها بدقّة لا يمكن التوصل الى نتيجة واضحة بشأنها. فالاسباب التي يذكرها الاطفال في صراعاتهم اغلبها تافهة ولاتعدو ان يكون احدهم قد تلفظ باسم الآخر بالخطأ عمداً أو ذكر اسم امه وابيه بسوء، او اراد اخذ ادواته، او لم يشاركه معه في لعبه وما شابه من هذه الامور.

وفي نفس الوقت هناك حالات يمكن التعويل عليها في طرح وجهات النظر، وعلى الوالدين والمربيّن تقصّي حقائقها، وهي حالات كثيرة طبعاً نقتصر هـنا على ذكر بعضها في ما يلي:

١ ـ **الرغبة في التملّك**: قد يكون في يد الطفل دمية الا انه يلاحظ في يد طفلٍ آخر دمية اجمل منها فيثور في نفسه حب العدوان والرغبة في التملك فيركض وراءه ليخطفها منه.

ومن الطبيعي جداً في مثل هذه الحالة ان يبدي صاحب الدمية مقاومة ويأخذ بالصراخ والبكاء وهذا ما يؤدي في نهاية المطاف الى نشوب مشاجرة بينهما واذا لم يتداركوا في الوقت المناسب يتحول الخصام الى مشاجرة وضرب. وهذه الظاهرة تلحظ بكثرة بين الاطفال دون سن الرابعة.

٢ ـ **الحفاظ على الملكية**: وهنا تطرح مسألة الطرف المقابل الذي يسعى لصيانة ممتلكاته والحفاظ عليها لأن الطفل شديد الحساسية ازاء ما بيده وشديد الحذر على ممتلكاته. فالطفل ربّما ملَّ من دميته وتركها لفترة طويلة لا يلعب بها وقد يهديها الى طفل آخر من تلقاء نفسه، أمّا اذا اراد احد الاستحواذ عليها فانه يتصدّى له بكل قوّة رغم سأمه منها، لانه يعتبرها جزءاً من ممتلكاته وهو على اتم الاستعداد لإتلافها ولكنه غير مستعد لرؤيتها في يد طفل آخر.

٣ ـ **الحسد**: حينما يولد طفل جديد يستحوذ على كل اهتمام ومحبة الأبوين. اما الطفل الاكبر فلا يدرك ان المولود الجديد بحاجة لمزيد من الرعاية والاهتمام بل يعتبره منافساً له وتتكون في نفسه عقدة تجاهه. وحتّى وان بدت علاقتهما وطيدة على الظاهر الا انه يبقى يتربّص لأدنى خطأ يبدر من الاخ الاصغر لكي يواجهه بالتعنيف والمشاجرة.

٤ ـ **اطفاء نار الغضب والانفعال**: حينما يكون للطفل سلوك غير قويم في البيت وفي المدرسة ويتلقّى ـ نتيجة لذلك ـ بعض العقوبات من المدير او المعلم، او عندما يكتب الآخرون عن سوء سلوكه ويخبروا ذويه عن بعض اخطائه فمن

الطبيعي انه يعيش حالة مريرة من الترقّب لمعرفة ما سيجري له، فاذا ما واجه في مثل هذه الظروف طفلاً آخر يسبب له الازعاج والأذى، او اذا اراد أحد افـراد عائلته التحدّث معه فانه يبرز انفعالاته بشكل غير سليم ليتشاجر مع الآخرين لأتفه سبب ممكن. كما وتلاحظ هذه الظـاهرة أيـضاً لدى الاطـفال الذيـن لا يحظون بالمحبة او يعانون من بعض النواقص الاخرى.

٥ ـ **الضعف:** تنطلق المشاجرات في بعض الحالات من ضـعف الشـخص واصطدامه بمسائل جديد وعدم قدرته على مواجهتها. فالطفل في مثل هـذه الحالة يرى نفسه عاجزاً عن الدفاع عن نفسه ويعلم انه اذا بقي ينتظر المشاجرة من خصمه فلن تكون النتيجة لصالحه، لذلك يجد نفسه مرغماً على الامساك بزمام المبادرة والشروع بالمشاجرة.

كثيراً ما يشعر الطفل بالضعف بسبب جهله وعدم نضجه، وهذا مـا يـدفعه للشروع بالمشاجرات لغرض استقلاليته ولاخفاء ما يعانيه من الشعور بالحقارة، ولكي يبد للآخرين انه ذو شخصية كاملة وقادر على الدفاع عن نفسه.

٦ ـ **العقد النفسية:** قد لا يكون للمشاجرات من سبب احياناً سوى الرغبة في التنفيس عن العقد. فالطفل الذي يتلّقى العقوبة من ابويه، او يواجه التهديد من شخص اكبر واقوى او يقابل بجفاء من الشخص الذي يحبّه كل هذا يثير مكامن غضبه ويدفعه الى التنفيس عن عقده عن طريق افراغ غضبه على رأس طـفل آخر أضعف منه. او ربّما كان يضمر في نفسه حقداً على طـفل آخـر ولا يـجد الفرصة المناسبة لمحاسبته فما ان تتوفر له مثل هذه الفرصة حتّى يغتنمها متذرعاً بما لديه من حجج للتعويض عمّا مضى ولابراز ما في نفسه من عقد.

٧ ـ **الرغبة في التسلط:** يميل الكثير من الاطفال الى التسلط على الآخرين

حتّى في اللعب، وكثيراً ما تؤدّي هذه الميول الى المشاجرات والاصطدامات. وظاهرة الميل الى التسلط هذه نابعة من الشعور بانعدام الأمن، اذ يتصور الشخص انه اذا لم يتسلط على الآخرين فسيصبح اذن تحت سلطتهم، واذا لم يظهر لهم الغلظة والقدرة فسيعتبرونه شخصاً دخيلاً ويخرجونه من الساحة. ولهذا تراه يتذرع بأنَّ الشخص الفلاني مثلاً سيء الخلق، مستهدفاً من وراء ذلك ايذاءه واثارة المشاجرات.

٨ ـ اثبات الوجود: اذا عجز الطفل عن اثبات ذاته واظهار شخصيته بالاساليب والطرق المألوفة اجتماعياً، يتجه نحو ذلك عن طريق المنازعات والمشاجرات. ويسعى في ميادين الحسد والمنافسة والمفاضلة الى اثبات ذاته والتأكيد على انه لايقل شأناً عمن سواه. وفي المواضع التي يستشعر فيها انه موجود منسي يحاول ان يثبت انه حيٌّ وفعّال ولابد من ادخاله في الحسبان. ويركزّ ـ في الحالات التي يقابل فيها بالتجاهل والاهمال ـ على انه قوي وقادر على ان يأمر وينهى وذلك عن طريق افتعال المنازعات مع الآخرين.

٩ ـ اختبار القوّة: ان الطفل الذي يشاهد ويسمع ـ بواسطة الافلام والاذاعة والتلفزيون ـ المغامرات والبطولات وان بطل القصّة قد صرع خصمه بعدّة لكمات، يتكون لديه ميل تدريجي لاختبار قوّته من خلال هذه الاساليب ومعرفة ما لديه من قدرة، وهل انه قادر على الدفاع عن نفسه اثناء نشوب المعارك والمنازعات؟ وغرضه من هذه الاختبارات ان تتكون لديه ثقة بنفسه. ومثل هذا الدافع يجعله ميالاً لإثارة المشاحنات واختلاق المنازعات.

١٠ ـ الانعكاسات التربوية السيّئة: تنشأ الكثير من منازعات الاطفال بسبب الانعكاسات التربوية السيئة التي يأخذونها عن الأبوين. وبعبارة أخرى؛ كثيراً

ما يكون نمط سلوك الأبوين سبباً في اثارة حسد الطفل وضغائنه وانـتهازيّته. فالابوان ـ وبسبب سذاجتهما ـ يتنازعان امام الطفل ويثيران الصخب وهذا ما يمهّد الاجواء للتنافس والنزاع. أي أنّه يكرر في حقيقة الحال ما يراه من سلوك والديه.

١١ ـ **المزاح والمحادثة:** وتقوم النزاعات احياناً بسبب المحادثة او مزاح طفل مع آخر في وقت لا يكون فيه الأخير مستعداً لمثل هذا المزاح، او ربّـما كـان السبب هو الكشف عن معايبه وعاهاته او سوء درجاته بينما الآخر لا يـرغب بمواجهة هذه الحقائق، وهذا ما يدفعه لاثارة النزاع للتخلص من شرّه ودفع أذاه.

١٢ ـ **الاسباب العضوية:** اظهرت الدراسات العلمية ان الجوع العلمي (وهو ما يعرف بنقص نسبة السكر في الدم)، العاهات الجسمية، التعب وضيق الصدر، الارق، فقر الدم تكون اسباباً في بعض الحالات لنشوب الصراعات والنزاعات. ولو وضع حد لتلك الاسباب لما برزت مثل هذه النتائج. فالمشاجرات ليست دائماً وليدة العقد والاختلافات، بل انها تعود الى وضعها الطبيعي بعد معالجتها طبيّاً ليعود الطفل من بعدها الى الاستقرار والسلوك القويم.

١٣ ـ **الاسباب المتعلّقة بشخصية الطفل:** وقد تكون المنازعات ناتجة احياناً عن اضطراب في الشخصية. فاذا تكررت المنازعات، وكان الطفل على درجة من ضيق الصدر بحيث لا يمكن لأحدٍ الاقتراب منه، يجب حينئذ البحث عـن الاسباب النفسية لهذه السلوكية. فالاضطرابات في الشخصية ناتجة عادة مـن الضغوط النفسية التي نلاحظ انعكاساتها على السلوك. وفي مثل هذه الحالات لابد من تقصّي الاسباب ولاسيما الاسباب الكامنة وراء نشوء هذا النمط مـن السلوك.

١٤ ـ اثارة الغضب: وقد ينتج هذا السلوك أحياناً عن اثارة غضب الطفل، فهو حينما يشاهد مثلاً مظاهر الظلم والتمييز في البيت وفي المدرسة، يبقى ينتظر الموقف الذي يعبّر فيه عن غضبه والتخفيف من وطأة حمله. أي أن خزين الغضب في نفسه يترقّب حلول اللحظة التي يستطيع فيها افراغ محتوياته فاذا ما حصلت أيّة مسألة حتّى وان كانت تافهة تجده يندفع لا ارادياً ويصب جام غضبه على المقابل.

١٥ ـ اسباب أُخرى: هنالك اسباب أُخرى أيضاً الا اننا نحجم عن الخوض فيها مراعاة للاختصار. كما ان هناك اسباب لم نتوصّل إليها. ومن جملة الاسباب الجديرة بالذكر هنا:

ابراز المحبّة من غير وجود ردود فعل ازاءها، برود الطرف المقابل تجاه مواقفه، وجود الاضطرابات العاطفية، الرد العملي على تقصّي العيوب، اثبات التفوّق الذاتي، مشاعر الفرح التي تغمر الشخص في غير الوقت المناسب، التعويد على الدلال والتملّق، وما إلى ذلك.

بحوث تربوية

نهدف من خلال هذا الموضوع الذي يمثل في حقيقته مقدّمة لبيان طرق الاصلاح والمعالجة، لمعرفة من هم الاشخاص الذين يقومون بهذه الممارسة؟ وما هي العوامل التي تساهم في تشديدها؟ وما هي المواقف التي يتوجّب على الوالدين والمربين اتخاذها؟

من البديهي ان كل من الأب والأم يتخذون ازاء هذا السلوك مواقف متباينة وقد تكون اكثرها غير مدروسة وتتمخّض عنها نتائج سلبية. مثالها ان البعض يتخذ اسلوب المواجهة فيتدخل في الموضوع بشكل مباشر، بينما ينتهج البعض

الآخر موقفاً لا أبالياً، فيما يلتزم جماعة آخرون موقفاً منحازاً لهذا او ذاك من غير معرفة دقيقة لواقع الامر.

نقدّم في ما يلي دراسة تفصيلية لهذه المسألة ونعرض الى جانبها المواقف التربوية المجدية:

من هم الأشخاص الذين يتشاجرون؟

تكثر ظاهرة المشاجرة عادة بين الإخوة والاخوات في العائلة الواحدة وخاصة اذا كان فارق العمر بينهم ضئيلاً. الا اننا لو أمعنّا النظر لرأينا ان المشاجرات التي تنشب بين الابناء انفسهم اكثر بكثير من المشاجرات التي تنشب بين البنات. والتعليل الطبيعي لهذا السلوك يكمن في ان طبيعة الاناث اكثر هدوءاً من الذكور. ومن الممكن طبعاً تربية الابناء على هذا النمط من السلوك أيضاً.

كما ويلاحظ ان المنازعات تكثر أيضاً بين الاطفال الغرباء وخاصّة من لهم سابقة طويلة في الخصومات والمشاجرات، وكذا في الأوقات التي يجد فيها الطفل لنفسه الحامي والمعين فيتجرّأ ويهجم على الضعيف، وهكذا الحال أيضاً بالنسبة للاطفال الذين نشأوا على الدلال والافراط في المحبّة فهم يعطون لأنفسهم الحق في الاشتباك مع الآخرين. هناك اطفال يكبرون الآخرين بثلاث أو اربع سنوات الا انهم يعدّون انفسهم في مصاف الكبار ويعتقدون باحقّيتهم في توجيه الأوامر الى الأصغر منهم، واذا لم يستجب لهم يمنحون لانفسهم الحق في منازعته.

من هم الاكثر عرضة لمنازعات الآخرين؟

تأتي المنازعات عادة على رؤوس الاطفال الذين يعانون نـقصاً او عـاهة جسمية أو روحية. فالطفل يميل الى التنفيس عن عقده من خلال ايذاء الطفل الأضعف او الطفل المصاب بعاهة.

المجتمع فيه الطفل الاعمى، الاطرش، المشلول، والاعرج. وكثيراً ما يتعرض امثال هؤلاء لاستهزاء وأذى الاطفال الذين لم يتلقوا التربية الصحيحة والذين غالباً ما يجعلون الطفل الاصغر أو الاضعف هدفاً لاعتداءاتهم فينزلون به الأذى.

يتجرأ بعض الاطفال على امّه وابيه لينفّس عن عقدته وذلك نتيجة لما تلقّاه من تربية خاطئة. بينما لا يجوز للاطفال ـ وفقاً للرؤية الاسلامية ـ القيام بعمل كهذا، ولا يحق لذويهم السماح لهم بمثل هذا. فقد يشعر بعض الآباء او الامّهات بالسعادة والارتياح حينما يـضربهم الطـفل بـيديه الصـغيرتين ولا يـبدون له الامتعاض لكونه صغيراً لا يفقه معنى هذا السلوك الصبياني، غير ملتفتين الى ان مثل هذه الجرأة ستتحول لاحقاً الى عادة مستحكمة تدفعه الى التمسك بـهذا السلوك المستهجن.

ومن جملة الذين يتعرضون للمشاجرات أيـضاً الاطـفال الذيـن يـحظون باهتمام الوالدين او يكونون موضعاً للاهتمام في البيت او في المدرسة.

أسباب تفاقم المنازعات

هنالك عوامل وحالات تساعد على تفاقم ظاهرة النزاع والمشاجرة عـند الطفل وهذا ما يستلزم بذل الرعاية من قبل الاسرة والمدرسة في هذا الصـدد

والحيلولة دون ذلك. وتلك الحالات يمكن تلخيصها في ما يلي:

١ ـ الحالات العصبية عند الطفل، وهي طبعاً حالة مرضية تستلزم العلاج الفوري.

٢ ـ عدم اهتمام الوالدين بعواقب سلوك الطفل وعدم تطبيق القواعد الانضباطية عليها.

٣ ـ التشجيع المباشر او الضمني من الابوين للطفل الذي يعتدي على حقوق الآخرين وكأنه في الظاهر يبدي شجاعة.

٤ ـ العقوبات الشديدة التي يتلقاها الطفل تدفعه لافراغ جام غضبه على الضعفاء والانتقام منهم.

٥ ـ القيام بالاعمال التي تنطوي على التسابق والتنافس وهذا ما يوغر الصدور بالحسد والغيرة والعداء.

٦ ـ الخوف من الفشل، او التهديد الذي يدفع الانسان لانتهاج اساليب دفاعية غير سليمة.

٧ ـ وجود نوع من التعصّب ضد فئة او طبقة خاصة او عنصر معيّن.

٨ ـ الارق، قلّة الشهية، الحساسية، الشعور بالتعب وهي عوامل تجعل الانسان سريع الغضب.

موقف الوالدين

اما عن موقف الوالدين ازاء الطفل ومدى صحته فينبغي لنا القول ان المواقف متباينة ويمكن عرضها ضمن الحالات التالية:

١ ـ التوبيخ: في الحالات التي يُعرف فيها المتجاوز لابد من توبيخه

ومعاقبته، والجانب المهم في هذا المجال هو ان نرى هل يستحق التوبيخ ام لا ؟ في الكثير من الحالات يسارع الوالدان والمعلّمون، حين السماع بوقوع مشاجرة بين طفلين، الى توجيه اللوم والتوبيخ لأحدهم ولكن بشكل غير مدروس وهذا ما يوقعه في دوامّة من اليأس والقلق. فتكون النتيجة الهدم بدل الاصلاح.

٢ ـ **التدخل في الامور**: ان الكثير من المشاجرات اذا لم نوليها اي اهتمام تنتهي الى التصالح، الا ان تدخل الوالدين يؤدي بشكل غير مباشر الى ظهور نتائج سلبية ويفقدهم القدرة على حل المشكلة. ويعتبر هذا من الضعف التربوي لدى الأبوين بحيث لا يقدران على ايجاد جو من الألفة بين الاخ والأخت. وتدخل الوالدين لا يلبث طويلاً حتّى يُستأنف النزاع من جديد. أي ان التدخل لا يحبّذ الا في الحالات الخطيرة التي يحتمل ان تتمخّض عنها بعض الاضرار.

٣ ـ **الفعل الاستباقي**: نلاحظ احياناً ان الوالدين بمجرّد سماعهم لصياح الاطفال يهرعون اليهم وينهالون على الطفل الاكبر بالضرب من غير معرفة الذي بدأ بالعدوان، وهو في حقيقة الامر لا تقصير لديه. وهذا ما يغيظ الطفل ويخلق لديه تصور بعدم عدالة الوالدين. فالتحقيق في المسألة أمر ضروري وحلّها يسهل بالتأنّي واللين لا بالقوّة والعنف. والطفل المخطىء يجب ان يُبيّن له زللهُ، الا في الحالات التي يتعذّر فيها ذلك.

٤ ـ **الانحياز**: يضطر الوالدان في بعض الظروف للدفاع عن الابن الاصغر حماية له من الابناء الاكبر من غير معرفة بالنتائج التي يخلقها مثل هذا الموقف لسائر الاطفال. فان كان الانحياز لصالح المعتدى عليه بعد تحديد المعتدي فهو تصرف صحيح وفي موضعه المناسب. لأن الوقوف الى جانب المعتدى عليه

وملاطفته يعتبر بحد ذاته نوعاً من الردع للمعتدي، وهو في نفس اشعار للمعتدى عليه بوجود الأمن والعدالة. وفي كل الاحوال تجب المحاذرة من الانحياز غير العادل لأنه يمهّد الأرضية لمزيد من المنازعات اللاحقة.

٥ ـ التجاهل: وفي بعض المواضع يتكاسل الوالدان والمعلّمون عن متابعة ما يحصل بين الاطفال من مشاجرات وتقصّي اسبابها، فيتجاهلونها ويعرضون عنها، غير ملتفتين الى أنَّ مثل هذا الموقف يعتبر تشجيعاً للظالم وخلقاً لليأس في قلب المظلوم. فالواجب اذن يستدعي مراقبة ما يحصل من منازعات بين الاطفال واعانة من يقع عليه الظلم وانصافه مع مراعاة العدالة وعدم الانحياز، والتأكيد أثناء ذلك على قبح الظلم والعدوان.

٦ ـ العقوبة: واخيراً نلاحظ في بعض المواقف ان الأبوين يدخلان في المنازعة ويضربا الطرفين بدون معرفة المقصّر منهما، او يستهزئان بهما أملاً في وضع خاتمة للنزاع. وقد ينجح هذا الاسلوب في انهاء المشاجرة الا انه لا يحل المشكلة. فالوالدان ينفّسان في هذا التصرف عن غضبهما الا ان جذور المشكلة تبقى قائمة، فهذا الأسلوب يتميّز بنوع من العناد لا اكثر، بينما الموقف يتطلب اصلاح حال الطفل، وهذا ما يفرض علينا البحث عن اساليب تربوية اجدى وانفع.

مدى استمرارية هذه الحالة

نشير هنا الى اننا اذا لاحظنا وجود منازعات بين الاطفال فلا يجب ان يتكوّن لدينا انطباع بأنَّ هذه الحالة ستبقى ملازمة لهم على الدوام، الا اذا تلّقى الطفل منّا الاستحسان والتشجيع، او اذا تكرر حصول المشاجرات والمنازعات،

اذ يحتمل حينذاك استمرار هذه الخصلة فيه وانه سيستغلُّ امكاناته وقواه في سبيل التغلّب على الآخرين.

تتميّز منازعات الاطفال بعدم وجود تخطيط او قصد مسبق لها، وانما هي مجرّد عاصفة سرعان ما تهدأ، بل وانها غير متأصلة في النفوس ولا تنبثق عن عوامل الحقد والعداء. ونؤكد على انّها تحصل من اختلاف الآراء فيلجأون الى حلّها بالتنازع وسريعاً ما يكفّون عن عملهم هذا. فنزاعات الاطفال قائمة اليوم ولاوجود لها في الغد، وهي موجودة الساعة وزائلة بعد ساعة، والنضوج الفكري للطفل يساعد على محو هذه الظاهرة تدريجياً، بشرط الاتصاف بالحلم والتأني واسداء الارشادات للطفل.

عدم اليأس

بناءً على ما ذكر، فعلى الوالدين والمعلمين ان لا ييأسوا عند مشاهدتهم لحصول النزاعات بين الاطفال، ولايظنّوا ان ابناءهم صاروا في عداد الاشرار والمخرّبين ولا أمل في اصلاحهم. بل لابد ان ندرك ان هذه الظاهرة لا تعدو الا ان تكون سحابة صيف عابرة.

نحن أيضاً كنّا نمتاز بهذه الصفة في فترة الطفولة بشكل أوبآخر ثم بلغنا مرحلة من العمر ادركنا فيها خطأ سلوكنا. فالنزاعات والمشاجرات تتناسب عكسياً مع تزايد فهم الانسان وسنّه، وحتّى انّها تتحول في مرحلة ما الى الطابع الفكري بدلاً من التنازع بالايدي.

ان الاجراءات غير السليمة التي تتخذ لمكافحة ظاهرة المنازعة تؤدّي الى حصول الاضطرابات وتجعل الاعتداءات اكثر حدّة. فحينما يلاحظ الانسان

وجود موانع وضغوط قوية يخفي دواعي الخصومة في اعماقه، وينتهج اسلوب الضغينة المكبوتة التي تتميّز بمخاطر اشد واكثر.

فالاخوة والاخوات الذين يتشاجرون اليوم في البيت ستكون وشائج المحبّة والاخوّة بينهم قوية في الغد ولكن بشرط أن لا نتّبع معهم اسلوب التجاهل الذي يجعل وضعهم يسير من السيء الى الأسوء ويؤدّي الى نقل الخصومة من الظاهر الى الباطن. ان طريق الاصلاح موجود، ولاشك ان رعايته والالتزام به يؤدّي الى اعطاء ثمار ومردودات ايجابية كثيرة.

على طريق الاصلاح

نعرض أوّلاً نقطتين هامّتين في موضوع اصلاح حالات النزاع والمشاجرة التي تحصل بين الاطفال وهما:

١ ـ **ضرورة العلاج:** يجب عدم اهمال شأن الاطفال الذين تنشب بينهم النزاعات، لأن هذا السلوك يحمل بين طيّاته بعض المخاطر والاضطرار عليهم، الا في بعض الحالات الاستثنائية، ويسلبهم امكانية النضوج السليم والحياة الهادئة.

اذن فلابد من انهاء المشاجرات لغرض الحد من النتائج المترتّبة عليها وان يكون الحل جذرياً وحازماً، وهذا ما يستدعي معرفة التصرّف اللامعقول ومعرفة منشأه والحيلولة دون بروز أي سلوك غير مألوف لدى المجتمع، وذلك لأن التمادي في هذا الأمر ليس من مصلحة الطفل.

٢ ـ **الاستفادة من آرائهم وحلوهم:** وهذه الطريقة تُعيننا على الاستفادة من آرائهم لغرض فض النزاعات القائمة بينهم من غير ان نحمّل أنفسنا عناء التفكير

في حلّها. فقد تبيّن من خلال الدراسات بأن الاطفال إذا اقتنعوا بوجوب المباشرة بأنفسهم لحل مشاكلهم فان النتائج تكون افضل بكثير مما لو قرر لهم الآخرون كيفية حل مشاكلهم. ولابأس بان يشير لهم الآباء والمعلمون اثناء حثهم وتوجيههم لحل خلافاتهم بأنَّ من يبغي استخدام مبدأ القوّة في علاقاته مع الآخرين عليه ان يتذكر وجود من هو اقوى منه، وان هناك من يقدر على ردعه وايقافه عند حدّه. وعلى هذا فالافضل ان يتولوا هم شخصياً فض النزاعات الناشبة بينهم.

طريق الاصلاح

ثمّة طرق متعددة للاصلاح ومن جملتها ما يلي:

١ ـ **توعية الضمير**: يدرك الطفل بشكل طبيعي ـ حتّى مع انشغاله بالنزاع والمشاجرة ـ بان هذه الممارسة غير صحيحة. وهذا الادراك ليس نابعاً من خوف العقوبة وانما هو احساس داخلي يستشعره المرء ذاتياً. وهذا ما يسهّل توعية ضميره من خلال النصائح والارشادات ويدفعه الى اعادة النظر بتصرفاته ويجعله يدرك وجوب التحلّي بالشفقة والرأفة.

٢ ـ **الارشادات**: وعلينا ان لا نهمل دور النصائح والارشادات؛ فالطفل بحاجة الى الارشاد والتوجيه المتواصل. فارشاداتنا له في مجال السلوك، وغيره من التصرّفات والاحترامات المتبادلة تعتبر بالنسبة له درساً وعبرة. فالطفل يتقبل ما يسمع من النصائح والتأكيدات على ضرورة الألفة والرأفة بالآخرين او بما يتعلق برعاية حقوق الآخرين والالتزام بالقوانين وتؤثر فيه آراء المعلمين والخطباء. وهذا ما يحتّم علينا الالتفات الى أهمية دور النصائح والارشادات.

٣ ـ نضوج العلاقات: تنشب الكثير من النزاعات من دوافع التباغض والحسد وهو ما يخلق بينهم حالة من الضغينة والعداء. فاذا وجد في هذه الاثناء من يعرّفهم بلغة بعضهم ويشير الى نقاط المحبّة المتبادلة بينهم وما يشعر به كل منهما ازاء الآخر من مشاعر الاخلاص والمودّة، لزالت عوامل البغضاء وتحول الكره الى تعاطف ومودّة.

٤ ـ سرد القصص والحكايات: للقصص دور فاعل في صياغة شخصية الطفل وايجاد روابط الأُلفة بينه وبين سائر الاطفال. فبإمكاننا ان نسرد للاطفال القصص التي تتحدث عن علاقات الصداقة الحميمة وآثارها المحمودة. وقد ثبت بالتجربة ان الحديث لهم حتّى عن صداقة الحيوانات مع بعضها يؤثر كثيراً في بلورة افكارهم وصياغة شخصيّاتهم في هذا الاتّجاه ويدفعهم لا شعورياً الى التشبّه بها.

٥ ـ التعاون المتبادل: تتسم حياة الاطفال بكثرة المشاجرات بينهم، ويكاد هذا ان يؤدّي الى تعميق الهوّة بينهم. لذا فمن الافضل ان يُبادر الوالدان الى توجيههم نحو التآلف والتعاون المتبادل؛ كأن يجلب الطفل لأخيه الماء، ويقوم الاخ ببسط الفراش للآخر. ولاشك ان مثل هذا السلوك يساعد كثيراً على تخفيف شدّة الانفعالات، وكبح روح العدوان وازالة أي نوع من الحساسية بينهم.

٦ ـ تهذيب الطاقات: يعتبر الكثير من المنازعات واستعراض العضلات نوعاً من طرق صرف الطاقة المتزايدة عند الاطفال على الدوام. فالطفل يرغب في ايجاد المجال الذي يصرف به طاقته البدنية المخزونة والتي تسبب له القلق وعدم الاستقرار. وبدلاً من صرفها في طريق الشر يمكن تهذيبها او صرفها في مجالات الرياضية والمشي، تسلق الجبال، العاب الجمناستيك، على اقل التقدير.

٧ ـ **الاستعانة بالاصدقاء**: يتأثر الطفل بشدّة، وخاصة في سن التمييز، بالاصدقاء والرفاق. ويميل الى ان يحظى بينهم بالقبول والرضا ويعير أهمية كبرى الى ما يبديه الاصدقاء تجاهه من تقبيح او استحسان. فاذا تم توجيه الطفل وزملائه لطرد كل من يثير المنازعات والصخب، وان يقتصر اللعب على الاطفال الهادئين المطيعين، عندها يجد نفسه مرغماً على اصلاح سلوكه ومسايرة الروح الجماعية.

٨ ـ **التزام الهدوء**: يُعتبر سلوك الوالدين والمعلمين وما يتّسمون به من الهدوء والسكينة ومدى قدرتهم على ضبط انفسهم، درساً بليغاً للطفل يقتفي اثره ويسير على هديه.

وهذا يعني ان ما يراه الطفل من صخب ومشاجرات وظلم وعنف وانتقام شديد على يد المعلمين او غيرهم، يعتبر بالنسبة له درساً سلبياً ودافعاً لانتهاج نفس ذلك الاسلوب ـ ولكن على مستوىً أدنى ـ وتطبيقه على الاشخاص الذين يبغضهم.

٩ ـ **اساليب العزل**: اما اذا لوحظ ان الاطفال لا ينسجمون مع بعضهم وخاصّة اطفال العائلة الواحدة وانهم غير مستعدين للتعايش سويّة بسبب عوامل التباغض والكراهية، فمن الضروري في مثل هذه الحالة عزلهم عن بعضهم واعلامهم بعدم اللعب مع بعضهم الا اذا أضحوا قادرين على المصالحة والتعايش سوية. واسلوب الحرمان والعزل هذا له تأثيره أيضاً في اصلاح سلوكهم.

١٠ ـ **الانذار والتهديد**: واذا لم تجد الاساليب المذكورة نفعاً، يمكن حينها اللجوء الى اسلوب التوبيخ على ما يبدر من الطفل من تصرفات غير سليمة. ومن بعده يُمارس معه التهديد والانذار بانّه سيعرّض نفسه للعقوبة فيما لو صدر منه

مثل هذا الفعل او حتّى عند مخالطة الآخرين بلا اذن. ولا يستخدم هذا العمل طبعاً الا اذا أخفقت جهودنا في اكتشاف الاساليب والعلل الاخرى الكامنة وراء مشاجراتهم.

١١ ـ **العقوبة**: ومن البديهي ان الطرق التي مر ذكرها اذا فشلت في تحقيق النتيجة المرجوّة نجد انفسنا مضطرين حينذاك لاستخدام العقوبة، وهي لا تطّبق طبعاً الا على المخالف. والشيء المهم في هذا الموضوع هو أن تكون العقوبة عادلة ومتناسبة مع الذنب، وبعد العديد من الانذارات المسبقة، وان تجري في هدوء وسيطرة تامّة على الاعصاب. ونوصي هنا بضرورة الحذر من اجراء العقوبة على يد الطفل الذي تعرّض للاساءة بالاستفادة من قدرتنا لأن هذا العمل يخلّف في النفوس احقاداً ورغبة في الانتقام. كما نؤكد على ضرورة السعي نحو المصالحة والتوافق قبل ان تبلغ الامور هذا الحد، فالعقوبة لا تجدي على الدوام ولا تجعلهم يكفّون عن المنازعات الى الابد.

١٢ ـ**الطرق الأُخرى**: ينبغي لنا في هذا الصدد ذكر العديد من الطرق الأُخرى والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية تجنباً للاطالة في الكلام:

١ ـ الدراسات الطبية، وحتّى النفسية احياناً تعتبر من العوامل المساعدة في هذا المجال ولاسيما عند الشعور بوجود ميول سادية عند الطفل تجعله يستشعر الراحة عند ايذاء الآخرين، او كان يعاني من ضعف في الاعصاب، او كان يتّصف بالعصبية والحساسية المفرطة. وقد تنفع ارشادات الطبيب والأدوية التي يصفها في تخفيف هذه الميول واصلاح مثل هذا السلوك.

٢ ـ اقامة علاقة مع الطفل مبنيّة على الثقة، تؤثر كثيراً في انقاذه من هذه الحالة.

٣ ـ اجتناب اي نوع من التمييز بين الاطفال، لكونه سبباً في اذكاء روح العداوة والبغضاء بينهم مما يؤدّي بالنتيجة الى تأجيج الخلافات والنزاعات، ورفع التمييز يؤثر في القضاء على هذا السلوك الأهوج.

٤ ـ حث الآخرين وخاصة من يحترمهم الطفل لارشاده وتوجيهه.

٥ ـ استمرار المراقبة، وتقديم النصائح في الوقت المناسب يفيد كثيراً في توجيه الطفل ويحول دون قيام المنازعات.

٦ ـ التأكيد للطفل المتعدي بأننا نقف الى جانب المتعدى عليه، يساعد في تهذيب هذا السلوك.

٧ ـ واخيراً يمكن استخدام أساليب أخرى تساعد على التخفيف من نسبة المنازعات، ويعتبر هذا الطريق بحد ذاته خطوة ايجابية في هذا السياق.

تحذيرات

ان اصلاح ومعالجة سلوك الاطفال المشاغبين الذين يكثرون من النزاعات والمشاجرات يستلزم الالتفات إلى بعض المحاذير ذات الحساسية الفائقة التي ندرج اهمّها في ما يلي:

١ ـ السعي لاكتشاف الاسباب والدوافع الكامنة وراء اتجاه الطفل نحو اثارة المنازعات، والقضاء عليها من الاساس.

٢ ـ ممارسة حد من المراقبة يجعل جميع علاقات الطفل وتصرّفاته تحت الاشراف المباشر.

٣ ـ اذا سمح للطفل ان يلعب في هذه الزاوية او ذلك الموضع فلا يفوتنا ان نسدي له الارشادات والنصائح.

٤ ـ بعض ألعاب الاطفال يجب ان تجري مع الوالدين او الى جانبهما.

٥ ـ يجب تقسيم التشجيع والاستحسان على الاطفال بالتساوي بـحيث لا يتصور احدهم بأنّه قد تعرّض للحيف اكثر من الآخر.

٦ ـ علينا ان لا ننسى بأنَّ ابناءنا اطفال وهذا يتطلب منّا ان يكـون سـلوكنا معهم طفوليّاً أيضاً.

٧ ـ عند مشاهدة المنازعات يجب ان لا يغلبنا الغضب ولا يستحوذ عـلينا الانفعال.

٨ ـ اذا ادرك الطفل خطأه واراد الاعتذار، علينا قبول عذره وعدم التمادي في البحث عن عيوبه.



بذاءة الاطفال

تقديم

من جملة المسائل التي تتعرض لها الاسرة هي الكلمات البذيئة التي تصدر من الطفل، وكثيراً ما يشعر الأب أو الأم بالحرج من جرّاء تفوّهه بكلمات بذيئة امام الآخرين. فهو قد يتلفظ بمثل هذه الكلمات في كل مجلس دون تمييز بين القريب والغريب بمجرد ان يرى شيئاً يجري خلافاً لإرادته، وقد يقترن ذلك بالبكاء أيضاً مما يتسبب في ازعاج الآخرين وسلب راحتهم. اما الجذور الاساسية لمثل هذا التصرّف، والتي سنشير إليها ضمن بحثنا هذا، فهي متباينة وتنمّ عن سوء الوضع التربوي والأخلاقي للطفل، وتسبب الخجل للوالدين والمربّين. ولهذا يبدو من الضروري المسارعة لايجاد حل لها واجتثاثها من سلوك الطفل.

سلوك مثل هؤلاء الاطفال

يتّسم الطفل البذيء في كلامه بانعدام الصبر وقلّة التحمّل والحساسية المفرطة وسرعة الاستثارة والانهيار لأدنى سبب، والمبادرة الى افراغ ما في جعبته على شكل سُباب وشتائم. وفي الظروف الطبيعية يخفي مثل هذا الطفل مشاعره العدائية الا انه عندما تنفد طاقته يزيح عن وجهه قناع الحياء ويفصح كما يشاء عمّا يكن في نفسه.

وطفل كهذا لا يظهر سلوكه في جميع الحالات على صورة سباب بل ويعمد عند الاستطاعة الى تعجيز خصمه وارغامه على الخضوع لرأيه. واذا ما حانت له

الفرصة يهاجم ويضرب ليكون بعدها في راحة وسكينة، ولكن اذا حالت دون ذلك الظروف تراه يلجأ الى الشتائم والكلام الفاحش.

وفي بعض الحالات تنتابه نوبة من الغضب فيركل الارض برجله ويصرخ ويشتم نفسه والآخرين بصوت مرتفع. وهو على كل الاحوال لايتمتع بوضعٍ طبيعي من حيث الهدوء والاستقرار.

الطفل واستعمال الالفاظ

ان طبيعة البحث تتطلب منا تسليط المزيد من الضوء على بعض أبعاده، ولهذا فاننا نلقي في ما يلي نظرة على مستوى معلومات الطفل ومدى معرفته بمداليل الكلمات والالفاظ المتداولة.

من المسلّمات ان الطفل في مطلع أمره عاجز عن الكلام الا انه وبالتزامن مع نموّه يسمع شيئاً فشيئاً بعض الكلمات من ابويه فيتكون في ذهنه مفهوماً اجمالياً عنها. وخلال السنة الاولى من عمره يصبح الطفل قادراً على فهم الكثير من معاني الكلمات من خلال الاصوات التي تصدر عن ابويه والاشخاص المحيطين الا انه يبقى عاجزاً عن الافصاح عنها، وعندما يبدأ بالنطق يقوم بتلفظ بعض الكلمات بشكل متقطع. وبعد هذه المرحلة، أي عند حوالي سن الثالثة من عمره يبدأ باصطياد الكلمات والمصطلحات.

يقترن تعلّم الكلمات في بعض الاحوال بنوع من التأثير والاثارة التي تتركها هذه الكلمات حين استعمالها على السامع، ويطّلع من خلال ذلك على حسن وقبح الكثير من المفاهيم فيجعل منها سلاحاً يشهره في سبيل بلوغ مقاصده وتحقيق مطاليبه.

وخلال الاستخدام المتكرر للكلمات يدرك الطفل تدريجياً ما هي الكلمات التـي تترك تأثيرات سلبية، الكلمات التي تسرّ السامعين، وما هـي الكـلمات التي يستخدمهـا ليـلفـت اليـه نـظر أبـويـه، والكـلمـات التـي يسـتثير بـها حفيظتهما.

عدم الاطلاع التام

ومع هذا فهو ليس على تلك الدرجة من النضج بحيث يـدرك كـل مـعاني الكلمات، فقد يستخدم كلمة لا يعرف معناها ويستشف حسنها وقبحها من خلال مواقف الوالدين منها وردود افعالهما، ويخطط على اساس ذلك لحياته المقبلة.

ومعنى هذا انَّ حسّاسية الوالدين والمحيطين تعتبر بالنسبة للـطفل بـمثابة المؤشّر الذي يدرك من ورائه ما ينبغي له علمه. وهذا ما يتيح المجال للوالدين والمرّبين لاستخدام نفس هذه المسألة في معالجة هذا السلوك وذلك من خلال التظاهر بعدم ابداء أي نوع من التأثر أو الحسّاسية ازاء الكلمات التي يتفوّه بها لأن هذا الاسلوب يرغم الطفل على تناسي تلك الكلمات او تركها. وسيأتي بيان ذلك في موضع آخر. أما ما يجب التركيز عليه في هذا الموضع فـهو ضـرورة التفات الابوين الى اقوالهما وافعالهما لأنّها تمثل بالنسبة للـطفل درساً مـؤثّراً بحكم كونها من اغنى المصادر التربوية والتعليمية التي يستمد منها معلوماته.

هدف البذاءة

وهنا تبدو لنا هذه المسألة جديرة بالذكر وهي لماذا تصدر البذاءة من الطفل؟

ولماذا يشتم الآخرين ومنهم أبواه واخته وأخوه ولماذا تـتفاقم هـذه الظـاهرة أحياناً حتّى تطاله هو شخصياً أي أنّه لايعفي منها احداً حتّى نفسه؟

ان دراسة نمط التفكير الذي يحكم سلوك مثل هؤلاء الاشخاص تظهر لنـا جملة من النقاط التي يمكن من خلالها التعرف على بعض مقاصد الطفل واهدافه من هذا التصرّف، ونشير في ما يلي الى نماذج منها.

١ ـ **البغض**: تظهر التجارب ان احد اسباب البذاءة الصادرة من الاطفال هو البغض والخصام. فكما ذكرنا سابقاً أي فيما لو كانت لدى الطفل قدرة التصدي لمن يعلم منه البغضاء فهو لايتورّع عن مواجهته بالضرب والعنف، الا انه حينما يفتقد مثل هذه القدرة يلجأ الى التعبير عن بغضه باستخدام السباب والشـتائم والكلام البذيء.

الطفل يسمع هذه الالفاظ النابية من الآخرين وقد لايفقه معناها لكنه يعلم انّها اذا قيلت للآخرين تثير غضبهم وعلى هذا الاساس يستخدم هذه الكـلمة السيّئة انطلاقاً مما تحمله من معان مؤذية.

٢ ـ **التعبير عن الغضب**: تعتري الطفل حالة من الغضب احياناً عند سماعه لكلامٍ أو رأي أو حين رؤيته لموقفٍ ما، ولايرى سبيلاً يعبر به عن غضبه سوى التلفظ بالكلام البذيء. وهذا التصرف يختلف عن موضوع العداوة ذات الابعاد المسبقة والكراهية القديمة، بينما لاتمثل هنا الا ظاهرة فورية ودفاعية.

يتميّز مثل هؤلاء الاطفال بالكتمان واخفاء الكلمات والتعابير النابية الى ان يحين موعدها المناسب. فاذا تمكن من خصمه اثناء فورة الغضب عضّه وضربه واذا لم يتمكن منه شتمه.

٣ ـ **الاحتقار والسخرية**: يلاحظ أحياناً ان أب الطفل أو أمّه يثنون على طفل

آخر ويحمدون خصاله، ومن طبيعة الطفل أنّه يعتبر مثل هذه الثناء نـوعاً مـن الاهانة له، ولا يرى في مدح سواه الا احتقاراً لشخصّيته. ولهذا السبب نراه يركن الى احد الزوايا ويكثر من شتم الشخص المـذكور. أو قـد يـقوم الأب أو الأم بمكاشفته بمحاسن الطفل الآخر، فيأخذ هو بشـتمه حـتّى فـي حـالة غـيابه ويستعمل في ذلك أقذع الالفاظ والشتائم لغرض النيل منه وتحطيم شخصيّته.

كما ونلاحظ أيضاً أن التلاميذ الكسالى يصوغون مختلف التعبيرات التـي يؤذون بها التلاميذ الأذكياء ويسخرون منهم أيضاً، والغرض النهائي هو تسكين الانفعال الداخلي الشديد في نفوسهم.

٤ ـ الانتقام: وقد يكون هدف الكلام البذيء في بعض الموارد هو الانتقام. فاذا تعرض الطفل للضرب من قبل ابيه مثلاً قد لا يجرؤ على مقابلته بـالمثل، ولا يمكنه فعل شيء سوى البكاء والأنين، ولكن ما ان يخرج الأب من البيت حتّى يتحول الى اسد على امّه ويبدأ باطلاق الشتائم واللعنات عليه انتقاماً مما لقيه منه. وهكذا الحال أيضاً بالنسبة للطفل الذي يلقى العقوبة مـن المـعلم أو المدير.

٥ ـ التنفيس عن العقد: ان الطفل الذي يستشعر الحرمان في حـياته، كأن يكون مثلاً قد عجز عن الفوز في مسابقة، أو تعرّض للاحتقار بين الآخرين ولم تكن له قدرة الدفاع عن نفسه، او ان وضعه العام لا يتيح له مـجاراة الآخـرين، يحاول التعويض عن ذلك باستخدام العبارات النابية. أو أنّه حينما يعجز عـن التغلب على المعاناة المتواصلة التي يقع فيها يضطر لاستخدام الكلمات البذئية لكي ينفّس عن معاناته.

٦ ـ الضغط على الآخرين واخضاعهم: الطفل يدرك عادة الوضع الذي يعيشه

أبويه ويعلم مدى مكانتهما بين الآخرين. وحينما تكون لديه مطاليب يحاول طرحها أمامهم واذا رأى انها لاتلبّى يعمد الى الضغط والكلمات القبيحة لغرض تلبية مطاليبه.

أي ان الكلمات البذيئة تستخدم من قبل الطفل في بعض الحالات كأداة للضغط على الآخرين، واخضاعهم؛ فهو يريد من خلال التفوّه بهذه الكلمات ارغام المقابل على تنفيذ رأيه.

٧ ـ **الاختبار:** في بعض الحالات يحاول الطفل اختبار والديه ليرى مدى حسّاسية كل واحد منهما، وما هي الامور التي تثيرهما. فيبادر عن قصد للتلّفظ ببعض الكلمات النابية ليغضبهما واذا نجح في مسعاه يظل يتّخذ من هذا الاسلوب سلاحاً يشهره وقت الحاجة.

٨ ـ **الشغب وسوء الاخلاق:** واخيراً قد تحيط بالطفل ظروف يلمس فيها انعدام الأمن ويشعر بالخوف من امر مبهم فيندفع لاشعورياً نحو توفير مستلزمات الأمن لنفسه، ولهذا يأتي بالكلمات والافعال التي من شأنها اثارة غضب الآخرين من اجل وضع حد للقلق الذي يعاني منه. وهو يعكس في حقيقية امره المقولة الشائعة «جلده يحكّه» لأنّه يسعى من خلال الكناية والاستخفاف بوالديه والتلفظ بالكلمات القبيحة اثارة غضبهما ليقوم احدهما اليه ويشبعه ضرباً، فيشعر من بعدها بالراحة.

مواضع الاستعمال

وبناءً على هذه الحالة التي صوّرناها تتبيّن لنا المواضع التي يحاول فيها الطفل استخدام الكلمات النابية لتحقيق اهدافه. الا ان ما تمّ التركيز عليه يختص

بالغايات والمطاليب التي يستغلها لمثل هذه الكلمات، أمّا في ما يلي فسيكون التركيز على الموارد والحالات التي يستخدم فيها الطفل كلامه القبيح.

يتبيّن من خلال الدراسات ان مواضع استعمال الكلمات القبيحة اكثر ما تكون في الحالات والظروف التالية، وعلى اولياء الامور الحدّ جهد الامكان من حصول مثل هذه الظروف، والمواضع هي:

١ ـ عدم القدرة على بلوغ الهدف: يركز الطفل كل جهوده احياناً لتوفير المستلزمات الأولية لبلوغ هدف يصبوا إليه الا ان الظروف تحول دون ذلك فيظل محروماً منه، وتراه يضطر في مثل هذه الحالة الى افراغ كل ما لديه من شتائم وكلام قبيح، لينفّس عن عقدته.

قد يكون الهدف الذي يسعى نحوه الطفل كبيراً في نفسه بحيث يكون على استعداد للبذل في سبيله، ولكن حينما يتعسر عليه بلوغه يصير تافهاً في نفسه الى درجة انه يصب عليه كل الشتائم واللعنات.

٢ ـ مواجهة الموانع والمعوّقات: وهذه أيضاً حالة أخرى من حالات الاخفاق في بلوغ الهدف، فالطفل الذي يخصر عليه تناول الحلوى أو أي شيء آخر يحبّه، يسعى للتعبير عن استيائه بكل اسلوب ممكن، كالسخط والغضب وركل الارض برجليه ويحتمل أيضاً ان يسبَّ ويشتم.

وربّما لا يخلو الأب أو الأم من التقصير في هذا المجال؛فقد يصدر منهما ومن غير سبب وجيه ما يؤذي الطفل ويجعلون في طريقه بعض الموانع والمعوّقات التي تؤدّي به الى التضحية بعزّة نفسه والاستهانة بشخصيّته.

٣ ـ الشعور بانعدام الموازين: ان الشعور بضياع الموازين يجعل الطفل في حالة اضطراب وشعور بالضغط. والطفل الذي يعيش في ضياع وحيرة يشعر

بالألم، وهذا ما يدفعه للتلفظ ببعض الكلمات المستهجنة لانّه يرى في ذلك راحة لنفسه. وتتجلى مظاهر سوء سلوكه بضرب الأبواب وركل الارض برجله والتمرد والعصيان. وكذلك يرى وجوب ان يعاقب على بعض تصرّفاته السيّئة ولكنه حينما لايلقى العقوبة يبقى في وضع بعيد عن الاستقرار ويريد ان يتحدد موقفه بشكل قطعي وان يلقى العقوبة جزاء عصيانه، والا فانه يواصل شتائمه وكلماته البذيئة.

٤ ـ **الشعور بالفشل**: قد يلجأ الطفل الذي يتعرض لظروف الفشل والهزيمة الى انتهاج اسلوب الكلمات النابية ويكثر من البذاءة في القول على سبيل مواساة نفسه، فهناك الكثير من الناس الذين لم يحققوا أي امتياز في الحياة ولم ينجحوا في امر من الامور، وانما تعرّضوا لظروف ذاقوا فيها طعم الفشل وشعروا باليأس، ومن البديهي ان لا يعيش امثال هؤلاء الاطفال حياة طبيعية، بل هم كثير والتذّمر والشتم، وكثيراً ما يلعنون الاخرين.

٥ ـ **وجود الضغوط**: هنالك اطفال يجدون انفسهم في مواجهة ضغوط هائلة وضربات قاتلة، وقد يعيشون ظروفاً تجعل الآخرين يلقون عليهم باللوم والتقريع باستمرار اضافة الى ما يحيط بهم من مصاعب. ومما يزيد الطين بلّة التشدّد المتزايد من قبل الابوين بحيث يبدو وكأنّهم لا يستطيعون التحرك الا باذنهما، ومن الطبيعي ان لايجد مثل هؤلاء الاطفال امامهم من سبيل لتخفيف وطأة الضغوط الا من خلال المجابهة التي لاتتيسر لهم على الدوام، أو عن طريق الشتائم واللعنات الخفيّة والمعلنة.

٦ ـ **التهريج**: الكلام البذيء الذي يصدر من الطفل له في بعض الأحيان دوافع من التهريج واثارة ضحك الآخرين لتكون له وجهة مقبولة عندهم.

تنبثق اسس هذه الظاهرة منذ وقت الطفولة المبكّرة حينما يتلفظ الطفل وهـو لايزال صغيراً ببعض الكلمات البذيئة فيثير استحسان الأبوين والمحيطين بـه بسبب جذّابية كلامه ويلقى منهم التشجيع. وحينما يلمس الطفل طعم النّجاح من جرّاء هذا الفعل ولا يستطيع بعد ذلك ان يتركه أو يكف عنه. ولغرض الشـعور بمزيد من النجاح والحصول على تشجيع اكثر حرارة نراه يكرر ذلك التهريج في مواضع أُخرى. ومن الطبيعي انه يصبح لاحقاً في وضع يكون قدكبر ولم تعد تلك الكلمات قبيحة بالنسبة له، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى لايمكنه ترك هـذه العادة بسهولة. وبهذا يكون الوالدان والمحيطون هم السبب في ايجاد مثل هذا التصرف الطفولي الشاذ.

٧ـ **الوصول إلى طريق مغلق:** قد يجد الطفل نفسه في بعض الظروف وقد انسدت جميع طرق الخلاص بوجهه ولم يعد امامه من مفر سوى سبيل الشتم والكلام القبيح، اذ يجد فيه المهرب الوحيد من حيرته وهو الاسلوب الوحيد الذي يعيد إليه الاستقرار والسكينة.

يصدق هذا الامر على الكبار أيضاً؛ فالإنسان يدافع عن نفسه ما وجد الى ذلك سبيلاً. ولكن حينما تضيق به سبل الدفاع لهذا السبب او ذاك تراه يتخذ أساليب أُخرى ومنها اسلوب الشتم.

من هم الأشخاص الأكثر بذاءة

وهذا أيضاً تساؤل آخر يطرح بشأن الاشخاص الأكثر بـذاءة فـي القـول، وماهي اكثر حالاتها؟

يتبيّن من خلال التجارب اليومية بان البذاءة والشتائم اكثر ما تكـون عـند الاشخاص في الظروف التالية:

١ ـ الطفل الذي ينشأ في عائلة مضطربة ومفككة.

٢ ـ حينما يكون ذوو الطفل ممن يكثر الشتم والقول القبيح.

٣ ـ الطفل الذي يتربّى على يد امٍّ تتسم ببذاءة الكلام.

٤ ـ الطفل الذي لم يلق بين افراد عائلته الاحترام اللازم.

٥ ـ الاطفال الذين يتميّزون بالعصبية وعدم الاستقرار.

٦ ـ الاطفال الذين يعانون في حياتهم من الهموم والآلام.

٧ ـ الاطفال الذين تعرضوا في حياتهم لكثير من الصدمات التي تركت تأثيراً في نفوسهم.

٨ ـ الاطفال الذين يتّسمون بضعف البنية وانعدام القدرة البـدنية. امـا عـند الاطفال الاقوياء فهذه الظاهرة تأخذ طابعاً آخر.

٩ ـ الطفل الذي يغضب بشدّة ولا يقدر على كظم غيظه.

١٠ ـ الطفل الذى نشأ على الدلال والتملّق ويصبو الى ان يكون عزيزاً بدون وجود الاسباب الكافية واذا ما واجه الاخفاق يبدي الانزعاج والغضب.

اضرار البذاءة

ان البذاءة عادة قبيحة وضارّة، وتنم عن سوء الخلق وانعدام التربية. فالطفل انعكاس لحياة والديه ولنمط التربية التي تلقّاهـا على يـديهما. ويـعبّر عـلماء النفس عن هذه الحقيقة بالقول ان الطفل مرآة ينعكس فيها وجود أبـيه وأمّـه. ويقول أحد علماء النفس في هذا المضمار: أرني طفلك، أقول لك من أنت.

يرى المربّون وأولو الأمر ان وجـود الاطـفال المـنحرفين يـمثّل احـراجاً بالنسبة لهم، ويعتقدون ان تصرفاتهم المشينة طعنة لهم في الصميم، ومن الطبيعي والحال هذه أن أي كلام منهم يثير استياء الوالديـن لأنّـهما يـعتبرانـه انـتهاكاً لكرامتهما.

يلاحظ من جهة أخرى أن الطفل البذيء اللسان لايمكنه اقـامة عـلاقات سليمة مع الآخرين ولايتمتّع بمحبوبية بين الناس وهذا مـا يـؤدي الى بـقائه وحيداً ويخلق له مصاعب اجتماعية من نوع خاص.

موقف الوالدين

يختلف أولو الامر والمربّون في مواقفهم ازاء الكلمات النابية التي تصدر عن ابنائهم وبناتهم، فالبعض منهم لايعيرها اهـتماماً يُـذكر بـل يـتركهم وشأنـهم ليتصرّفوا كما يحلو لهم، ومثل هذا الموقف يؤدّي بهم حسب اعتقادنا الى التعوّد على هذه الأساليب المغلوطة، ويمارسها في مختلف المواقف.

اما البعض الآخر فيبدي ازاءها حساسية مفرطة ويسعى بكل جهده لاستئصالها من سلوك الطفل حتّى انه قد يستخدم اساليب الضرب والعـقوبات الأخـرى، واكثر ما يطبق هذا الاسلوب بحق الاناث، لأن الاسرة تبدي ازاءها حسّاسية اكثر، ونحن أيضاً نرى صحّة ذلك الاسلوب.

ولابد لنا أيضاً من الاشارة الى هذه النقطة، وهي ان ذوي الطفل يتصوّرون انه يدرك معنى الكلمة ويستعملها متعمّداً بينما الحقيقة ليست هكذا على الدوام. صحيح ان بعض الاطفال يدرك معنى الكلمة ويستخدمها عن قصد الا ان هذا القول لايصدق على الجميع، فربّما يتفوّه الطفل بكلمة من غير ادراك لقـبحها. وعلى كل حال فهذه من أوّليات التربية الواجب على الآباء والامّهات معرفتها.

ضرورة القضاء عليها

ان الضرورة التربوية تحتم القضاء على ظاهرة الكلام البذيء عند الأطفال، ولابد للأبوين من اتخاذ موقف حازم ازاء مثل هذا السلوك لكيلا يتعوّد عـليه الطفل؛ وذلك لأن ترك العادة أمرٌ صعب للغاية.

لقد دلّت التجارب اليومية على ان الاطفال البذيئي الكلام الذين لم يردعوا من قبل الأبوين صاروا اطفالاً وقحين يمارسون مختلف انواع العنف ضد من تطاله ايديهم، وقد يتدخّلون في بعض الاحيان في عالم الكبار فيفرّقون جمعهم. ليس من الضروري استخدام القسوة ضدهم للوقوف بوجه هذه الظاهرة الا ان الواجب يحتّم التصدّي الحازم ومراقبة تصرفاتهم وكلماتهم. ان نشوة التفوّق في الشتائم تطبع سلوك الطفل كله بهذا الطابع وتجعله منذ تلك اللحظة فصاعداً غير مستعد لتحمل أي ألم أو عناء ولايكلّف نفسه بذل أي جهد ولايجد أيّة ضرورة للتغلّب على مشاعره.

ضرورة ملحّة

ثمّة ضرورة أكثر الحاحاً تدعو لمواجهة هذا السلوك في الظروف والمواضيع التالية:

١ ـ فيما اذا كان الطفل المقصود بنتاً لأن الضرر الناجم في مثل هذه الحالة اثقل. فالبذاءة من كل شخص قبيحة ومن البنت اقبح. حتّى ان التحذير قد ورد في حالة اختيار الزوجة بعدم الزواج من السبّابّة الطعّانة، وربّما يعود سبب ذلك الى ان الكلام النابي من الامّهات اكثر تأثيراً بالاولاد من الكلام النابي الصادر

عن الآباء، واشد فاعلية في افساد الجيل الناشىء.

٢ ـ فيما اذا كانت الكلمات القبيحة موجّهة من الابناء نحو الآباء او الامّهات عندما يجد الطفل الجرأة على اهانة والديه أو الاستهزاء بـهما. فـهذه الظـاهرة تؤدي به في المستقبل الى التعامل معهما معاملة غير مهذبة نتيجة التهاون معه. وقد ينجم عن هذا التغاضي عن جرأته في صغره ما لا يحمد عقباه عند كـبره خصوصاً بعدما يتعرّف على معاني كلماته المشينة ويتعمد التفوه بها.

٣ ـ في الحالات التي يكون فيها الكلام مخالفاً للشرع والاخـلاق والقـيم الانسانية. وعلى الوالدين والمربين عدم السماح له بمثل هذا. فاهانة المقدسات أمر غير مسموح به على أية حال، بل لابد من ردعه وذلك بـالاساليب التـي سنشير إليها لاحقاً.

جذور هذه الظاهرة

اما جذور هذه الظاهرة وعوامل نشوئها فهنالك افتراضـات عـدة بشأنـها. ولغرض التعرّف على حقيقة المسألة يُستحسن أوّلاً ان نرى من ايـن يـتعلمها الطفل؟ فكل ما يتعلمه الطفل اما ان يكون مصدره والديه او اقاربه وافراد اسرته، او من المعلم والمدير والمدرسة والزملاء، وربّما من الكتب والمـطبوعات، او حتّى من الجلسات والاجتماعات. ولهذا فلابد من تقصّي جذورها ضمن هذه المصادر. وفي نفس الوقت ينبغي التركيز على العوامل التالية:

١ ـ **الاسرة واسلوب التربية**: هنالك حقيقة لاتنكر وهي ان الكثير من العيوب السلوكية والاخلاقية لدى الطفل مصدرها الاسلوب التربوي المتّبع في البيت او في المدرسة. فالطفل قد يشتم أو يستخدم الكلمات القبيحة بسـبب الأجـواء السلبية التي نشأ فيها. واذا كان اهله قد ابدوا معه التساهل والمرونة فلايحق لهم

ان يلوموا أحداً سوى أنفسهم.

فالآباء والامّهات والمعلمون والمربّون يدركون تماماً ان كل كلماتهم وتصرّفاتهم تُعتبر بالنسبة للطفل بمثابة درس بليغ في الاخلاق والتربية، والطفل يعكس عادة سلوك والديه.

٢ ـ الانعكاسات التربوية السّيئة من الزملاء: ان الكثير من انواع السلوك السيء والانحرافات الخلقية والكلمات النابية القبيحة ناتجة من تأثيرات سوء المعاشرة. فالطفل يأخذ عن زملائه واصدقائه كثيراً من الدروس الجميلة أو القبيحة، اذ تؤثر فيه اخلاقهم وثقافتهم ويتعلم منهم خلال اللعب والاحاديث مئات المسائل.

وعلى هذا يجب على الأبوين والمربّين المحاذرة وعدم السماح لأبنائهم بمخالطة أي كان، ويمكنهم التعرّف على الاشخاص الذين لهم علاقة بأبنائهم بل وبأمكانهم أيضاً ان يعرّفوا أبناءهم على الاطفال الذين يرغبون فيهم ويرون فيهم صلاحهم.

٣ ـ الابداع الشخصي: يحصل الطفل في بعض الأحيان على معلومات من خلال تجاربه اليومية ويقوم على ضوئها ببعض الابداعات فينسج في ذهنه موضوعاً ويعرضه من غير ان يكون قد تعلمه من أحد.

يحاول مثل هذا الطفل وضع ابداعه موضع الاختبار ويستخدم ما جادت به قريحته، وتجربة مفعول هذه الكلمة على الآخرين، ورؤية ردود الفعل التي تصدر عن أمّه أو أبيه أو مربّيه. فاذا لمس من أحد حسّاسية ازاء تلك الكلمة يفهم أنّه أتى باختراع مدهش. واذا تبيّن له خلاف ذلك يتراجع عنها تلقائياً. اذن فلا يمكن التغافل عن قابلية الابداع والابتكار لدى الطفل لأن ذلك يتعلق بذكائه.

٤ ـ **رؤية المشاهد والمواقف**: واحياناً تكون المشاهد والمواقف القبيحة التي يراها الطفل درساً مؤثراً يتعلمه ويحاول تطبيقه على الآخرين، واكثر ما يكون التأثير على الطفل الذي يتمتع بنسبة من الذكاء ولكنه ضعيف من الوجهة التربوية، ولا سيما الطفل الانتهازي الذي يتسم بالضعف والعجز.

يحاول الطفل في مثل هذه المواقف تحويل تلك المشاهد الى الفاظ وكلمات ويذكر حالاتها ليخضع الاب والأم لارادته. فالاطفال جميعهم يتّصفون بهذه السجايا، وكل التوصيات والتأكيدات على حسن تربيتهم وابعادهم عن المشاهد المستهجنة انما تصب في هذه الاتّجاه.

سبل التقويم

هناك طرق واساليب متعددة لتقويم سلوك الطفل والقضاء على ظاهرة الالفاظ القبيحة لديه، وتقوم تلك الاساليب على أسس علمية مفادها اخماد هذه السلوكية، ونشير في ما يلي الى بعضها:

١ ـ **التعليم والتوعية**: قبل اتخاذ أي اجراء في مجال الاصلاح لابد ان نرى مدى المعلومات التي يمتلكها الطفل؟ وهل يفهم معاني تلك الكلمات والمصطلحات أم لا؟ فاذا لم تكن لديه المعلومات اللازمة فالحالة تستلزم تزويده بالمعلومات الضرورية اما اذاكرر استخدام تلك الالفاظ مع علمه بقبحها فهنا لابد من الاهتمام بالامر ومتابعته.

٢ ـ **حل المشاكل**: ذكرنا ان الكلام السيء الذي يتلفّظ به الطفل قد يكون بسبب مالديه من مشاكل في حياته الخاصّة، واذا لم تحل مشكلته يبقى يعاني منها. والحل الامثل في هذه المواقف هو حل مشاكله ومعاناته. اذ ينبغي النظر

عند ذاك الى نوع المشكلة التي تواجهه وتثير مكامن غضبه. فقد نلاحظ أحياناً ان الطفل يحاول مثلاً أثناء اللعب وضع بعض القطعات فوق بعضها الا انه لا ينجح في محاولاته فيبكي ويصرخ ويشتم ويلعن، بينما لو سارع احد لمساعدته وعلّمه كيفية تركيب تلك القطع فوق بعضها فستحل المعضلة.

٣ ـ الاعلان عن عدم الارتياح: اذا لم يُجد النصح والتعليم نفعاً لابد حينها من الاعلان له عن عدم الارتياح من هذا الكلام وعدم الرغبة في سماع هذه الكلمات منه. وحتّى اذا لوحظ ان مجموعة من الاطفال تُردد كلمات قبيحة يمكن نصحهم وتنبيههم الى ان هذه الكلمات غير مرغوب فيها.

ان مثل هذه التنبيه يؤثر في الاطفال شريطة وجود التفاهم المسبق في ما بين الطفل والشخص الناصح.

٤ ـ خلق الثقة بالنفس: يستخدم الطفل احياناً اسلوب السخرية والكلام النابي لغرض جلب اهتمام الآخرين وجعلهم يثقون به. ولاشك ان هذه الظاهرة تنم عن وجود نقصٍ ما، وان سلوكه الصبياني نابع من هذا النقص. ويمكن القول ان مثل هؤلاء الاطفال تنقصهم الثقة بالنفس ويظنون بعدم امكانية الوقوف على أرجلهم بدون كسب اهتمام الآخرين.

ولهذا فالمسألة المهمّة بالنسبة لهم هو كسب ثقة واهتمام الآخرين ليتاح لهم الوقوف على أرجلهم. فالطفل الحائز على ثقة الكبار قلما يبدي سلوكاً غير مستقيم.

٥ ـ التجاهل: وهذا أيضاً من الاساليب التي نبديها للطفل حينما يبرز منه أي سلوك مرفوض، لأن احد الاسباب التي تجعل الطفل يمارس هذا السلوك هو الاهتمام الذي يبديه له الآخرون او ضحكهم على الكلام البذيء الذي يتلفظ به،

حتّى ان التجارب قد اظهرت ان تجاهل مثل هذا السلوك حينما يصدر عن الطفل يقلل من هذه الظاهرة إلى نسبة ٦٠٪، اذ يجد الطفل نفسه مرغماً على تركها.

٦ ـ **اظهار عدم الرغبة:** عند ملاعبة الطفل ينبغي ابداء عدم الرغبة في سماع الكلام القبيح منه عن طريق التوقف عن ملاعبته ومضاحكته فور صدور كلماته البذيئة كما ينبغي ابداء الاستغراب وعدم توقع صدور مثل هذه الكلام منه، أي يجب معاملته بالشكل الذي يجعله يشعر بالندم على مثل ذلك الكلام. ولاشك ان مثل هذا الموقف يتطلب وجود اسلوب تعامل ناجح وهدوء تام. فاذا قوبل الطفل بمثل هذا الصدود لمرتين أو ثلاث يعرض الطفل عن سلوكه ذلك ولا يعاوده ثانية.

٧ ـ **ابداء الغضب:** تتطلب الضرورة احياناً ان يبدي الوالدان غضبهما ازاء مثل هذا الكلام الصادر عن طفلهما، ليفهم ان والديه غاضبان عليه، ويأتي هذا الموقف بطبيعة الحال من بعد النصائح والارشادات السابقة التي لم يكن لها تأثير فاعل في تغيير سلوكه.

اذا كان الطفل ممن يهتم كثيراً لمواقف والديه ويحسب لهما حسابهما (وهذا ما يجب ان يكون) فلابد انه يتأثر لغضبهما ويحاول اجتنابه.

٨ ـ **استخدام الكلمات على نفس الوزن:** نضطر احياناً للعثور على كلمات على نفس الوزن والقافية على شرط ان تكون خالية من المعاني المستهجنة ونسعى الى احلالها في ذهن الطفل بدلاً من الكلمات القبيحة التي يستعملها. لاشك ان العثور على كلمات من نفس الوزن وذات معانٍ ايجابية ليست بالعمل اليسير ولكنه على كل حال ممكن. وحينما يتلفظ الطفل بكلمة نابية نسارع الى القاء كلمة من نفس الوزن لتكون في ذهنه بديلة عن تلك.

٩ ـ **تغيير معنى الكلمة**: ذكرنا ان الطفل يستخدم احياناً كلمة لايفهم معناها وهنا نلقي إليه معنى آخر ونشعره ان تلك الكلمة لاتعطي نفس ذلك المعنى السيء بل انها نوع من الفاكهة مثلاً، أو هي نوع من الحلوى. أو حينما يتلفظ الطفل بكلمة غير مرغوب فيها فنلجأ الى استبدالها باخرى متظاهرين بان تلك الكملة تعطي هذا المعنى او نتظاهر بعدم فهم غرضه.

وفي هذا المجال ليست هناك ضرورة تدعو للقلق بأنه سيتعلم بعض الكلمات خطأً، اذ أنه بعدما يكبر قليلاً ويترك هذه العادة السيّئة يمكن تعليمه المعنى الصحيح لتلك الكلمات.

١٠ ـ **الحرمان**: واذا لم تؤثر الاساليب المذكورة في الاصلاح نجد انفسنا مضطرين لحرمانه من شيء يحبّه أو نغضب عليه ولا نكلّمه. ومن الواضح ان هذا الاسلوب يكون مجدياً حينما يكون تأثير الحرمان أو القطيعة شديداً عليه. ولكن يجب الالتفات الى ان لايتحوّل هذا الاسلوب الى حالة تجعله يشعر باليأس منّا أو الحرمان من كل شيء، لأن مثل هذا الشعور ينطوي على مخاطر واضرار اكبر.

١١ ـ **اسلوب الانذار والتهديد**: وقد نضطر في نهاية المطاف، وبعد استنفاد جميع الصيغ والاساليب، الى توجيه الانذار للطفل وتهديده لغرض تخويفه لنرى إلامَ يؤول امره وكيف سيتصرف من بعده.

وينبغي طبعاً ان يكون التهديد الذي نصرّح به عملياً ولنا القدرة على تطبيقه، ونجتنب ما لايمكن تطبيقه لأن لمثل هذا الموقف آثاراً سلبية ستظهر نتائجها لاحقاً.

١٢ ـ العقوبة: وقد نصل في نهاية المطاف الى ما لاينبغي الوصول اليه وهو العقاب، ولاشك ان له شروطه التي يجب ان تعرض في بحث مستقل. وخلاصة القول ان العقوبة هي الاسلوب الذي نستخدمه في نهاية المطاف.

الأعمال الجانبية

وبالاضافة الى التزام الاصول والقواعد المذكورة، هناك أيضاً مجموعة من الجهود التي يجب ان تبذل في هذا المجال واهمّها:

١ ـ عدم الضحك: في حالة صدور أي كلام قبيحٍ من الطفل فعلى أبويه والمحيطين به ان لا يضحكوا ولا يبدو أي نمط من الارتياح لأن ذلك يعتبر بمثابة التشجيع للطفل على الكلام البذيء. وكما سبقت الاشارة قد يتّسم كلام الطفل اليوم ـ أي في صغره ـ بمزيد من الحلاوة والجذّابية الا أنّه في الغد يثير القلق ويبعث على الألم، وعلى الوالدين والمربين أيضاً ان يلتفوا الى نمط تصرفات الآخرين ولايسمحوا لهم باظهار التشجيع غير المباشر للطِفل.

٢ ـ الحذر من التربية السيّئة: يتوجب على والدي كل طفل الالتفات الى علاقاته مع الآخرين والتعرف على نوع الاشخاص الذين يخالطهم. ـ كما ذكرنا سالفاً ـ وطبعاً لايمكن مراقبة اجواء المدرسة والصف مراقبة تامّة الا انه من الممكن ايجاد نوع من التوجّه عند الطفل بعدم مرافقة أيٍّ كان، واجتناب مصادقة أي طفل آخر سيء الخلق وبذيء الكلام. وفي نفس الوقت يمكن التعويض عن ذلك من خلال التعرّف على اصدقاء صالحين ليكون على علاقة بهم.

٣ ـ الامتناع من المساندة الخاطئة: يلاحظ احياناً ان احد الاطفال يتلفظ بكلام قبيح في البيت فيشجعه احد الأبوين على ذلك، على سبيل المثال يهين الطفل امّه بكلام سيّء ويشجعه الأب على ذلك. او قد يتلفظ الطفل بكلام فاحش فيهمُّ الأب بمعاقبته فتحميه امّه. وهذا يؤدي الى اجتراء الطفل في ظل حماية الآخرين له.

نحن ندرك مدى الاضرار التربوية التي تنطوي عليها مثل هذه الأساليب، وهذا ما يفرض على الأبوين انتهاج اسلوب موحّد في تربية الأبناء وان يتنازل كل واحد منهما عن جانب من ذوقه الشخصي في هذا المجال.

٤ ـ الاهتمام بسلامة الجو الاجتماعي: قد يستطيع الناس المحافظة على سلامة الاجواء في داخل بيوتهم من السلبيات والانعكاسات التربويّة السيئة، وهذا ضروري الا انه لايكفي لوحده، لأنَّ الطفل قد يتّبع اساليب الآخرين ويتعلّم منهم الدروس السيئة.

ولهذا يكون من الضروري مراقبة علاقاته، ولابد ان تكون حياته في البيت وصلات القربى والصداقة قائمة على اسس سليمة. واذا كانت الضرورة تقضي بوجود علاقات اجتماعية وزيارات متبادلة كثيرة لاتحكمها الموازين الاخلاقية فمن الأفضل اعارة المزيد من الاهتمام لهذا الجانب، والتقليل جهد الامكان من فترة الزيارة للآخرين، او ان ينحصر تواجد الابناء في ادنى ما يمكن من هذه المشاهد لكيلا يطلعوا على الكثير من الكلام البذيء واللامبالاة.

محاذير أخرى:

وفي الختام لابأس بلفت انظار أولياء الأمور والمربين الكرام الى النقاط

التالية مع الاشارة الى بعض المسائل على سبيل التحذير، وهي:

١ ـ السعي جهد الامكان للمحافظة على الهدوء وبرود الاعصاب في جميع مراحل الاصلاح، وهذا أول شرط للنجاح في اجتياز هذا الوادي.

٢ ـ تحديد الاسلوب والمنهج التربوي في ازاء هذه الاساليب المنحرفة والكلمات النابية التي تصدر من الطفل.

فاذا كان الموقف منها موقف المعارض فلابد من مواصلة هذا الموقف على الدوام، وأمّا اذا كان موقف التأييد فالأفضل أيضاً الاستمرار عليه. ولاينبغي أن يكون الموقف يومياً مغايراً للذي سبقه.

٣ ـ السعي جهد الامكان لعدم ايقاع الطفل في حالة العصيان، وعدم دفع الطفل نحو الغضب والتصلّب وعدم استخدام اسلوب الكلام البذيء معه. أي أن بعض اسباب بذاءة الكلام في بعض الحالات تصدر من الوالدين نفسيهما، اذ يؤدّي تصرفهما مع الطفل الى دفعه نحو العصيان ويجد نفسه مرغماً على تجاهل وكسر جميع القواعد الاخلاقية.

٤ ـ ننصح بازالة جميع موجبات روح العداوة والانتقام من حياة الطفل، والتقليل من القيود والتحديدات والممنوعات، وتعويضه عن هواجس الشعور بالاحباط، وان تكون الضغوط التربوية متزنة وتتناسب مع طاقته واستيعابه النفسي.



العنف لدى الاطفال

تقديم

يعد العنف لدى الأطفال في التعامل مع الأبوين، والأخوة والأخوات، وحتى مع الأخرين في الزقاق والمدرسة والشارع، من المسائل التي تعاني منها غالبية الأسر، ويتسبب في الحاق الأذى بأولياء الأمور، بل واحراجهم أمام الآخرين في بعض الحالات الى درجة لا يجدون معها عذراً لتبرير الموقف.

سنتناول في هذا البحث، تعريف هذه المسألة، واشكالها، والعوامل التي تساهم في تفاقمها بغية تشخيص السبل الكفيلة بمحاصرتها للقضاء عليها، أو معالجتها واصلاحها، أو الحد منها على أقل تقدير.

تعريفه

يمكن القول من وجهة النظر العلمية أن العنف ميل او نزعة موجودة لدى الفرد وتتجسد بظاهرة الضرب والقتل، والتخريب والايذاء.

وهو كذلك بمثابة رد فعل شديد يقوم به الشخص على تصرف ما أو شيء معين.

ويبدو ان هذه المسألة تنم عن وجود ثورة عاطفية، داخل الشخص مشاعر واحاسيس يخشى الأفصاح عنها. أي أنّه يتعذب ويتألم في داخله من أمر لايستطيع تجاوزه، فيلجأ مضطراً الى التنفيس عن ذلك بإستعمال العنف ضد الآخرين، بل وقد يطال بعنفه حتى نفسه أيضاً في بعض الحالات.

ان تصرف الشخص العنيف يوحي وكأنه يريد التضحية بالآخرين في سبيل

راحته، ويرضى بكل اذى وألم يـلحق بـالطرف الآخـر اذا كـان ذلك يـريحه ويهدىء اعصابه. وحين تبرز لديه هذه المسألة، تستولي عليه حالة شبيهة بحالة المجنون أو الحيوان المفترس بحيث يفقد صوابه ولايدري ما يفعل. وتتسبب هذه الحالة دائماً في الحاق الأذى بالآخرين وخلق المشاكل لهم.

اشكاله

يتجسد العنف عند الأشخاص عادة على هيئة الضرب والايذاء والتعذيب. وغير ذلك من الأفعال الأخرى الشبيهة بالميول السادية، وهي مسألة لها قالب معين الى حدّ ما. وبالطبع يحصل أيضاً في بعض الاحيان، على صورة السخرية والاستهزاء بالآخرين، والتلفظ بالفاظ قاسية، والقيام بعمليات سـرقة مـؤذيه والتمهيد للشجار.

اما بشأن الأشياء، فالعنف يحصل على شكل التخريب والتدمير وما الى ذلك ويسعى مثل هذا الشخص الى مواجهة كل شخص وكل شيء من أجل تحقيق مرامه حتى انه قد يقدم على تحطيم شيء لا يزيد في الأمر ولا ينقص.

ان الاشخاص الذين ينتهجون اسلوب العنف لا يعيرون لمعايير العدل والإنصاف أدنى درجة من الإهتمام ويريدون بسلوكهم الخشن أن يجعلوا الاخرين اتباعاً لهم، يظلمونهم ويغصبون حقوقهم، ولا يعترفون لهم بحق أو مظلومية.

نوعه ومداه

يختلف نوع ومدى العنف من شخص الى آخر؛ فهو يبدأ من حالته السطحية

ذات البعد الايذائي والتراشق اللفظي، لينتهي بالميول العدوانية الشرسة من قبيل العظ وحتى قطع اللحم من بدن الطرف المقابل.
أن جميع الذين يمارسون العنف يحاولون عادة افراغ عقدهم بشكل كامل على من هم أضعف منهم من خلال الانهيال عليهم بالضرب المبرح وايصالهم الى حد الموت أو قريباً منه، وتزاداد نسبة العنف وشدته لدى الأشخاص الذين لديهم عقد معينة في حياتهم نتيجة للاخفاقات التي تعرضوا لها: وبالطبع فإن التحقيقات الجارية في هذا المجال، تشير الى ان هذه النسبة تزداد في المجتمعات المتطورة صناعياً والمتخلّفة معنوياً وعاطفياً، اذ ان من شأن التطور الصناعي، وضعف بناء الأسرة والإنهماك المتواصل في الأعمال الجافة، ان تزيد من نسبة العنف بين مختلف الاشخاص.

الحدود الطبيعية

لابد من التنبيه الى هذه النقطة وهي وجوب عدم التعجل بالحكم على الطفل واعتباره شخصاً عنيفاً بمجرد قيامه في البيت بقليل من الضوضاء أو رمي العابه بهذا الأتجاه أو ذاك، لأن هذه المسألة حالة معتادة بالحدود الطبيعية في حياة كل طفل.

أن المراحل الطبيعية لنمو الطفل تتطلب أحياناً قيامه باختبار قوته لمعرفة حجمه وموقعه، أو للتأكد مثلاً من درجة حب الأبوين له ومدى قدرته على فرض ارادته عليهما. ولذا ينبغي عدم الأنزعاج من هذه المسألة كثيراً واعتبارها مضرة بالطفل على المدى البعيد.

مرحلة التكوين

في الوقت ذاته، يجب الحذر من تحول العنف في مرحلة الطفولة الى حالة يعتاد عليها الطفل وتتعمق لديه حتّى تصبح عادة مزمنة. فكما هو معروف، تعدّ مرحلة الطفولة، وخصوصاً السنوات الست الاول، مرحلة تكوّن الفرد واكتسابه لعادات وتقاليد تبقى معه الى فترات طويلة وقد تلازمه حتى الى مرحلة الكهولة.

وفي رأينا، ينبغي عدم التساهل والتسامح في المواقف التي تتطلب الحزم في التربية والارشاد. وبمعنى آخر، يجب عدم التساهل ازاء اخطاء وانحرافات الطفل الاّ اذا كانت صادرة عن جهل أو دون قصد. ان الطفل عزيز علينا ومحبّته تفرض علينا أن نكون حازمين في امر تربيته.

مرحلة التفاقم

إذا لم يبادر الأبوان والمربون الى السيطرة على السلوك العنيف لدى الأطفال منذ نعومة أظفارهم، فإنهم بلا شك يواجهون صعوبات جمّة في هذا المجال في السنوات اللاحقة. حيث ستتفاقم هذه الحالة بمرور الوقت لتبلغ ذروتها في مرحلة المراهقة، ذلك لأن شعور الفرد بقدرته يزداد في هذه المرحلة، اذ يرى نفسه قادراً على فعل كل شيء. ومن جهة أخرى، فان الابعاد المتعلّقة بالبلوغ تؤدي بحد ذاتها الى تفاقم هذه الحالة من العنف حيث تتضاعف همومه المستقبلية. وتستمر هذه الحالة الى نهاية مرحلة البلوغ، الاّ اذا تم تقويمها بالأساليب التي سوف نأتي على ذكرها في هذا البحث.

العنف

فيما يخص منشأ واسباب العنف لابد من ذكر مسألتين لكل منهما مؤيدون:

١ ـ المنشأ الغريزي والفطري:ـ يعتقد الكثير من علماء النفس ان هذه الحالة ذات منشأ غريزي، ويذهبون الى القول بأنها ترافق الطفل منذ ولادته. وتتجسد على صورة الحرب، والدفاع، والنزاعات الشخصية، والاشتباكات الجماعية. والميول التخريبية التي ترافقها الخشونة.

من الأسباب التي تدفع بالبعض الى اعتبار هذه المسألة حالة غريزية هي صفتها العمومية ، والالتزامات التي تترتب على الإنسان في ظلّها، وأنماط التصرّف التي تأخذ طابعاً معيناً في الغالب. الاّ ان كيفية حدوث هذا السلوك وتفاعله، الدوافع التي تدفع الانسان بهذا الاتجاه لتسفر بالنتيجة عن حصول العنف، فهي مسألة ليست لها اجابة واضحة ومحددة من الناحية العلمية، لكن بعض التحقيقات تشير الى وجود منطقة صغيرة في المخ تدعى (هيپوتالاموس)، وبمجرد حصول أي اثارة في هذه الناحية يثور المرء ويتولد لديه توجّه نحو العنف.

٢ ـ المنشأ الغريزي الاجتماعي: لعل من الأصوب القول ان هذه الحالة لها منشأ غريزي اجتماعي، لأنها موجودة عند جميع الناس بشكل او آخر وبصور خفية وظاهرة. لكنها تتفاقم بالتدريج عن طريق الاكتساب.

لا يمكن انكار وجود العنف لدى جميع الأطفال وحتى لدى الحيوانات، الا أن كيفية اجرائه عملياً تعد مسألة اكتسابية. فكل طفل يقوم بأفعال عنيفة عادة بالشكل الذي كان قد تعلّمه من قبل والى جانب ذلك تترك ظروف الفشل والإخفاق، والحرمان، وسوء التربية. من قبل أولياء الأمور والمربين، تأثيراتها السيئة في هذا المجال.

دلالة العنف

مهما كان منشأ العنف، يمكن القول ان وجوده يدل من جهة على مقاومة الانسان وسعيه لبلوغ أمر يعجز عن بلوغه حالياً لأسباب مختلفة، ومن جهة أخرى، يدل حصوله على وجود حالة من القلق والإضطراب لدىٰ الشخص تسلب منه الهدوء والاستقرار.

ان العنف لدى الناس يدل دائماً على نشوئه اثر حاجة في انفسهم، وهذه الحاجة تارة تكون ذات بعد ظاهري آني وتارة تكون ذات بعد باطني ونفسي سابق. فقد يؤدي أي عامل، مثل رؤية الفوضى، والمظالم، والتفرقة، والتعامل الجائر وماشابه ذلك الى إثارة اعصاب المرء ولجوئه الى استعمال العنف.
واحياناً يكون العامل نفسياً، حيث تؤثّر العقد المكبوتة على نفسيّته بشكل سلبي، وتسلبه استقراره وهدوءه النفسي، فيلجأ الى استعمال العنف ضد الأخرين من أجل استعادة هدوئه، وفي حال عجزه عن ذلك، يقوم بتعذيب نفسه والانهيال عليها بالضرب.

الهدف من العنف

غالباً ما يحصل العنف لغرض فرض الهيمنة والتسلط على الآخرين ويسعى المرء في ظلّه من حيث يشعر أو لايشعر، لأن يهب لحياته معنى وقيمة يكسبها الخير والسعادة وإن اخطأ السبيل الى ذلك.

وما اكثر الاماني التي ينشد الانسان نحوها بقوة ويأمل المتخلف عنها حين يجد السبل المؤدية اليها موصدة بوجهه ان يجد طريقه إليها بنحو وآخر. ان

الذين لايجدون في انفسهم القدرة الكافية على التحمل يندفعون دون ارادة منهم بكل الاتجاهات ويقدمون على أي فعل من أجل التعجيل في الوصول الى الهدف.

ان استعمال العنف يجلب السكينة لمن يبحثون عن سبيل لتحقيق اهدافهم، لان العنف ينتج عنه أحدى الأمرين:

إما ارغام المقابل على الرضوخ للشيء المطلوب، وبذلك يكون هدف الشخص قد تحقق، وإما التنفيس عن عقدته وغضبه وهذه المسأله بحد ذاتها تؤدي الى تسكين حالته.

ومن اهداف العنف تحقيق السعادة والنجاح، والاّ فلا موجب لإستعماله بالنسبه للذين يتمتعون بمقدار كافٍ من السعادة والنجاح في حياتهم. والطفل الذي يحصل من والديه على مقادير كافية من النقود ويرى ان رغباته متحققه لايجد سبباً يدعوه الى المشاكسة والعناد، لكن من لا يجد سبيلاً لتحقيق رغباته في هذا المجال يلجأ الى اسلوب العنف.

حالات ظهوره

لا يظهر العنف لدى الفرد الاّ اذا تعرضت مصلحته الى الخطر، وتهددت رغباته في الحياة. ونلاحظ هذه الحالة بوضوح لدى الأطفال بشكل خاص حيث تظهر الوداعة والهدوء والارتياح عليهم ما دامت الأمور تجري وفق رغباتهم ولايجدون ما يحول دونها، لكنهم ما أن يلاحظوا أنّ هناك من يعترض سبيلهم أو يشعرون أنّه يحول بينهم وبين ما يرغبون في تحقيقه ينفعلون

ويستعدون للشجار والعنف ويعبرون عن رد فعلهم على ذلك بالغضب، وكذلك الذي يتعرض لضغوط وعقد نفسية يسعى الى تفريغ عقدته بأية ذريعة.

ازدياد العنف

اولاً: يزداد العنف لدى الذكور أكثر منه لدى الإناث. فيتخذ الطابع الهجومي القوي عند الذكور، بينما يتخذ لدى الإناث طابع الهدوء والاستبسلام اكثر.

ثانياً: ان الاطفال الذين لم ينالوا قسطاً كافياً من العطف والحنان وعاشوا انواعاً من الحرمان في حياتهم، أكثر عرضة للاصابة بهذه الحالة من غيرهم كما وتشير التحقيقات العلمية بهذا الشأن الى ان العنف يزداد عند الانماط التالية:

- عند اولئك الذين لم ينالوا قسطاً كافياً من العناية الصحية.
- عند اولئك الذين يعانون من الوساوس والقلق والاضطرابات.
- عند اولئك الذين ليسوا أهلاً لارادة شؤون انفسهم، ويعجزون عن السيطرة على تصرفاتهم.
- عند اولئك الذين يعانون من امراض مزمنة ولا قدرة لهم على تحمل أوضاعهم.
- عند الأشخاص الذين ينظرون الى الحياة نظرة اشمئزاز، ويسيئون الظن بالآخرين.
- عند الأشخاص الذين يعيشون في اجواء النزاع والشجار المستمر سواء في بيوتهم أو في مواضع أعمالهم.
- عند اولئك الذين يتصورون ان حياتهم في خطر، وانهم على وشك النهاية.
- وعند اولئك الذين يرون ان شيئاً عزيزاً جداً لديهم يوشك ان يُفقد.

أعراض العنف

مع أنه من الصعب ملاحظة هذه الحالة وتمييز الشخص العنيف عن غيره في كثير من الحالات، الا انه يمكن في ذات الوقت تشخيصها لدىٰ كثير من الناس من خلال الملامح التي ترتسم على وجوههم وهيئاتهم خصوصاً عندما يواجهون مسألة يكرهونها ومن هذه الملامح: حدّة النظر، والعظ على النواجذ وانعقاد الجبين، وانتفاخ الاوداج، واتخاذ وضع التهيّؤ للهجوم والانتفاض.

وعند الاستعداد لممارسة العنف، يعض الشخص شفتاه، وقد يحبس أنفاسه أحياناً لكي يقوم بحركة ينقض بها على خصمه وينفس بواسطتها عن عقدته ومثل هذا الشخص، لايكون في وضع طبيعي حين القيام بذلك، ويرافق حالته شدة درجة النبض وارتفاع ضغط الدم، واشتداد سرعة التنفس، وتقلص عضلات الجسم، والقلق والاضطراب، والاختلال في عمل الجهاز الهضمي، وفقدان الشعور الى درجة لا يحس معها بألم الصدمات التي يتعرض لها.

مضار العنف

بالاضافة الى ذلك، فقد يتسبب العنف في الأضرار بنفس الشخص وبالآخرين. فالاضرار التي تلحق بنفس الشخص في هذا المجال، هي الآثار والاعراض التي ذكرناها آنفاً اما بالنسبة للآخرين الذين يوجه اليهم العنف، فإنهم يكونون عرضة للضرب، والايذاء، واللوم والتحقير، والاستهزاء و... الخ من الممارسات العنيفة.

فوائد العنف

ليس العنف شراً خالصاً أو ضرراً مطلقاً في كل الأحوال بل انه يحتوي على بعض النقاط الايجابية والمفيدة أيضاً.

فمن الناحية الخلقية، لاتوجد بالأساس غريزة سيئة بذاتها، بل كل الغرائـز تصب في مصلحة الانسان في المحصلة النهائية أما الاضرار المتأتية من هذه الغرائز، فإنّها تحصل فقط في الحالات التي تتجاوز فيها الغريزة حد الاعـتدال بسبب عدم السيطرة عليها أو استثمارها وفق الضوابط والمعايير العقلية.

ومن هنا، يمكن القول ان وجودالعنف قد يُلجأ إليه لعدة اعتبارات منها:

ـ الحفاظ على النفس والدفاع عنها.

ـ الحفاظ على بقاء النوع الانساني من خطر الاعداء.

ـ ضمان النجاح وتحقيق الأهداف المنشودة.

ـ الوقوف بوجه كل ما هو قبيح وغير عقلائي.

ـ الحفاظ على النظام وبقاء المجتمع الذي نعيش فيه.

ـ وبالتالي من أجل الدفاع عن الوطن والمبدأ والعقيدة وصيانة العرض.

ضرورة ضبط الحالة

المهم هو ترويض هذه الحالة أو الغريزة وليس القضاء عليها؛ فـنحنُ لسـنا بصدد اخمادها والقضاء على آثارها، أو تهذيب الطفل منها، اذ اننا لا نبغي جعل الطفل شخصاً خاملاً لا يكترث لِشيء بل لابـد مـن وجـود قسـم مـن هـذه الانفعالات والتوترات العصبية من أجل ان نثبت بواسطتها انسانيتنا. وندافع عن حرياتنا، لنزيل الموانع والعقبات التي تعترض سبيلنا.

اننا نعتقد ان للعنف، في مواقف كثيرة من حياتنا، فوائداً عديدة شـريطة ان نسيطر عليه ولاندع زمامه يفلت من ايدينا. ان هذه المسألة بحاجة الى مربي يوجهها توجيهاً صحيحاً. ويحذر الاطفال من آثارها وعواقبها الوخيمة.

دور الأسرة

تلعب الاسرة دوراً اساسياً في هذا المجال خصوصاً وإن الطفل يحاول في مرحلة النمو ابراز شخصيته في البيت من خلال التأسي والاقتداء بسلوك والديه وطريقة حياتهما، وكيفية اتخاذ المواقف ازاء مختلف القضايا.
فما لم تتم اصلاح سلوك الوالدين وما لم تتم السيطرة على المشاكل في العائلة وضبطها لايمكن إصلاح سلوك الأطفال. يجب على من لديهم اطفال يتسمون بصفة العنف وتزعجهم هذه الحالة ان يصلحوا اوضاعهم أولاً، ومن ثم يبادرو ثانياً الى الحؤول دون حصول العوامل التي تثير حفيظتهم وتدفعهم الى استعمال العنف.

للأم دور مهم في اصلاح الأولاد؛ فاذا لم تبالغ كثيـراً في دلالهم، وبذلت المزيد من الرعاية لنم يتصف بهذه الخصلة منهم فإن كثيراً من الصعاب يمكن ان تحل في حينها. وبالطبع يمكنها أيضاً استشارة ذوي الخبرة والصلاح في شؤون التربية. لأجل التزود منهم باساليب التربية النـاجحة ولمـعرفة نـوع التـعامل المطلوب أزاء هذه الحالات.

عوامل وأسباب العنف

قبل اتخاذ اي اجراء لاصلاح نزعة العنف لدى الاطفال، يجب الأهتداء الى

معرفة العوامل والاسباب المؤدية اليها. وبخلافه لا يمكن معالجتها بأي شكل من الأشكال، ومهما بُذلت الجهود والاتعاب في هذا السبيل. هناك الكثير من المعالاجات التي وضعت لهذه الحالة دون ان تكون ناجحة ومفيدة بسبب الجهل بالاسباب والعوامل الكامنة وراءها.

سنسعى في هذا البحث الى الإشارة لأهم العوامل والأسباب على أمل ان يتمكن اولياء الأمور والمربين من مكافحتها والحيلولة دونها قدر الامكان:

١ ـ **العوامل الوراثية**: العامل الوراثي من أهم العوامل المؤثرة في العنف لدى الأطفال بمعنى ان كثيراً من نواحي حياة الوالدين والأجداد وكذلك الأبعاد الخلقية والخُلقية والنفسية الموروثة فيهم تنتقل الى الابناء.

فنحن نعرف ان هناك بعض الأمراض تنتقل من الآباء الى الأبناء بالوراثة، وكذلك هو الحال بالنسبة للسلوك الاخلاقي وبالطبع انها تنتقل ـ أيضاً ـ في حالات كثيرة عن طريق التربية والاكتساب. وبطبيعة الحال يمكن للتربية الحازمة ان تغطي على التأثيرات الوراثية للفرد.

٢ ـ **الطبع المزاجي**: يعيش بعض الأطفال وضعاً نفسياً خاصاً يبدون ازاءه وكأنهم ليسوا مؤهلين لضبط النفس، وذلك بسبب التجارب المريرة والأمراض الشديدة التي تعرضوا لها، وفقدوا على اثرها قابلية التحمل والصبر على ابسط المسائل التي يواجهونها. فتراهم ينزعجون ويندفعون الى ممارسة العنف والتراشق لأدنى مقاطعة لكلامهم أو لتأخير في الأستجابة لطلباتهم ورغباتهم. ولا شك هنا في وجوب انتهاج اسلوب المسامحة والصفح في التعامل مع امثال هؤلاء.

٣ ـ **المرض النفسي**: الكثير من أفعال العنف تصدر من الطفل بسبب عدم فقدانه الوضع النفسي الطبيعي، وكونه يعاني من آلام نفسية داخلية تؤثر على

صبره وتحمله بشكل سلبي من قبيل الكآبة، والوسوسة، والاضطراب. واحياناً قد تكون هذه الحالة وليدة ميول تخريبية لدى الاشخاص أو اوهام وتخيلات، أو ناتجة عن شدة الحرمان.

٤ ـ **اسلوب التربية:** واحياناً يكون العنف نتيجة طبيعية اساليب التربية المغلوطة التي تتبع مع الاطفال. فالأطفال المدللون كثيراً من قبل آبائهم يتوقعون ان يستجاب لكل طلباتهم ورغباتهم. وبطبيعة الحال عندما يرون انفسهم في وضع لايستجاب فيه لطلب من طلباتهم يثورون ويلجأون الى العنف وعلى أية حال، فان من شأن التربية الخاطئة، خصوصاً في مرحلة الطفولة، ان تترك اثاراً سيئة في هذا المجال.

٥ ـ **الاكتساب العائلي:** ان الأطفال الذين يشاهدون مشاجرات أبويهم على نطاق الأسرة، ويتعلمون منهما دروساً في الاستهزاء والاستصغار، ويلاحظون ايذاء بعضهما للآخر، ويرون تسلط القوي على الضعيف في البيت، يحاولون تطبيق هذه الأشياء بشكل او آخر في تعاملهم مع الآخرين. تجدر الإشارة الى ان التصرفات الخشنة للاب وسلوكه الإنفعالي يتركان آثاراً سلبية جداً على مستقبل الأطفال.

٦ ـ **الخلافات العائلية:** يؤدي ابتعاد الأطفال عن اجواء الأسرة بسبب خلافات الأبوين وافتراقهما لمدة طويلة الى اصابتهم بحالة من القلق والاندفاع الى ممارسة العنف. فالطفل يعتبر هذه المسألة ظلماً واجحافاً بحقه من قبل والديه، فاذا عجز عن التصدي لها يحاول في المقابل عدم الخضوع للآخرين والمبادرة الى التمرد والعصيان والعنف ازاء أوامرهم وتوجيهاتهم.

٧ ـ **العامل الاجتماعي:** ان الذين يعيشون عادة في اجواء بعيدة عن الألفة

والانسجام، ويسودها الشجار والعنف، والظلم والجور، يصابون بهذه الحالة ويحاولون التعبير عن غضبهم واحقادهم عن طريق استعمال العنف.

٨ ـ **العامل الثقافي**: ومن جملة العوامل التي تلعب دوراً فاعلاً في ايجاد حالة العنف واستفحالها هي القصص والافلام والعروض المسرحية، والامثال السيئة والفنون الرياضية و... التي تدور حول العنف.

فما اكثر الافلام التي تمجّد القوة والعنف وتوحي بأنهما أشياء جديرة بالإحترام والتقدير وتدفع الأطفال الى محاكاتها والتشبّه بها. وكذلك هو الحال مع بعض الالعاب، والممارسات الرياضية من قبيل الملاكمة أو المصارعة المنحرفة التي تؤدي الى قساوة القلب والعنف لدى الفرد.

٩ ـ **العامل الاقتصادي**: وفي بعض الحالات يؤدي النقص والحرمان الاقتصادي الى العروج نحو العنف. فالطفل الذي يشاهد دائماً انواع الأطعمة والفواكه، واللعب، ويرى نفسه عاجزاً عن توفيرها وأقتنائها. يشعر بالحقد تجاه القادرين على توفيرها وتتولد لديه رغبة لاستعمال العنف ضدهم. ومن ثم فبامكان أولياء الأمور والمربين ان يحولوا دون هذا السلوك الى حدود كبيرة وذلك باعطاء الطفل وعوداً بشرائها، أو بتزويده بنقود يدخرها بالتدريج من أجل شرائها في المستقبل. ان من الخطأ الفادح في هذه الحالة قمع الطفل وتأنيبه في نفس الوقت الذي لايتم له توفير الشيء الذي يريده ويرغب به.

١٠ ـ **عوامل أخرى**: ومن العوامل الأخرى التي تساهم في ايجاد هذه الحالة لدى الطفل، يمكن الإشارة الى الأخفاقات، والتحقير والاستصغار المستمر، ومشاهدة البرامج التي تدور احداثها حول العنف، وعدم النضوج الفكري والنفسي وعمليات التحريض والترغيب المفرطة من قبل الاباء والمربين التي

تأخذ طابع الاستيلاء وفرض الرقابة الصارمة على الطفل، وايـجاد الأرضـية للتوقعات الكثيرة، والضرب بقساوة و غيرها من المسائل التي نمتنع عن شرحها و تفصيلها رعاية للايجاز.

العوامل المشددة

لابد من الاشارة في هذا المجال الى العوامل التي تساهم في تشديد هـذه الحالة لدى الأشخاص وهي على النحو الآتي:

- الحرمان من عطف وحنان الوالدين والمربين.
- اتساع دائرة التوقعات لدى الطفل نتيجة لكثرة الوعود والآمال.
- الجهل بمشاعر وأحاسيس وتوقعات الطفل وعدم اخذها بنظر الاعتبار.
- عدم الاكتراث بالاطفال وتجاهلهم في الحالات التي يكونون فيها بحاجة الى العطف والإهتمام.
- فرض المشاكل الذاتية على الطفل والطلب منه للعمل على حلها.
- تطبيق اوامر انضباطية صعبة على الأطفال في البيت والمدرسة.
- وجود الامراض المزمنة خصوصاً تلك التي تؤلم الطفل.
- التلاعب بمشاعر واحسايس الطفل عن طريق الاستهزاء.
- وبالتالي حرمانه من شيء يحبه كثيراً أوالحيلولة دون الوصول إليه.

ضرورة الاصلاح

لا شك في ان كل أب حريص، وكل مرب واع يسعى للقضاء على هذه الحالة

عند الأطفال فضلاً عن ان هذه المسألة تعد ضرورة تربوية تقع مسؤوليتها على اولياء الأمور والمربين، ولها أهميّتها من الناحيتين الفردية والاجتماعية أيضاً:

١ ـ **من الناحية الفردية**: يجب اصلاح نزعة العنف لدى الشخص، لأنها سلوك خاطيء غير سليم علمياً واخلاقياً، وتودي الى الحاق الأذى والضرر بشخصيته. ففي حال عدم السيطرة على هذه الحالة عند الشخص، فانها تؤدي به في المدى البعيد الى نبذ المجتمع له وتجنب التعامل معه.

ان الشخص العنيف يتألم ويتعذب نفسياً من الوضع الذي هو فيه والسلوك الذي يسلكه. والضغط النفسي الذي يعاني منه الشخص اثناء الاقدام على العنف ـ الكآبة والقلق، ضغط الدم، سرعة النبض ـ ليس بالشيء الذي يمكن تجاهله بسهولة. ومن شأن هذه الحالة اذا استمرت، ان تؤدي الى عواقب وخيمه.

٢ ـ **من الناحية الاجتماعية**: من الضروري أصلاح هذه الحالة من الناحية الاجتماعية أيضاً، لأنّ من يميلون الى العنف لابد وان يدفعوا الثمن في المستقبل على الصعيد الاجتماعي. اذ ان اعضاء المجتمع لايحتملون دائماً عنف هؤلاء، ومن الوارد جداً أن يواجهوا عنفهم بعنف مماثل ويلحقوا بهم الأذى والضرر.

هذا جانب، كما وتكتسب هذه المسألة اهميتها أيضاً من ناحية ضرورة سيادة الأمن والعدل في المجتمع. لانه اذا تقرر أن يؤذي القوى الضعيف، أو يعتدي على كرامة الأخرين ويسخر منهم بالاعتماد على قوته، فان الحياة تصبح صعبة وغير مستقرة.

فمن أجل ان تكون الحياة الاجتماعية متوازنة، فنحن بحاجة الى ان نحفظ حقوق الاخرين في التعايش بحياة هادئة وآمنة وهذه المسألة تتنافى مع العنف.

ومن هنا فلابد من الحيلولة دون عنف الاطفال وعدم السماح لهم بايذاء الاخرين؛ لانه بخلاف ذلك فإن مواصلة الحياة بهدوء وامان تصبح مسألة مستحيلة.

على طريق الاصلاح والسيطرة

يجب الالتفات الى النقاط الآتية قبل كل شيء في سبيل السيطرة على العنف واصلاحه:

١ ـ لاستعمال الشدة والغلظة لردع ظاهرة العنف عند الاطفال فوائد قليلة واضراراً كبيرة. لذا ينبغي القيام بهذه المهمة بشكل تدريجي وودي لانه قد يلجأ الطفل في حالات كثيرة اذا ما منع بشده، الى تغيير اتجاه عنفه نحو الاخرين.

٢ ـ يجب تحويل اتجاه العنف لدى الطفل الى اتجاه آخر لاينجم عنه اضرار ويسكن غضبه بواسطته وذلك من أجل ان ينضج فكرياً ونفسياً بالتدريج.

٣ ـ للحؤول دون السلوك الخاطىء للطفل ينبغي الأخذ بنظر الاعتبار هذه المسألة وهي ان اعمال الخشونة والغلظة مع مع الطفل ـ خصوصاً الطفل المدلل ـ من شأنه أن يؤدي به الى الاصابة بالكآبة والاحباط والشعور بالتعاسة والألم، وإطلاق الآهات وذرف الدموع الغزيرة. لذا ينبغي التعامل مع هذه الحالة بمزيد من اللين والمرونة قدر الامكان.

٤ ـ على أية حال، لابد من الحذر من تعويد الطفل على العنف والخشونة في التعامل مع الآخرين، وافهامه بأنه لايمكن له ان يحقّق غاياته عن هذا الطريق.

طرق الاصلاح

توجد طرق كثيرة للاصلاح في هذا المجال. نشير فيما يلي الى نماذج منها في الحدود العملية القابلة للتنفيذ بالنسبة للاسرة:

١ ـ **التوعية**: من المهم جداً توعية الطفل وإفهامه بأن لا يمكن تحقيق الهدف عن طريق العنف والقوة، والتوضيح له بأن امتلاك القوة شيء حسن لكن استعمالها بشكل همجي مسألة مرفوضة وغير صحيحة. اننا بحاجة الى تأكيد هذه المسائل وتركيزها في اذهان الاطفال من خلال الترديد المستمر والمتواصل لها.

٢ ـ **التثقيف**: ينبغي عدم الغضب عند قيام الطفل باعمال العنف وزجره بغلظة وشدة، لأن هذه الطريقة تترك عليه تأثيرات سيّئة على المدى البعيد رغم فائدتها الآنية، وانما يجب السعي لمعالجتها عن طريق التثقيف والتوعية بواسطة سرد القصص والأمثال والحكم وما الى ذلك من مسائل.

٣ ـ **الحقوق والواجبات**: ان من ضرورات الحياة معرفة الناس لحقوقهم وواجباتهم تجاه بعضهم وإدراك حدودهم في التعامل مع الآخرين؛ وذلك لئلا يتوهم البعض بأن على الآخرين ان يتحملوا كل ما يصدر منه من تصرفات. ان أكثر التصرفات الخاطئة تصدر بسبب الجهل في الحقوق والواجبات. ومن شأن معرفة هذه الحقوق والواجبات والاقتناع بها ان تخلق التأثيرات الايجابية في هذا المجال.

٤ ـ **التربية**: يجب ايقاف الطفل على ما هو خطأ وما هو صائب من السلوك، والتوضيح له بأن العنف عمل مرفوض لابد من تجنبه ابتداءً والاعتذار عنه في حال حصوله.

٥ ـ رفع الحرمان: قلنا فيما سبق ان من الاسباب المؤديّة الى انتهاج العنف هو الحرمان؛ لذا لابد من العمل على رفع هذا العامل بشكل وآخر فذلك مما يساهم مساهمة فعالة في تحسين سلوك الطفل.

٦ ـ العلاقات الحميمة: يمكن إعداد الارضية الايجابية للاصلاح عن طريق اقامة علاقات حميمة ووثيقة مع الطفل، وشرح الأبعاد القبيحة للعنف عند ممارسته.

٧ ـ غرس المحبة: يمكن غرس بذور المحبة والرأفة في قلب الطفل عن طريق الارشاد والتوجيه وذكر النقاط الايجابية الموجودة عند الأخرين توعيته الى أن مثل هذه التصرفات الخاطئة ان تبعده عن الآخرين وتوعية الى ان مثل هذه التصرفات الخاطئة ان تبعده عن الآخرين.

٨ ـ إشغال الطفل: من شأن الفراغ وعدم الانشغال بعمل ما ان يدفع المرء نحو العنف؛ لذا لابد من إشغال الطفل بعمل لا يجد معه فرصة للتشاجر مع الاخرين.

الاحترازات الضرورية

فمن اجل الحفاظ على الطفل وإصلاحه وابعاده عن المخاطر والاضطرابات، لابد من الأخذ بنظر الاعتبار المسائل الاتية.

١ ـ تجنب العنف: إذا كنتم تعدون اسلوب العنف عملاً مرفوضاً ينبغي ان لا تمارسونه امام الطفل. وكذلك ينبغي منع الأبناء من مشاهدة البرامج التي تدور حول العنف، أو قراءة القصص البوليسية العنيفة.

٢ ـ عدم الأكتراث بالعناد: الكثير من الأطفال يحققون مطاليبهم بواسطة العناد والمشاجرة والعنف فيعتادون على ذلك ويسعون دائماً الى اتّخاذه وسيلة

لتحقيق مآربهم ومن هنا يجب معالجة هذه الظاهرة عن طريق عدم الاكتراث وتجاهل عناد الطفل واصراره.

٣ ـ تجنب الغضب: يجب على اولياء الأمور تجنب الغضب قدر الأمكان ازاء تصرفات الأبناء، والعمل على معالجة الأمور بهدوء.

طرق التقويم

هناك طرق عديدة لتقويم هذه الحالة والحؤول دونها، سنتناول فيما يلي أهمها:

١ ـ تغيير اتجاه العنف: يجب عدم السماح للطفل باستعمال العنف ضد الاخرين، والعمل على توجيه غضبه وجهة أخرى، كأن يعطى دمية أو لعبة مستهلكة ويترك لكي يفرغ عليها جام غضبه.

٢ ـ الالعاب العسكرية: في بعض الحالات يمكن الاستفادة من الألعاب العسكرية في سبيل ضبط وتعديل هذه الحالة. فلقد أثبتت بعض التجارب جدوى وفائدة هذه الألعاب في إصلاح هذا السلوك لدى الأطفال الى حدود كبيرة.

٣ ـ المواساة: على الوالدين والمربين تقديم المساعدة لمثل هكذا طفل من الناحية النفسية، بملاطفته وابداء الاستعداد لمساعدته والاستفسار عما يؤذيه ويدفعه الى القيام بمثل هذه التصرفات و...الخ وبالتالي كسب ثقته والمبادرة الى علاجه.

٤ ـ المبادرة: من الممكن إصلاح من اعتادوا ممارسة العنف، او توجيه حالتهم وجهة أخرى الى حد ما عن طريق المبادرة الى الاشتغال ببعض

الاعمال من قبيل الاعمال العسكرية والرياضية والقـصابة، وحـتى الفـلاحة، والنجارة وما شابه ذلك.

٥ ـ العقوبة: وبالتالي ينبغي اللجوء الى الضرب الخفيف في بعض الحالات. فالطفل الذي لا تؤثر فيه الاساليب المذكورة ويمعن في إيذاء الآخرين وإلحاق الاذى بهم باستمرار، لابد من اللجوء معه الى الضرب الخفيف في موارد معينة. وذلك كي يعرف معنى الألم والعنف والايذاء. وعلى أيّة حال، يجب الاحـتراز من اللجوء الى اسلوب الضرب في غير موضعه.



شغب الاطفال

تقديم

احد المصاعب السلوكية التي يواجهها الوالدان والمربّون في تربية الاطفال هو موضوع الشغب الذي يتجسد على هيئة الصخب المصحوب بالعنف. ويبدو ان الطفل يستشعر من جرائه اللذة والارتياح. والشغب نوع من الانـفعال غـير العقلاني الذي يجلب على الطفل والمحيطين به بعض الضرر والأذى.

اعتبره بعض علماء النفس ظاهرة تمهيدية يتعرض لها الانسان لغرض نضجه وتكامله والمساعدة على بقائه. أمّا البعض من امثال فرويد فيعتقد ان ظـاهرة العدوانية والشغب تعتبر من مظاهر الموت لدى الفرد ومغروسة في فطرته.

وعندما يطرح الاسلام اسس الفطرة يشير الى وجود ميول شريرة لدى الانسان، ويرى ان الانسان مجبول على الشر ومطبوع عليه. فقد ورد عن الامام علي عليه السلام أنه قال: «الشر كان طبيعة كل احد».

يعتبره بعض علماء التحليل النفسي نوعاً من رد الفعل التعويضي الذي يظهر بصورة حادّة ويثير لدى الشخص شعوراً بالقدرة، فيما يعتبره آخرون رد فعل ناتج عن الانكسارات والاخفاقات التي يواجهها طوال فترة حياته. واخيراً فهو ـ اي الشغب ـ حالة نلاحظ بعض مظاهرها المزعجة لدى بعض الاطفال.

مظاهر الشغب

الطفل المشاغب يخلق الأذى لنفسه وللآخرين بـطرق واسـاليب مـختلفة وتكمن خطورة هذا العمل في ما اذا اقترن بالعنف والقسوة. فالطفل المشاغب

يضرب ويدمّر، ويحطّم ويهرب، واذا اتيحت له الفرصة يعض، ويجرح ويُسيل الدماء، ويضرب الأبواب بعنف، ويصرخ، ويبكي،ويسب،ويخرّب، ويخطف من يد الاطفال الأضعف أشياءهم، ويبدي الارتياح لبكائهم.

والشغب هذا قد تكون له صورة عضوية أحياناً؛ فيعمد الطفل المشاغب لالحاق اضرار بليغة بالآخرين مصحوبة بالعذاب والأذى، وبعد ايذاء الآخرين يشعر بالسعادة والهدوء والسكينة. ومن مظاهرها الأولية عند الطفل، الخصام، التمرّغ في التراب، تخريب الاشياء المهمّة، وقد يثير باعماله انفعال الوالدين والمربّين فيدفعهم لمعاقبته ومن بعد العقوبة يركن للهدوء والسكينة.

حالة المشاغب

يتصف المشاغب بفقدان الاستقرار والسكينة، وكأن ناراً تضطرم في احشائه وهو حائر في كيفية اخمادها، واعماقه مستعرة لهباً يجعله في خصام مع الآخرين وكأنّه بحاجة لانتهاج بعض التصرفات الطائشة الهوجاء.

ومما يتصف به أيضاً أنه يمارس ضد خصمه العنف والقسوة ويستشعر لذّة فائقة مما يكابده من أمل وعذاب، فتعتريه بهجة لأنه أبكى شخصاً وأوجع قلبه. وسلوكه مغاير للسلوك الاجتماعي ولكنه يتفاخر به. فهو مثلاً يضع قطعة الحلوى في يده ويناولها لطفل آخر وعندما يهمّ ذلك بأخذها يسحب يده فيبكيه.

وقد يندم أحياناً على فعلته ويدرك خطأ عمله ولكنه غارق في وضع وكأنه لايستطيع الكف عن ممارسته، ويتلفّظ أيضاً بكلمات بذيئة ويؤكد على عدم تكرارها ثانية الا انه يعود الى نفس ذلك السلوك في اليوم التالي.

سوء الفهم

وهنا تجدر الاشارة الى هذه النقطة أيضاً وهي ان ما يتصوّره الابوان والمربّون شغباً هو ليس شغباً في الواقع، بل أمر عادي لكن ضيق الوالدين وقلّة تحمّلهما تدفعهما لاصدار مثل هذا الحكم بشأنه.

ان لكل طفل حالة من عدم الاستقرار تتناسب وسنّه؛ فهو يركض ويقفز، وحب الاستطلاع يدفعه نحو لمس الاشياء، فيؤدي هذا الى اثارة حفيظة الأب والأم ـ اللذين يريدان منه الهدوء والسكينة وان يكون كالصنم ـ فيؤكّدان على ان طفلهما مشاغب.

الشغب والنضج

وعلى هذا الاساس نود الاشارة الى أنَّ الطفل يتعرض في ادوار حياته المختلفة ـ وبشكل طبيعي ـ لبعض انواع عدم الاستقرار، وتعتبر هذه الحالات ضرورية بالنسبة لحياته. واذا لم يكن من النوع الذي يتحرّك ويلعب ويقفز ويعبث فهذا مما يثير التساؤلات عن حالته لئلاّ يكون مريضاً.

تظهر بعض الدراسات العلمية بأن بعض سلوك الطفل يتّخذ طابع اللعب الذي يمهّد الأرضية الخصبة للتطوّر والابداع لديه، ومما لا شك فيه انه بحاجة ماسّة إليه. والمهم في هذا الصدد ان نقدّم له في هذا اللعب الأُسوة الصالحة التي لاتسبب لنا المتاعب.

يزداد الشغب لدى الاطفال في بعض الاعمار، فسن الرابعة مثلاً يبلغ فيها

الشغب ذروته، ويتأزم سلوك الطفل، كما وتتكرر هذه الحالة في سن الحـادية عشر ومطلع فترة المراهقة، اذ يحاول الطفل ابراز شخصيّته عـن هـذا الطـريق فيزداد تحرّكه ونشاطه البدني والفكري ويسعى لبلوغ حالة الاستقرار والسكينة من خلال الالعاب الخلاّقة وبعض النشاطات المعيّنة، ومن المحتمل ان يجلب هذا على الوالدين والمربين بعض المتاعب.

الشغب والجنس

تتنامى روح الشغب والصراع لدى كل من الذكور والاناث وبشكل يتناسب مع نضجهم، الا ان نوعها واسلوب تطبيقها يتفاوت بتفاوت الانـماط التـربوية والثقافية. فكلا الجنسين سريع الاستثارة ويبذل جهوده ومساعيه في مختلف ميادين الحياة. ويحاول كلاهما في سنوات معيّنة ـ وهي السنوات الحرجة في حياتهم ـ ضرب وايذاء واثارة الآخـرين، الا ان تـصرّفاتهم تـتفاوت بـتفاوت الاوضاع والظروف.

فالذكور قد يعبّرون عن شغبهم بالضرب والكلام البذيء، أمّا الانثى فتقوم بسحب جدائل الفتيات الاخريات وايذائهن. والذكور قد يتجسّد شغبهم حتّى في استعمال الادوات الجارحة، بينما الاناث يستعملن الاظافر لالحاق الأذى بالاخريات. وبشكل عام يمكن القول ان نسبة الشغب لدى الفتيان اكثر وروح التمرّد عندهم اشد وأقوى. وهذا الاختلاف نابع مـن التأثـيرات الثـقافية فـي المجتمع، ويعتقد بعض محللي السلوك النفسي بوجود دوافع عضوية وبيئية لهذه الظاهرة.

دلالات الشغب

اذا تجاوزت ظاهرة الشغب والايذاء حدّها الطبيعي المتعارف او تحولت الى سلوك غير عادي لدى الطفل ينبغي القول حينذاك انّها تنمّ عن وجود اسباب دفينة، وتشير الى قلق عميق كامن في اعماق النفس.

فالشغب يدل على وجود صراع داخلي يكشف عن عجز الشخص عن مجابهة الامور، والانسجام مع الظروف القائمة. وهو يعكس طبعاً حالة من الانفعالات الشديدة التي لايسعه اخمادها. أو أنه قد مرَّ في فترة طفولته بمراحل صعبة ومواقف مريرة تركت في نفسه عقداً مستعصية لا يزال غير قادر على حلّها. وهو لذلك يتشبّث بكل وسيلة لتوفير مستلزمات الهدوء والسكينة لنفسه، ويمارس مختلف الاساليب العدوانية الحاقدة على امل الحصول على السكينة والاستقرار.

جذور ظاهرة الشغب

ظاهرة الشغب هذه لها جذور متأصّلة في اعماق وناتجة من انانيّته وحبّه الشديد لذاته. ويرى المحللون النفسيون بأنَّ الطفل المؤذي يمكن تصنيفه ضمن قائمة الاطفال الذين تلقّوا الأذى الا انه قد يخطأ في محاولة التعويض هذه فيلحق الأذى بالآخرين من غير وجود اساب صحيحة.

يتميّز مثل هذا الشخص بالمحبة الفائقة لذاته الى حد عدم القبول بأي أذىً يصيبها ولهذا فهو ما ان يشعر بنزول الأذى حتّى يسارع للانتقام. وهذا يكشف عن ضعف روح التسامح والتضحية لديه، وعلى العكس من ذلك يظهر قوّة الانانية والغرور.

وقد ينطلق الشغب من عيب او نقص نفسي تارة أو من العادات السيّئة تارة أخرى. ويحتمل أيضاً صدور الشغب من شخصٍ مع عدم اقتناعه بصحّة فعله. ويلجأ مثل هذا الشخص عادة الى العثور على فريسة ضعيفة لممارسة العنف ضدّها فينهال على الطفل الأضعف بالضرب والأذى، واذا لم يعثر علـى طـفل ضعيف يضطر لافراغ حقده على الحيوانات. وإذا ما وقع في يده طيرٌ نتف ريشه، واذا شاهد قطة يمسك بذيلها وما الى ذلك.

أسباب الشغب ودوافعه

يعتبر الشغب بالنسبة للطفل المشاغب أداة ووسيلة يـحقق بـها اغـراضـه، ولايمكن طبعاً تفسير هذه الظاهرة بهذه الصورة على الدوام، بل ان لها اسـباباً ودوافع أخرى نورد في ما يلي بعضاً منها:

أ ـ الأسباب العضوية:

اذ ان بعض الشغب الذي يمارسه الاطفال يأتي من اسباب ودوافع عضوية. ويمكن في هذا الصدد ذكر الكثير من المسائل الا ان اكثرها اهمية هو ما يلي:

١ ـ **المرض والألم**: فبعض الشغب ناتج عن الامراض التي يصاب بها الطفل. فالسلوك السليم يصدر عادة عن البدن السليم لا البدن المريض. والآلام الشديد تجعل المريض يشعر بالوحشة والغربة ويقوم بممارسات شريرة وتتّسم بالشغب والعدوانية وذلك لأنّها تفقده استقراره وتجعله يكثر من الهذيان.

٢ ـ **الساديّة**: وهذا أيضاً مرض آخر يخرج الشخص عن حالته الطـبيعية.

ويُعتقد ان اساسه ينبثق من وجود رغبة عميقة في امتلاك القوّة المطلقة عند الشخص الذي يشعر بالجهل. والممارسة السادية تجلب للشخص راحة البال ويرى فيها عملاً ينطوي على كثير من اللذة.

٣ ـ **المتاعب النفسية:** وفي بعض الحالات يتولد المرض من خلال وجود المتاعب النفسية التي تجعل الشخص في اضطراب دائم وتسلبه القدرة على اتخاذ القرارات العقلانية. يسعى مثل هؤلاء الاشخاص للعثور على شيءٍ ما الا ان قدراتهم لاتبلغ بهم ذلك المبلغ ولذلك تراهم يلجأون الى الشغب.

٤ ـ **الارهاق:** ان الارهاق البدني والارق يخلقان الشغب وسوء السلوك. والطفل الكثير الحركة اذا أُصيب بالارق لسبب أو لآخر يفقد حالته الطبيعية وقدرته على التحمّل، ولايستطيع مواجهة أقل المسائل التي تواجهه في حياته اليومية.

٥ ـ **الضعف البدني:** يتبيّن من خلال الدراسات التي أُجريت في هذا المجال ان الاطفال الذين يعانون من الضعف البدني أكثر استعداداً لإثارة الشغب وافتعال المتاعب وذلك لأن الضعف يسلب الطفل قدرة المشاركة في النشاطات الجماعية أو اللعب مع سائر الاطفال وهذا يعني حرمانه من فرصة ابراز وجوده، الامر الذي يؤدي بطبيعة الحال الى انتهاجه لبنعض الانماط السلوكية المنحرفة.

٦ ـ **النقص الجسمي:** اذا تعرض الطفل المصاب بنقص جسمي للاستهزاء والسخرية يندفع تلقائياً للقيام ببعض التصرّفات العدوانية. ومن الطبيعي جداً اذا كان المجتمع يعامل الشخص المصاب بنقص عضوي معاملة المجرم فمن الطبيعي ان يفقد مثل هذا الشخص قدرته على المجابهة ويتّجه نحو انتهاج

العنف. وكلّما ازداد الاستيعاب النفسي لدى الاطفال، كانت هذه الظاهرة اقل شيوعاً بينهم.

٧ ـ وجود بعض السموم في البدن: اظهرت بعض الدراسات ان الكثير من الاضطرابات السلوكية للاطفال ناتجة عن وجود سموم في البدن او اضطراب الافرازات الهرمونية. ومظاهر هذه الحالة تبدو بارزة للعيان في مرحلة البلوغ، ولو شاء احد العثور على مجرمٍ محترف لأمكنه ويحاول الباحث عن مجرم محترف العثور عليه بين الاشخاص في مثل هذا السن.

ب ـ الاسباب النفسية:

بعض انواع الشغب عند الطفل له جذور ودوافع نفسيّة. وفيهذا الباب ثمّة مسائل كثيرة جديرة بالدراسة، الا اننا نشير الى اهمّها على الوجه التالي:

١ ـ اثبات الأفضلية: فقد ينطلق الشغب احياناً في سبيل اثبات الافضلية والتغلب على الصعاب والمعضلات التي تحزّ في نفس الشخص، اذ يحاول عن طريق الشغب فرض سطوته على الآخرين، ليحصل على حالة من الاستقرار والطمأنينة.

٢ ـ الشعور بالأمن: يلتجيء الطفل في بعض الحالات لاسلوب الشغب بسبب توهّمه ان وضعه الأمني عُرضة للخطر، وان متطلّباته الأساسية لايجري توفيرها، فيسعى لاثبات افضليّته واعادة صياغة مكانته من جديد. فاذا كان بوسع أولي الامر والمربين توفير مستلزمات امنه واستقراره فليبادروا الى ذلك ويبيّنوا له ان الكثير من المصاعب يمكن تذليلها.

٣ ـ اختبار القوّة: وفي بعض الاحيان لايستهدف الطفل من اثارة الشغب أي

غرض مؤذٍ، بل هي مجرد محاولة لاختبار مقدرته ومكانته ليرى الى أي حد يمكنه التعويل على قواه الجسمية. أو ربّما يقصد من ذلك معرفة التأثيرات والنتائج المترتّبة على أمرٍ ما. فالشغب في مثل هذه الحالة ما هو الا نوع من التمرين واختبار القدرة.

٤ ـ **الشعور بالذنب**: اذاكان الشخص يشعر بالذنب من موقفٍ ما فلا سبيل لمنع شغبه ما دام ذلك الشعور يخالطه ولم يعمل على محو آثاره. ومرادنا من ذلك ان نقول ان استشعار الذنب يؤجّج اللهيب لارتكاب مزيد من الذنوب. ولهذا فانَّ المسائل التي يجري التأكيد عليها تربوياً لاصلاح الاشخاص هي ازالة مخلفات الذنب. والتوبة في الاسلام من افضل الاساليب في اعادة بناء شخصية الانسان. فالشعور بالذنب عند الصغار والكبار حالة تنطوي على مخاطر جمّة ولابد من الاسراع في القضاء عليها.

٥ ـ **الاجهاد الذهني**: ينتج الشغب احياناً من جرّاء الاجهاد الذهني؛ فحينما يكون الطفل منهمكاً بعملٍ ما، وكل طاقته الفكرية منصبّة عليه فمن الافضل تركه وشأنه وعدم التدخل في امره اذ تبيّن من خلال التجارب ان الانسان في حالة الاجهاد الذهني يتّسم بحدّة المزاج. ومظاهر هذه الحالة يمكن ملاحظتها بوضوح في أيّام الامتحانات، فاذا تكرر الكلام مع الطفل أو صار زائداً ومفروضاً يضيق به ذرعاً.

٦ ـ **التعويض عن الشعور بالحقارة**: يمكن العثور على المثال العملي لهذه المسألة في حالة العاهة الجسدية أو النقص العضوي. فحينما يعاني الطفل من نقص أو عاهة ويتعرّض نتيجة ذلك للتأنيب والتقريع المتواصل ينزلق الى ممارسات منحرفة. او حينما يشعر بوجود منافسٍ له في الصف الدراسي يريد

ان يحتل مكانته نراه يتخلّف من الناحية الدراسية ويحقد عليه وقد يختلق معه نزاعاً يظهر من خلاله شغبه وعداءه.

٧ ـ الشعور بعدم القدرة على الدفاع: وهذا أيضاً نوع آخر من الشعور بانعدام الأمن الا انّه اكثر شدّة. اذ ان الانسان حينما يشعر بالضعف من جميع الجوانب وعدم القدرة على الدفاع عن نفسه يحاول مجابهة التهديد بكل قوّته ويبدي ازاءه سلوكية عدوانية متهوّرة.

يرى عالم التحليل النفسي (كارن هورناي) ان الطفل الذي يعاني من الضعف الجسمي وعدم القدرة على الدفاع ويعيش في اجواء مليئة بالرعب، يشعر على الدوام بفقدان الأمان، وقد يساهم حتّى والداه في اذكاء هذا الشعور من حيث لايعلمان. في مثل هذا الموقف يجد الطفل نفسه ملزماً بالدفاع عن ذاته وكيانه بكل ما اوتي من قوّة.

٨ ـ الاضطراب النفسي: وفي بعض الاوقات يتولّد الشغب والروح العدوانية من وجود خلل أو مرض نفسي، والطفل في مثل هذه الحالة مريض «وليس على المريض حرج». وشخص كهذا يحتاج بالضرورة ان تتخذ بشأنه الاجراءات الطبية المناسبة.

ج ـ الاسباب العاطفية:

بعض شغب الاطفال ناتج عن اسباب ودوافع عاطفية. توجد في هذا المجال مسائل ومصاعب كثيرة أيضاً نقتصر في ما يلي التحدث عن بعضها كالآتي:

١ ـ **إفراغ الانفعالات:** بعض الأطفال يثورون بشدة نتيجة القمع الشديد او قد تساهم مسألة ما في اندفاعهم نحو القيام باعمال الشغب. وبالطبع يتجسد الانفعال العاطفي في بعض الحالات بنحو هادىء وعلى شكل التحذير والتلويح بعبارات غير مستساغة.

٢ ـ **الشعور بالرفض:** أحياناً يندفع الأطفال وراء القيام بأعمال الشغب بسبب شعورهم بأنهم مرفوضون من قبل أولياء أمورهم أو مربيهم. فالطفل الذي يشعر، مثلاً، بأنه فقد حنان ورعاية أمه يسوء سلوكه فيميل نحو ممارسة العبث والشغب وايذاء الاخرين لعجزه عن تعويض هذا النقص.

٣ ـ **العقاب الشديد والمتكرر:** العقاب من وجهة النظر التربوية كالدواء الذي يجب تعاطيه في الوقت المناسب وبالمقدار المعيّن، لأن الاكثار منه، فضلاً عن إنه يفقد الدواء مفعوله، يترك مضاعفات سلبية على الشخص. وكذلك الأكثار من العقاب بالضرب؛ فانه لايصلح الطفل بل يدفعه الى التمرد والعناد والاصرار على الشغب أيضاً.

٤ ـ **الحرمان:** من شأن الحرمان لفترة طويلة من رعاية وحنان الأبوين، والشعور بمرارة فقدان الرعاية العاطفية لمختلف الأسباب أن تؤدي الى إصابة الطفل بهذه الحالة من الجنوح السلوكي.

٥ ـ **الانتقام والحقد:** أن ما يضيق به الطفل بشدة ويولد لديه الحقد والتفكير أحياناً بابداء ردود افعال عنيفة وصاخبة، هي كثرة الأوامر والنواهي من قبيل إذهب، تعال، إسرع، لا تتكلم وما الى ذلك.

٦ ـ **الغضب والجهل:** وبالتالي قد يندفع الطفل في حالات غضبه الشديدة

وجهله وفقدانه قدرته على ضبط النفس، الى القيام بتصرفات صاخبة تتجسد على شكل الانفعال العصبي والاقدام على الشغب.

د ـ الأسباب الاجتماعية:

وفي هذا المجال أيضاً، ثمّة مسائل جديرة بالذكر. رغم ان البحث لا يسع شرحها وتفصيلها في هذه الأسطر، الاّ اننا نشير الى بعضها فيما يأتي.

١ ـ **الاحساس بالظلم:** يلجأ الأطفال في بعض الأحيان الى ممارسة الشغب نتيجة احساسهم بأنهم يتعرضون الى الظلم والاجحاف من قبل الآخرين. فهم يشعرون مثلاً في البيت أو المدرسة ان الظلم والتمييز يحولان بينهم وبين حقوقهم وممارسة حرياتهم. ليس من شك في ان هذا الاحساس لدى الطفل كلما أشتد، يشتد معه اندفاعه نحو ممارسة الشغب والاعتداء.

فقد يقبل الأطفال مبدأ العقاب على افعالهم الخاطئة من قبل الآباء والمربين. لكنهم إذا شعروا ان ما يتعرضون له من عقاب يفوق ما أقدموا عليه من خطأ. من حيث الشدة والحزم فإنهم يجنحون نحو ممارسة الصخب والشغب كتعبير عن الرفض لما يلحق بهم من ظلم.

٢ ـ **تدخل الوالدين:** لا اعتراض على صحة مراقبة الوالدين لسلوك وتصرفات الأطفال، الا ان ما هو خطأ وضار هو تدخلهما المتزايد في شؤونهم. فالكثير من الأطفال يستغرقون في اللعب واللهو بألعابهم، فيسعى البعض من الآباء والمربين الذين يشعرون بالقلق عليهم، الى فرض المراقبة الصارمة عليهم من خلال الالحاح عليهم بالأوامر والنواهي والتوجيهات، الأمر الذي يؤدي الى ضيق الأطفال بهم والجنوح نحو العناد والمشاغبة.

٣ ـ **لفت الإنتباه:** يرغب الأطفال احياناً في الفات انتباه الآخرين والتباهي أمامهم من خلال القيام بافعال وتصرفات صاخبة وغير طبيعية. وهذه المسألة تصدق على الأطفال الذين يعانون من النقص والحرمان في بعض نواحي حياتهم.

٤ ـ **الفراغ:** بعض الأحيان يعاني الطفل من الفراغ لعدم تيسر ما يلهو به من الوسائل المسلّية أو لديه مثل هذه الوسائل لكنه يمنع من اللعب بها. وهذه المسألة بحد ذاتها تولد لديه عقداً نفسية تضغط عليه وتدفعه الى التعبير عنها باللجوء الى الايذاء والشغب.

٥ ـ **المحاكاة:** وأحياناً قد يكون الشغب ناشئاً عن التقليد الخاطىء لافعال وتصرفات الآخرين. وبعبارة أخرى، يندفع الطفل الى محاكاة ما يلاحظه هنا وهناك من تصرفات وسلوكيات خاطئة أو ما يشاهده عبر البرامج التلفزيونية من هذه المشاهد. فقد لوحظ في حالات كثيرة مشاهد عديدة لممارسة العنف كانت في الاساس ناتجة عن مثل هذا التقليد الخاطىء، وما دعوتنا الى تجنيب الأطفال مشاهدة حالات العنف الآ لهذا السبب.

٦ ـ **المنع الشديد:** أحياناً يؤدي المنع الشديد من قبل الأب أو الأم من شيء معين الى أن يحرص الطفل عليه ويصر على تحقيقه بكل الوسائل المتوفرة لديه. وهذه النقطة المهمة جديرة بالالتفات اليها وهي أن الدافع الذي يدفع الأطفال نحو الجنوح الى الشغب والصخب هو الرغبة في إزالة الموانع عن طريقهم، والمطلوب من الوالدين أن يفسحا المجال امام رغباتهم بغية تحقيقها.

٧ـ **الشقاء:** وبالتالي يحصل الجنوح نحو ممارسة الشغب أحياناً بسبب شعور الطفل بالشقاء العميق الذي يعجز عن مغالبته، وقد يكون هذا الشقاء ناتجاً عن

إهتمـام الأبويـن بطفـل آخر وإهماله هو، أو بسبب ابدائهما مـلاحظة تـمس شخصيته بشكل سلبي. على أية حال، قد يندفع الطفل الى التفوه بعبارات غير مؤدبة أو يجنح الى العنف والشغب، اذا ما لاحظ موقفاً لايتوقعه من الشخص الذي يحبه.

الحالات التي يزداد فيها الشغب

هناك حالات كثيرة يزداد فيها شغب الأطفال أو يبلغ فيها الجنوح ذروتـه. وسنشير فيما يأتي الى بعض هذه الحالات:

ـ الحالات التي يكون فيها الطفل في موقف صعب ومحرج ويعجز فيه عن الدفاع عن نفسه وعن شخصيته.

ـ الحالات التي يشعر فيها الطفل بآلام الذكريات المريرة المترسبة في نفسه، وتزامن هذا الشعور مع تعرضه الى الضغوط.

ـ الحالات التي يدلي فيها الطفل بتصريح ما، فهو يبغي من ذلك اشباع غروره وإثبات شخصيته، وتكذيب الآخرين له.

ـ وأخيراً، ينبغي عدم تجاهل دور وتأثير الطعام في هذا المجال، حيث تترك بعض الأطعمة والمداومة عليها اثاراً سلبية على سلوك الانسان. وهـذا الرأي يقرّه علم النفس الغذائي، ويدعي المختصون فيه أن للأطعمة دورها وتأثيرها في البناء الروحي والنفسي للأشخاص ويقولون «قل لي أولاً ماذا تشتهي أقول لك من أنت».

كما وقد أبدى الاسلام أيضاً أهمية متزايدة لمسألة الطعام، وأيد ما مر ذكره في هذا المجال. فقد جاء في حديث للإمام الرضا عليه السلام:

(ما مفاده): ان شرب الدم يورث سوء الخلق وقساوة القلب.

وبالطبع أن هناك عوامل أخرى أيضاً تساهم بشكل وبآخر في زيادة واشتداد الاندفاع نحو الشغب، من قبيل الأنانية المفرطة، وحب الذات والشعور بالاهانة، وكدورة المزاج و....الخ.

دور الأسرة

من بين العوامل العديدة التي تساهم في دفع الأطفال الى الجنوح نحو الشغب واستفحاله، هناك عاملان يلعبان دوراً استثنائياً في هذا المجال هما:

١ ـ الاسرة التي لها دور متزايد في هذا المجال وتتسبب في نقل عدوى الكثير من العادات السيئة، والاحقاد، والعقد، والسلوكيات الخاطئة الى الأبناء. فالاجواء الأُسرية التي تشهد على الدوام حالات النزاع والتشاحن والشجار، لا يمكن للأطفال ان يتمتعوا بأخلاق وسلوكيات سويّة وسليمة، بل انّهم يسعون بطبيعة الحال الى العثور على سبيل أو وسيلة لينفّسوا من خلالها عن عقدهم النفسية ويريحوا انفسهم بذلك.

٢ ـ كما وتلعب وسائل الاعلام أيضاً دوراً مؤثراً جيداً في هذا الخصوص، لأن الأطفال عادة يتأثرون بما يشاهدونه في التلفزيون من الافلام، وما يسمعونه من الراديو، وما يقرأونه في الكتب، ويحاولون محاكاته وتطبيقه على أرض الواقع. فهناك بعض البرامج التلفزيونية ليست معدة للاطفال وينبغي عدم السماح لهم بمشاهدتها كالبرامج التي تدور أحداثها حول العنف.

مضار وأخطار الشغب

تأتي أعمال الشغب بمضار وأخطار عديدة للأطفال والمحيطين بهم لا يسع

مجال البحث تناولها من جميع الأبعاد، إلاّ أن ما يمكن الأشارة اليه هنا هو: ان الشغب، في حال تجذّره في الطفل يخلق له وللمحيطين به مشاكل وصعوبات جمة، وقد يؤدي به الى إلحاق الاذى والضرر بنفسه وتعريض مستقبله الى خطر العجز عن الانسجام والتكيّف مع المجتمع في المدى المنظور.

ضرورة الاصلاح

ولهذا فمن الضروري المبادرة الى إصلاح سلوك الطفل باسرع ما يمكن وعدم التهاون في ذلك، لأنه في حال تجذر هذه الحالة فيه واعتياده عليها بمرور الزمن، تواجه عملية إصلاحها صعوبات جمة قد تصل الى حد الاستحالة.

ويمكن تناول هذه الضرورة من جوانب عديدة وعلى النحو التالي:

١ ـ **فيما يتعلق بالطفل شخصياً**: باعتباره عضواً في المجتمع، ومن حقه ان يتمتع بحياة متوازنة وطبيعية وسعيدة. ومن فوائد الاصلاح التي تعود على الطفل شخصياً عدم تعرضه للعنف من قبل الآخرين في المستقبل بسبب عنفه.

٢ ـ **فيما يتعلق بالوالدين**: ان اذى وضرر الاطفال المشاغبين يطال حتّى والديهم أيضاً، ولايمكن لهما ان يعفيا أنفسهما من ذلك، فما أكثر الأباء والأمهات الذين يتعرضون الى الضرر والأذى على يد اطفالهم الجانحين نحو الشغب والعنف.

٣ ـ **فيما يتعلق بالآخرين**: قلنا أن وجود المشاغب في محيط ما، يجلب الإزعاج للجميع. فعندما يدخل المشاغب الى المدرسة مثلاً، فإنّه لاينجو من أذاه وشغبه أي زميل من زملائه.

امكانية الاصلاح

اما فيما إذا كان بالإمكان إصلاح هذه الحالة أم لا فالجواب هو:
يمكن إصلاحها الى حدود كبيرة لأنها حالة عرضية، وذلك عن طريق اتباع اسلوب بنّاء وهادىء في التعامل مع الطفل.

الاّ انه ومع ذلك يجب الأخذ بنظر الاعتبار ان الأطفال ليسوا مادة شمعية او معدنية كي يكونوا قابلين للتغيير مائة بالمائة وفي المقابل فهم ليسوا بالشكل الذي يستعصي سلوكهم على الاصلاح والتقويم.

لقد اثبتت الدراسات العلمية والتجارب اليومية بلوغ نسبة النجاح في عمليات الاصلاح نسبة عالية. ولذا فعلى العوائل التي لديها أطفال يعانون من هذه الحالة ان تطمئن ولا تقلق بهذا الشأن لأنّ من السهل إصلاحهم.

الا ان ما يبعث على القلق قليلاً هو دخول مثل هؤلاء الاطفال في مرحلة المراهقة قبل ان تزول منهم حالة الشغب، ومع ذلك ينبغي عدم القلق كثيراً حتى في هذه المرحلة، لأن الشغب حالة يمكن مكافحتها وإصلاحها حتى في هذه السن أيضاً.

معرفة الأسباب

في سبيل إصلاح الانحرافات السلوكية لدى الأطفال، خصوصاً الشغب، ينبغي قبل كل شيء الاهتداء الى معرفة السبب أو الاسباب الكامنة وراء ذلك. ينبغي معرفة السبب الذي أدى الى إصابة الطفل بمثل هذه الحالة، اهو المرض؟ أم التربية؟ أم الحرمان؟ أم غير ذلك.

ان معرفة الأسباب تعد بحد ذاتها عوناً ومرشداً في طريق العلاج والاصلاح. وبطبيعة الحال هناك أساليب وطرق للاصلاح تختلف باختلاف الأسباب.
وفي سبيل التعرف على الأسباب، يمكن دراسة ظروف حياة الطفل العائلية والاجتماعية والدراسية وما قد يكون عانى منه من حرمان عاطفي أو امراض وما شابه ومن ثم المبادرة الى علاجه على اساسها.

أساليب الاصلاح

وفيما يرتبط بالأساليب والطرق التي ينبغي اتباعها في سبيل إصلاح مثل هذا الطفل، نشير الى بعض المسائل فيما يأتي، ولاتفوتنا قبل ذلك الأشارة الى ان لكل أب وأم تجارب عملية ناجحة خاصة به في هذا المجال عليه أن يستمر عليها في معالجاته وتعامله مع الأطفال:

١ ـ التوعية: والمقصود من التوعية هو بيان الصحيح من التصرفات والأفعال. ان من المسلّم به أن الطفل يولد جاهلاً بشؤون الحياة واصولها، وواجب تعليمه وتربيته يقع على عاتق الوالدين والمربين والمعلمين. ومن غير ذلك لايمكن توقّع الخير والصلاح منه.

٢ ـ التوجيه: يجب مراقبة سلوك وتصرفات الطفل وتوجيهه وارشاده في الحالات التي يحاول فيها الخروج عن توازنه من خلال التوضيح له مثلاً بأن التصرف المعيّن خطأ وينبغي تجنبه. ولاضير من تكرار الملاحظات وابداء التوجيهات في هذا المجال. ويزداد تأثيرها في حال بناء علاقات عاطفية وحميمة مع الطفل.

٣ ـ الارشاد الى سبل التحمل: لاتكفي دعوة الطفل الى التحمّل وضبط النفس

لوحدها، بل يجب إرشاده الى السبل التي تعينه على ذلك، فعلى سبيل المثال يمكن إرشاده الى ضرورة تغيير مكانه، في حال شعوره بالغضب، والانتقال الى مكان آخر أو مضغ شيء من الطعام.

٤ ـ **العلاج الطبي**: وفي بعض الحالات يمكن ان تكون الامراض العضوية والنفسية سبباً للجنوح نحو الشغب. ومن الضروري هنا المبادرة الى معالجته طبيّاً بأسرع ما يمكن.

٥ ـ **توجيه الشغب**: واحياناً يمكن توجيه النزوع نحو الشغب باتجاه الألعاب الرياضية والأعمال المفيدة. أن من شأن ذلك ان يهدىء حالته ويصلح سلوكه.

٦ ـ **سرد القصص**: يمكن توجيه الطفل وإرشاده من خلال سرد القصص المفيدة والبناءة في هذا المجال.

٧ ـ **الوثوق من حب الوالدين**: قلنا فيما مر أن من جملة العوامل التي تساهم في إصابة الطفل بالانحراف السلوكي هو شعوره بفقدان عاطفة وحنان الوالدين. لذا فان من شأن ابداء الوالدين لحبهم واهتمامهم بالطفل والتعبير عن ذلك بطرق عملية وملموسة، ان يعيد له الثقة في هذا المجال ويساهم في إصلاحه.

٨ ـ **التوضيح**: يجب توعية الطفل، عند قيامه بعمل غير صحيح، ان ما أقدم عليه هو تصرف خاطىء ومرفوض وينبغي له الامتناع عنه وعدم العودة اليه مرة أخرى.

٩ ـ **الحرية النسبية**: ان من المسائل المؤثرة في التربية هو ترك الحرية النسبية للأطفال، وعدم فرض القيود المشددة عليهم.

ان من شأن هذه الحرية النسبية ان تترك أثاراً ايجابية كثيرة على الوضع النفسي والسلوكي للطفل.

١٠ ـ **المواجهة بالمثل:** من غير الصحيح مواجهة صخب وعنف الطفل بالمثل لأن ذلك تأثيراً سلبياً على سلوكه، الا انه في بعض الأحيان يكون من الضروري استعمال الشدة والحزم معه خصوصاً في الحالات التي يركب فيها رأسه ويصرّ على الامعان في الايذاء والصخب.

وبالطبع يجب القيام بذلك باسلوب هادف يرمي إعادته الى رشده وليس الحاق الأذى به. فقد دلّت التجارب على نجاح هذه الطريقة بنسب كبيرة.

١١ ـ **التشجيع على اللعب:** في بعض الحالات يكتسب تشجيع الأطفال على اللعب أهمية كبيرة في هذا المجال، بشرط وضعهم تحت الرقابة لئلا يسببون الأذى والضرر لأنهم يتعلمون من خلال اللعب دروساً في الانضباط والأخلاق والانسانية وفي أُصول المعاشرة والتعايش مع الآخرين.

١٢ ـ **الفصل عن الآخرين:** من الضروري في الحالات التي يمعن فيها الطفل في الأذى والضرر اثناء اللعب ان يُبادر الى فصله عن الآخرين، مع توعيته بأسباب ذلك. لقد دلت التجارب على ان أخطر الأطفال يمكن ترويضهم واعادتهم الى رشدهم وإصلاح سلوكهم عن هذا الطريق.

١٣ ـ **الإلهاء:** يفضل في حالات معينة إلهاء الطفل عن طريق إشغاله ببعض الاعمال والبرامج المسلّية من أجل أن لايجد فراغاً يجعله يجنح نحو الصخب والشغب. فالاطفال عادة يمتنعون عن الصخب والضوضاء إذا وجدوا شيئاً يملأون فراغهم بواسطته، ويسعون للتعبير عن شخصياتهم بأشكال أخرى.

١٤ ـ **المقاومة:** أحد الاسباب التي تدفع الأطفال نحو ممارسة الشغب والايذاء هو عثورهم على أشخاص ضعفاء لايبدون أيّة مقاومة أمام الاعتداء. ونعتقد ان من المفيد لمعالجة هذه الحالة تشجيع الأطفال الذين يقع عليهم

الاعتداء على ابداء المقاومة والدفاع عن النفس بوجه اعتداءات هؤلاء من اجل ايقافهم عند حدهم. لقد أثبتت التجارب جدوى وفائدة هذه الطريقة.

١٥ ـ طلب الاعتذار: يجب على اولياء الأمور والمربين ان يطلبوا الى الطفل المشاغب الأعتذار الى الطفل الذي تسبب في اذاه. وفي حال امتناعه عن الأعتذار يجب معاقبته بطرده وعدم السماح له بمواصلة اللعب مع الآخرين. ان من شأن الضغط على الطفل واجباره على الاعتذار وإعادة الشيء الذي اخذه عنوة الى صاحبه ان يعيده الى رشده وصوابه.

١٦ ـ التهديد والتحذير: في حال إمعان الطفل في الشغب والايذاء، وعدم جدوى التوجيه والارشاد، يفضل اللجوء معه الى اسلوب التهديد والتحذير وإخباره بالعواقب التي تنتظر إصراره على افعاله، وإعادته الى رشده عن هذا الطريق.

١٧ ـ الضرب: يجب تفهيم الطفل بالقول مثلاً انني لا اسمح لك بضرب أحمد مثلما، كما لا اسمح للآخرين بضربك أنت، وفي حال عدم جدوى وتأثير مثل هذا الأسلوب، يمكن اللجوء الى الضرب من أجل ان يذوق مرارة الايذاء ليرتدع عنه، وبالطبع لابد لأولياء الأمور والمربين الواعين ان لايدعوا الأمور تصل الى هذا الحد. لأن عملية تغدو الاصلاح صعبة.

١٨ ـ التحويل الى دار التأهيل: يعتقد بعض المربين بوجوب تحويل الطفل الى دار إعادة تأهيل الجانحين في حال عدم جدوى وتأثير الأساليب المذكورة في إصلاح سلوكه، ويقولون ان أخطر الأطفال يمكن إصلاح سلوكهم في هذا المكان.

الا اننا نعتقد ان من الخطأ القيام بذلك وهو ان دل على شيء فانما يدل على امور أخرى، فان من شأن مثل هكذا اجراء ان يترك على الطفل اثاراً عاطفية سلبية تبقىٰ ملازمة له مدىٰ الحياة. ان للاسلام حلوله الخاصة في التعامل مع الابعاد العاطفية لمشاكل الأطفال ويرى انه لابد ان تتم معالجة انحرافات الاطفال وإصلاح سلوكهم على ايدي اولياء الأمور وفي داخل محيط الأسرة.

١٩ ـ **التغيير**: لاشك في ان تغيير الأجواء، وتغيير المدرسة، ونقل محل السكن من منطقة الى اخرى، والقيام برحلات ترفيهية الى هنا وهناك، أثاراً ايجابية كبيرة في إصلاح سلوك الطفل.

توصيات:

في سبيل إصلاح ومعالجة الانحرافات السلوكية لدى الاطفال يجب على اولياء الأمور والمربين ان يضعوا نصب أعينهم الملاحظات التالية:

١ ـ ان من أولى وأهم النقاط في أمر التربية هي معرفة الوالدين للفلسفة التي يريدان أن يبنيا على اساسها مستقبل حياتهما وحياة ابنائهما، وتشخيص الكيفية التي يتطلعان الى ان ينشأوا عليها وما إذا كانا يريدان لهم ان ينشأوا مطيعين او عنودين، هادئين أو غير هادئين، خجولين أو جسورين، خاملين أو نشطين، وغير ذلك. فما لم تشخّص هذه المسائل لايمكن ان تكون التربية ناجحة وصحيحة بأي حال من الأحوال.

٢ ـ ان التحمل يحلّ بذاته نصف المشاكل؛ لذا لابد من السعي ما أمكن للتعامل مع السلوكيات المنحرفة للأطفال بهدوء وأناة وصبر في سبيل الاصلاح والتقويم.

٣ـ لا يمكن اصلاح انحرافات الأطفال السلوكية من خلال الغضب والصياح، والسبيل العملي والمفيد للتعايش معهم هـو الاصـلاح عـن طـريق التـوجيه والارشاد تارة، والتهديد والوعيد تارة اخرى، وبتجاهل الأمر حيناً آخر.

٤ ـ يجب ان يكون التعبير عن مشاعر الحب تجاه الطفل متواصلاً، وان لا يقال له أبداً انني لا أحبك لأنك مؤذٍ ومشاغب، وانما يجب ان يقال له انني أحبك كيف ما كنت ولكن ينبغي ان تكف عن الشغب والاذىٰ واذا كففت عن ذلك وعدت هادئاً وديعاً فان محبتك تتضاعف عندي.

٥ ـ ينبغي ان يعيش الطفل في اجواء هادئة، وبعيدة عن الضوضاء والصياح من أجل ان يتطبع على الهدوء والوداعة في حياته.

أخيراً عند التعامل مع السلوكيات المنحرفة لدى الأطفال من أجل إصـلاحهم يجب الأخذ بنظر الاعتبار الأمور التالية:

ـ تجنب التعذيب والايذاء لأن ذلك يزيد من قساوة قلبه.

ـ تجنب الضرب المبرح والمتكرر، لأن ذلك يمحو أثر التربية ويدفع الطفل باتجاه الانتقام.

ـ تجنب الغضب والصياح، لأن هذه الحالة تدل على الضعف وعـدم ضـبط النفس، وبالتالي فهي درس خاطىء بالنسبة للطفل.

ـ تجنب اطلاق الالقاب والأسماء الشريرة على الطفل، لأن ذلك يؤدي الى تثبيت الحالة لديه.

ـ تجنب التصعب والتشدد مع الطفل فيما يخص المأكل والملبس والمعاشرة، لأن ذلك يولد لديه الحقد والضغينة.

ـ وبالتالي تجنب عدم الاكتراث وإهمال تربيته.



نزعة التخريب لدىٰ الأطفال

تقديم

يعد نزوع الأطفال نحو التخريب من المسائل التي تعاني منها غالبية الأسر، حيث يتسبب في كثير من الأحيان بايجاد المتاعب والأضرار للأسرة والمجتمع.

ويُلاحظ ان مثل هكذا أطفال ما ان يقع نظرهم على شيء، سواء في خلوتهم او مع الأخرين، حتى يُبادروا الى تخريبه وتحطيمه. ولا يعني هذا انهم يتّصفون بالغباء دائماً، بل قد تكون درجات عالية من الذكاء، لكنهم رغم ذلك يقدمون على مثل هذه الأفعال التي لا يستسيغها عاقل.

ومن صفاتهم أنهم يسعون دائماً الى تخريب كل ما تقع عليه اعينهم ـ فتراهم أحياناً يمزقون قطعة قماش تكون في متناولهم، أو يحطمون صحناً، أو يمزقون اوراق الجدران، ويعبثون بستائر البيت، وبالكتب وما شابه ذلك.

أشكال التخريب

لا يقتصر التخريب على صورة محددة ويتلبس باشكال وصور متنوعة وعديدة، فقد يحصل في بعض الحالات على شكل أفعال وتصرفات تثير غضب وانزعاج الوالدين والأخرين، من قبيل فتح وغلق الأبواب، والعبث بالملابس او المكواة وخلق الضوضاء بالصياح، او ايذاء طفل صغير وابكائه من خلال ضربه أو خطف شيء ما من يده او العبث بألعابه.

وجود التخريب

لهذه الظاهرة طابع عمومي، ويمكن ملاحظتها عند اغلب الأطفال. ولكن الوجود لها بشكلها الحاد، الذي يزعج اعضاء الأسرة بشدة ويثير غضبهم، الا داخل أسر معدودة وتوجد هذه الحالة بين الذكور والاناث معاً. ويبدو أنها تزيد من حيث النسبة والشدة بين الذكور ولعل مرد ذلك هو الوضع التربوي الخاص للذكور والذي يجعلهم اكثر جرأة على التخريب وأقل اكتراثاً بعواقبه من الاناث.

وتدل هذه الحالة وخصوصاً عندما تكون حادة، على وجود اضطرابات نفسية شديدة يعاني منها الطفل، ويمكن معالجتها بعد الاهتداء الى معرفة اسبابها ودوافعها.

التخريب والنمو

يجب التمييز بين التخريب الناتج عن النمو وبين التخريب العمدي الاطفال يسعون عادة، في مراحل نموهم، الى العبث واللعب بكل شيء بهدف الاهتداء الى معرفة كنهه واسراره، وهذه حالة طبيعية لا ينبغي اعتبارها نزوعاً نحو التخريب

فالنمو العضوي والنفسي السريع للطفل في مثل هذه المراحل يدفعه الى الحركة والنشاط المستمر بهدف الاطلاع على حقائق واسرار الاشياء، دون ان يكون لذلك علاقة بالنزوع نحو التخريب والى ذلك فالمقصود هو ان عبث الطفل بالأشياء وتخريبه اياها ليس ناتجاً عن نزعة التخريب دائماً، وانما هو حالة طبيعية ناتجة عن النمو وحب التطلع.

التخريب والجهل

ينبغي الالتفات الى هذه النكتة وهي انه لا يمكن اعتبار عبث الطفل بشيء ما وتخريبه او تعطيله عن جهل، بأنه نزوع نحو التخريب. وكذلك يجب عدم اعتبار رميه لشيء ما وتحطيمه تعبيراً عن غضبه بأنه تخريب إذا عُلِمَ أنه يجهل قيمته.

نعم يمكن اعتبار مثل هذا التصرف من قبل الطفل نزوعاً نحو ممارسة التخريب متى ما عُلِمَ بأنه فعل ذلك عن عمد وسابق معرفة.

ان اتهام الطفل بالتخريب في مثل هذه الحالات، يعد حكماً ظالماً، وينمّ عن الجهل بالتربية، وقد يؤدي الى خلق عقد نفسية لديه، والاندفاع الى تكرار نفسى الفعل عن عمد وإصرار.

التخريب وعدم الاحتراز

يحب التمييز بين الفعل الذي يحصل بقصد التخريب الفعل الذي يصدر سهواً وبسبب عدم الاحتراز فهناك من الأطفال مثلاً من يستغرق في اللعب فيرمي في هذه الأثناء شيئاً فيتحطم دون أن يقصد ذلك.

ان هذه المسألة حالة طبيعية تحصل حتى معنا نحن الكبار. فبسبب الجهود التي نبذلها في أعمالنا اليومية، يحصل أحياناً ان نتسبب في تحطيم اشياء ثمينة.. كأقداح الشاي مثلاً دون ان نعده ميلاً او نزوعاً من لدنا نحو التخريب لأننا لم نكن نقصد ذلك.

هدف التخريب

وعلى هذا فان لنزعة التخريب لدىٰ الأطفال هدفاً خاصاً ومقصداً معيناً

يحاولون تحقيقه عن هذا الطريق في غفلة من اولياء الامور والمـربين. وقـد تكون هذه الاهداف مختلفة ومتنوعة، فالطفل يلجأ الى التخريب العمدي بهدف:

- تحطيم القيود التي يفرضها عليه الوالدان.
- ابراز غضبه وعدم رضاه عن امرٍ ما.
- الثأر من الأخ أو الأُخت التي وردت حديثاً الى الاسرة وخطفت منه حب وحنان الوالدين.
- ازالة الموانع التي تحول بينه وبين القيام بما يحلو له.
- التنفيس عن عقده النفسية الناتجة من بعض الامور.
- إلفات نظر الأبوين الى ضرورة الرعاية والاهتمام به اكثر.
- الفات انتباه الاشخاص الغافلين عنه.
- افراغ انفعالاته النفسية.
- التحري والتقصي.
- املاء الفراغ بشكل وآخر.

تحليل نفسي

يمكن تحليل هذه الحالة نفسياً من عدة وجوه. فبشكل عام يُعتبر التخريب نوعاً من السعي الذي يبذله الطفل من اجل التنفيس عن اضـطرابـاته النـفسية وأحياناً يلجأ الطفل الى التخريب من أجل ان يثبت سـيطرته عـلى الأخـرين عملياً، ويُظهر مدىٰ قدرته على فرض هذا الأمر الذي لا يعترفوٰن به.

يرضي الطفل بذلك نفسه، ويشعر في الواقع ان ميوله تتطابق مع مقتضيات

معينة للحياة الاجتماعية ـ كما ويشعر من خلال ممارسة التخريب بالانجاز والرضا عن النفس والتخلص من الشعور بالضعف.

الأسباب والدوافع

فيما يخص اسباب ودوافع التخريب لدى الأطفال، فقد أشرنا اليها بشكل عام فيما مر ولعرض مزيد من التفاصيل، لابد من تناولها على النحو الآتي: ـ

أـ الأسباب النفسية:

في الواقع ان نزعة التخريب عند الاطفال جذوراً نفسية فالطفل لا يقدم على التخريب عملياً الّا بعد ان يكون قد ورد على ذهنه وخطط له مع نفسه. ومن شأن شعور الطفل بحاجة الى شيء ما والحرمان من شيء أن يدفعه الى التخريب ـ ونشير فيما يلي الى بعض هذه الأسباب:

١ ـ **التحري**: قلنا ان الطفل يلجأ احياناً الى التخريب بسبب حب التحري والتقصي ومعرفة حقيقة الأشياء، دون أن يقصد التخريب لذاته.

٢ ـ **الحساسية**: الطفل بطبيعته حساس ازاء الاشياء التي يراها امامه، ومن مقتضيات نموه هو سعيه الى العبث بالاشياء وتجريبها وأحياناً تخريبها. فالطفل عادة يكون مغرماً بمعرفة ماذا سيحصل لو فعل الشيء الفلاني وماذا سيترتب على ذلك وهذا ما يدفع الوالدين لاتّهامه بالنزوع نحو التخريب.

٣ ـ **الخيال الطفولي**: في بعض الأحيان يعبث الأطفال بشئ ما بهدف إرضاء خيالاتهم الطفولية، لأن الأطفال يتمتعون بقدرة فائقة على التخيل حتى انهم قد يبنون في خيالهم قصوراً في القمر، ويصنعون اجنحة يطيرون بها في السماء.

ومن هنا فانهم قد يقدمون على التخريب من اجل تحقيق اوهامهم وتخيلاتهم.

٤ ـ **حب الاستفراد:** وقد يلجأ الطفل الى التخريب أحياناً بسبب رغبته في الاستفراد بتملك شيء معين دون ان يستطيع تحقيق ذلك. وفي الواقع كانه يقول بذلك: اذا متُّ ظمآناً فلا نزل القطر.

٥ ـ **الاضطراب:** واحياناً قد يمارس الطفل التخريب بسبب نوع من الاضطراب النفسي الذي يخرجه عن توازنه ويفقده السيطرة على إرادته

٦ ـ **الأسباب العاطفية:** الكثير من الممارسات التخريبية لها اسباب وجذور عاطفية، وبعبارة اخرى يلجأ الطفل أحياناً الى ممارسة التخريب لأنَّ شيئاً ما يجرح عواطفه ويمكن الاشارة في هذا المجال الى مسائل عديدة منها: ـ

أ ـ **افراغ الانفعالات:** يلجأ الاطفال أحياناً الى التخريب بهدف افراغ انفعالاتهم النفسية. وهذه المسألة تعد من وجهة النظر العلمية نوعاً من رد الاعتبار. فمثلاً يلجأ الطفل الغاضب بسبب التأنيب أو التوبيخ او الضرب الى التخطيط في عالمه الخيالي للثأر ورد الاعتبار لكنه عندما يعجز عن تنفيذ مخططه في الواقع، يندفع بشكل لا ارادياً الى ممارسة الشغب والتخريب للتنفيس عن غيضه.

ب ـ **الحسد:** واحياناً يقدم الطفل على التخريب تعبيراً عن الحسد والاحتجاج على اهتمام الأخرين بطفل أخر اكثر منه.

ج ـ **اليأس:** الطفل يبني عادةً آمالاً كبيرة على أبويه ويعتبرهما الملجأ الأول والأخير في حياته، ومن هنا إذا شعر في وقت ما انهما لا يعيرانه أهمية ويبخلان عليه بالعطف والمحبة، يُصاب باليأس والاحباط، ولا يُعد يكترث لعواقب أفعاله وتصرفاته.

د ـ **إظهار الغضب**: كيف يعبر الطفل الغاضب من والديه وذويه عن غضبه؟ في بعض الحالات يكون الطفل غاضباً بشدة ولا تسعفه الفاظه للتعبير عن غضبه بالكلام، فيلجأ للتعبير عن ذلك الى ارتكاب اشد الأفعال التخريبية.

ج ـ الأسباب الاجتماعية

ان قسماً من الاضطرابات النفسية لدىٰ الأطفال وما يتمخّض عنها من اتّجاه نحو التخريب لها أسباب وجذور اجتماعية، وتقتضي المبادرة الى معالجتها عن هذا الطريق. ونشير في هذا المجال الى بعض المسائل التي يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار:

١ ـ **العلاقات غير الطبيعية**: يدل اندفاع الطفل نحو ممارسة العنف والتخريب أحياناً على عدم سيادة علاقات طبيعية في الأسرة التي يعيش في وسطها. بمعنى عدم انسجام الأبوين وبقية اعضاء الأسرة، وحصول المشاحنات والشجار المستمر بينهم، الامر الذي يقلق الطفل بشدة، ويدفعه الى التعبير عن غضبه وعدم رضاه عن ذلك باللجوء الى اعمال الشغب والتخريب.

٢ ـ **العقاب الشديد**: ان من شأن العقاب الشديد والمفرط ان يوتّر اعصاب الطفل ويدفعه الى البحث عن سبيل ينفس من خلاله عن كبته النفسي ومن هنا فانه يُبادر الى التخريب والايذاء تعبيراً عن رفضه لهذه الحالة.

٣ ـ **الاضطرار**: يجد الطفل نفسه أحياناً في وضع حرج لا يعرف سبيلاً للتخلص منه، فيلجأ مضطراً الى ممارسة الشغب والتخريب. ويمكن ملاحظة هذه الحالة عند الاطفال الذين يُجبرون على حضور مجلس ما في الوقت الذي يكونون فيه راغبين في الخلود الى النوم والراحة، او عند اولئك الذين يوضعون في المدرسة من دون رغبة منهم في ذلك.

٤ ـ **التسلية**: وأحياناً يحصل التخريب بهدف التسلية وملء الفراغ. فعندما لا يجد الطفل ما يُشغل به نفسه، بينما يكون الاخرون منهمكين في أعمالهم، يلجأ الى التخريب لاشغال نفسه. ومن مظاهر هذه الحالة: التخطيط والكتابة على الجدران، والعبث بالكراسي والمناضد، وتوريق الكتب وتمزيق أوراقها، وتخريب شيء ما والعمل على إصلاحه و... وهو بالطبع يجيد التخريب لكنه لا يُجيد الاصلاح.

٥ ـ **لفت الأنظار**: هذه المسألة نفسية واجتماعية في نفس الوقت فعندما يجد الطفل أبويه وذويه منهمكين في شؤونهم أو يتجاذبون اطراف الحديث مع بعضهم، وليس هناك من يُعيره أهمية، يشعر بالحاجة الى لفت نظرهم بنحو وآخر، فيلجأ الى العبث والتخريب. ويمكن ملاحظة هذه الحالة عند الأطفال الصغار أكثر من غيرهم.

٦ ـ **محو أثار الخطأ**: يُلاحظ أحياناً ان الطفل يرتكب خطأ معيناً فيتصور انه سيُعاقب عليه، فيلجأ الى التخريب عن جهل بهدف محو أثار خطئه. نحن نعرف أطفالاً تبلغ أعمارهم ٦ ـ ٧ اعوام لا يستطيعون السيطرة على إدرارهم أثناء النوم، ويتبوّلون في فراشهم، ويسكبون وعاءً من الماء عليه أجل ان يوحوا الى امهاتهم بأن البلل الحاصل في الفراش انما هو بسبب الماء!

د ـ الأسباب الشخصية:

وأحياناً يكون لنزوع الأطفال نحو التخريب أسبابٌ شخصية ذات أبعاد واسعة، واذا شئنا ان نتناولها بالبحث والتحليل فاننا تكون بحاجة الى إفراد بحث منفصل في هذا المجال. الاّ أن ما يمكن الإشارة اليه هنا بايجاز هو ما يلي: ـ

١ ـ العصبية: أحياناً يصدر الفعل التخريبي من الطفل باندفاع حاد وشديد. ويدل هذا على أنه يعاني من مرض عصبي شديد، ومن هنا فعلى اولياء الأمور والمربين الالتفات الى هذه الحقيقة وهي أن الأمراض العصبية لا تختص بالكبار فقط، بل هناك بعض الأطفال أيضاً يعانون من هذه الحالة بسبب العوامل الوراثية أو بسبب تأثيرات الأجواء المحيطة بهم. وعلى اية حال فمن شأن العيب في شخصية الطفل اياًكان سببه ان يُساهم في اندفاعه الى أعمال التخريب.

٢ ـ الثأر: في بعض الأحيان يحاول الطفل القيام بأعمال تخريبية بهدف الثأر من والديه أو أي شخص يزعجه ويؤذيه بنحو وأخر.

من الممكن ان مثل هذا الطفل من والديه فعلاً أو تصرفاً أزعجه وآلمه، ولأنه لا يستطيع التصدي لهما مباشرة، فانه يثار لنفسه من خلال التخريب الذي يُثير اعصابهما.

٣ ـ اثبات الذات: هذه المسألة بحد ذاتها قد تكون عاملاً من عوامل اثبات الشخصية فاذا أمر الأب أو الأم الطفل بأمرٍ ما، أو طلبا اليه القيام بعمل معين، وتمرّد عليهما ولم يأتمر بأمرهما، وحرماه من بعض الامتيازات، فانه سيلجا الى العناد والتخريب من اجل اثبات ذاته واستنفاد صبر والديه بهدف الرضوخ اليه. وبطبيعة الحال ينجح الوالدان في مثل هذه الحالة في السير قُدماً نحو توجيهه وارشاده متى ما صمدا ولم يستسلما لرأيه وطلبه، والا فان الامور كلها تسير من بعد ذلك وفقاً لرأي ورغبة الطفل.

٤ ـ العداوة: ان الطفل الذي يشعر بأن له موقعاً وشخصية متميزة في البيت، ويأتي شخص أخر فيتدخل في شؤونه، أو يسلب منه اهتمام الأخرين، ينزعج عادة بشدة ويضمر له الحقد والعداء، ويحاول ايذاءه وتخريب أشياءه بنحو

وآخر. وكذلك قد يتسبب اهتمام المعلم في المدرسة، بتلميذ ما وامتداحه والاشادة به، باثارة أحقاد الآخرين عليه ومعاداتهم له واتخاذ مواقف تخريبية ضده.

٥ ـ الشغب: وبالتالي يحصل التخريب من قبل الطفل في بعض الحالات بسبب الشغب وسوء الخُلق فالميول التخريبية تكون في هذه الحالة متجذرة في ذهن الطفل وما لم يمارس التخريب لا يهدأ له بال.

٦ ـ الفشل: قد يلجأ الطفل أحياناً الى التخريب والمشاغبة بسبب الشعور بالفشل في أمر ما فمثلاً ينزعج اذا ما شاهد ان رأيه أو ذوقه لا يؤخذ به، ويحاول مداراة فشله وانزعاجه بالتمرد والتخريب.

و ـ الأسباب العضوية:

وأخيراً فان القسم الخاص من اسباب وعوامل التخريب لدىٰ الأطفال هو الأسباب العضوية التي تتضارب بشأنها الأراء. فالبعض يعتبر التخريب حالة ذاتية وغريزية ويعتقد انه يرافق الطفل منذ ولادته فيما يرىٰ غيرهم حالة اكتسابية ناشئة من البيئة. اما نحن فسنشير فيما يلي الى بعض المسائل التي يتفق عليها الجميع دون ان ندخل في نقاش مع هذه الأراء:

١ ـ صرف الطاقة: يمتاز الأطفال بالحركة والسعي والنشاط. وهذه الحالة تدل على نموهم وسلامتهم من جهة، وعلى صرفهم للطاقة من جهة اخرى. وبعبارة اخرى لما كان هؤلاء يتمتعون بالسلامة والصحة البدنية لذا فان كل ما يدخل الى اجسامهم من طعام يتحول الى عناصر مولدة للطاقة الى درجة

يحـارون معها في كيفية تصريفها، فيسعون الى تصريفها بواسطة اللعب والجري والتخريب. وبالطبع ان هذه المسألة لا ضرر فيها الّا اذا لم توجه بشكل صحيح.

٢ ـ حالة طبيعية: يعتقد بعض متخصصي علم نفس الأطـفال ان تـخريب الأشياء والعبث بها ولمسها يُعد حالة طبيعية في حياة كل طفل، ويرون هؤلاء ان هذه الحالة ينبغي ان لا تأخذ منحى ايذائياً، ويجب العمل على ايجاد علاج لها في حال حصولها عن عمد وسابق معرفة باعتبارها تدل على الاصابة بنوع من الاضطرابات النفسية.

٣ ـ وجود مرض: في بعض الأحيان قد يدل وجود هذه الحالة على معاناة الطفل من مرض عضوي او نفسي. فالذين يعانون من أمراض عضوية غامضة يعجزون عن الاستقرار والهدوء فيندفعون بطبيعة الحال الى التخريب والايذاء، اما الذين يعانون من أمراض نفسية فانهم يميلون كذلك الى القيام بـمثل هـذه التصرفات التخريبية والايذائية من اجل تسكين إضطراباتهم الداخلية.

٤ ـ النقص العضوي: لا يؤدي النقص العضوي لوحده الى حصول الاندفاع نحو التخريب والايذاء لدىٰ الأطفال والكبار، بل ان ما قد يُساهم في ايجاد هذه الحالة هو العجز النفسي عن تحمل النقص العضوي. وبعبارة اوضح نـقول ان سبب لجوء هؤلاء الى ممارسة الايذاء والتخريب هو الموقف السلبي للبعض الذي يستقبح النقص العضوي ويسخر منه على الدوام.

مضار التخريب

بالطبع أن لنزعة التـخريب لدىٰ الأطـفال مـضاراً كـثيرة، مـنها مـا يـلحق بالأخرين، ومنها ما يصيب نحو افراد الأسرة فالسلوك المنحرف لمثل هـؤلاء

الأطفال على درجة من الشدة بحيث تضيق به أُسرهم في البيت من جهة، وتواجه احراجات جمة في اصطحابهم الى المحافل العامة من جهة أخرى بسبب نزعتهم الايذائية والتخريبية تجاه الاخرين.

ينبغي عدم الوقوف موقف الصمت ازاء السلوك التخريبي لمثل هؤلاء الأطفال، لأن من شأن ذلك أن يجذّر فيهم هذه الحالة ويجعلهم يعتادون عليها بالتدريج. كما ينبغي عدم السماح لهم بأن يخرّبوا ويحطموا ما شاؤا من الأشياء؛ حتى لو كانت غير ثمينة وهذا ما يستدعي بحزم والحؤول بينهم وبين السلوك الايذائي والتخريبي مهما كان نوعه وحجمه.

امكانية الاصلاح

ولكن هل يمكن إصلاح مثل هؤلاء الأطفال أم لا؟ فالجواب، نعم يمكن إصلاحهم فقد دلت التحقيقات على أن اشد الأطفال نزوعاً نحو التخريب تم إصلاحهم، وحتى ان بعضهم تحولوا فيما بعد الى اشخاص فاضلين في المجتمع.

ومن هنا ينبغي ان لا يقلق الوالدان والمربون من هذه الناحية كثيراً، لأن هذه المشكلة حالة قابلة للعلاج والزوال بالتدريج إذا ماتم التعامل معها بشكل مدروس. فالمهم هو اكتشاف السبيل الذي يجب سلوكه من أجل إصلاح مثل هكذا اطفال وجعلهم ينسجمون مع البيئة.

على طريق الإصلاح

يتطلب إصلاح الانحراف السلوكي لدى الأطفال، العمل اولاً على اكتشاف

الأسباب والدواعي الكامنة وراء ذلك، ومن ثم المبادرة الى الاصلاح ثانياً.

يجب معرفة سبب قيام الطفل بالتخريب؟ ومنذ متى يمارس هو على هـذه الحالة؟ ومدىٰ هي درجة التخريب لديه؟ وهل هي شديدة وعنيفة أم طبيعية؟ وما هي الحالات التي يتضاعف فيها عنفه وتخريبه؟ ومتى يلجأ الى التخريب أكثر؟ وما هي المسائل التي تُثيره اكثر من غيرها ولماذا؟ وما الى ذلك.

المقصود هو وجوب معرفة الجذور والأسباب في هذا المجال قبل أي عمل أخر. ولا يفوتنا ان نشير الى انه لا يمكن أن يصدر من الطفل تصرف بلا سبب، وبالطبع اننا بقدر معرفتنا لأسباب السلوك التخريبي لدىٰ الطفل يمكننا العمل على معالجته بنفس المقدار.

أساليب الاصلاح

أول ما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال هو ان أساليب الاصلاح وطـرق العلاج مختلفة وتتنوع بتنوّع الحالة وظروفها ومـقتضياتها، ولا يـمكن إتّـباع أسلوب معين في التعامل مع كل الحالات، وانما لكل حالة أسلوباً خاصاً ينبغي العمل على ضوئه. ومن هذه الأساليب ما يلي:

١ ـ **التوجيه**: من المهم جداً ان نعرف ما إذا كـان الطـفل يـعرف ان العـمل التخريبي خطأ ومرفوض ام لا؟ وما اذا كنا قد واجهناه وتحدثنا معه بهذا الشأن ام لا؟ وما إذا كان يعرف انه يجب ان لا يعبث به ام لا ؟

يجب عدم الاكتفاء في هذا المجال باعطاء التوجيهات العامة بشأن ما ينبغي وما لا ينبغي من الأفعال والتصرفات، والتوقع من الطفل بأن يفهم ويدرك كـل الأشياء، لان الطفل لا يستطيع ان يفهم تفصيلات او ان لا يقترب من الطبّاخ. لذا

يجب ان يحذّر الطفل ويوجّه بشأن كل شيء على حدة.

الجدير بالذكر ان الكثير من الاطفال لا يدركون عدم صحة هذا العمل او ذاك، ولا يفقهون صحّة او فساد افعالهم، ومن هذا المنطلق تبقى الخطوة الاولى في الاصلاح هي الارشاد والتوجيه والتحذير وبيان عواقب الامور، ومضار الافعال السيّئة، من اجل ان يفهم الطفل ابعادها ويعي نتائجها.

٢ ـ **الوعظ والنصح:** يتيسّر في الكثير من الحالات اصلاح سلوك الطفل المخرّب عن طريق تقديم الوعظ والنصيحة. فالوعظ باسلوب لطيف يتمخّض عنه انقاذ الطفل مما هو فيه ويعيده الى سابق عهده والى سلوكه السوي. وهذا ما يوجب توعيته الى ان الحقد والايذاء والاعتداء والتخريب تُعتبر تصرفات سقيمة لا بد له ن اجتنابها، لأنه فضلاً عن عدم جدواها وفائدتها، فهي تخلق له العديد من الصعوبات والمشاكل في مسيرة حياته.

ولا يفوتنا التذكير هنا بضرورة عدم اكتفاء أولي الأمر والمربّين بالارشاد والتوجيه لمرّة واحدة بشأن هذا الفعل او ذاك، بل عليهم تكرار النصح ومعاودة التذكير لمرات ومرّات، لأن الطفل سريع النسيان وكثير الخطأ.

٣ ـ **احتضانه وكسب ثقته:** يجب احتضان الطفل وتقبّله على ما لديه من سلبيات، ومهما كانت مواصفته ذكراًكان أم أنثى، وجميلاًكان أم قبيحاً، ومعافى كان أم عليلاً؛ لأن نبذه وزجره يوقع في مطبّات وعقد نفسية، وهذا ما يُعتبر بحد ذاته سبباً وعاملاً من عوامل النزوع نحو التخريب.

وانطلاقاً من هذه الرؤية يتوجب على الوالدين كسب ثقة الطفل، وجعله على ثقة تامّة بمحبّهما له ورعايتهما لشؤونه، وبيّنا له بان عدم الالتفات اليه ومحادثته في هذا المحفل او ذاك ناتج عن انشغالهما بامور ضرورية ما أن يتم الانتهاء منها حتّى يلتفتا اليه من جديد.

٤ ـ تركه لحاله: في بعض الحالات يمكن ترك الطفل لحاله في موضع معزول واعطائه بعض الأشياء التي لا أهمية لها ليلعب بها أو يخربهبا ويصلحها كيف ما شاء او السماح له بتخريب جدار، ما في النيّة اعادة بنائه بـالأساس. وكـذلك يمكن السماح له بأن يقوم بأعماله بنفسه مثل ارتداء ملابسه وخلعها، وتناول طعامه وما شابه.

وبالطبع يمكن السماح للطفل بهذه الحرية النسبية شريطة ان لا تـؤدي الى اكتسابه لعادات سيئة، والحاق الأذى بـنفسه وبـالاخرين، أو اشـتداد غـضبه وانفعالاته النفسية.

٥ ـ الانشغال بعمل مفيد: في حالات معينة، يمكن السماح للطفل بالانشغال بعمل مفيد أو بشيء لا يكون فيه ضرر عليه فمثلاً يمكن وضع مسمار ومطرقة، او منشار وقطعة من الخشب تحت تصرفه ليلهو ويفعل بهما ما يشاء.

ففضلاً عن ان هذا الأمر يساهم بحد ذاته في تـنمية قـدرات عـلى العـمل والابداع، فانه يُتيح له امكانية تفريغ انفعالاته النفسية أيضاً. وبالطبع ينبغي على الوالدين والمربين هنا مراقبة تصرفات الطفل وابداء التوجيهات اللازمة له.

٦ ـ الرياضة واللعب: لقد دلت التجارب على ان الرياضة واللعب لهما فوائد بناءة جداً في هذا المجال، حيث انهما يُعدان من العوامل المسكـنة والمـهدئة للنفس.

الى جانب النشاط والنمو العضوي المتأتي من مـمارسة الركـض والقـفز، تساهم ايضاً في إصلاح سلوك الطفل الى حدود كبيرة، وكذلك يـضطر خـلال ممارسة هذه الالعاب الى الالتزام بأُصول الحـياة الاجـتماعية التـي تـفرضها قواعد اللعبة، لأنه يرغب في اللعب مع الأخرين وعدم التزامه بأصول اللـعب يعني رفضه وطرده من الجماعة.

٧ ـ البديل: في حالات معينة يمكن الاستعانة بالبدائل في سبيل إصـلاح

سلوك الطفل. فالطفل؛ الذي اعتاد على تمزيق الكتب، يُفضل أن يُشجع على تمزيق أوراق أو صحيفة او مجلة قديمة ورميها في سلة المهملات، وبدلاً من الكتابة على جدار الغرفة، يمكن أن توضع ورقة تحت تصرفه ليخط عليها ما يشاء.

كما ويمكن في هذا المجال ايضاً اقتراح عملٍ يحبه لكي يكرس فيه رغباته مثل البناء، والأعمال اليدوية، وتنظيف الأشياء وما شابه ذلك.

٨ ـ الحزم: في بعض الحالات يقتضي أن يلجأ الوالدان والمربّون الى اسلوب الحزم مع الاطفال. فالطفل الذي تعوّد مثلاً على أن يُحطم قدحاً او يرمي بصحن في ساحة الدار، يجب ردعه بشكل حازم وعدم السماح له بممارسة هذا العمل مهما حاول.

٩ ـ العلاج الطبي: أحياناً يكون الطفل مريضاً ويلجأ الى التخريب بسبب المرض. الميول المنحرفة تعتبر نوعاً من الأمراض الخطيرة لدىٰ بعض الأطفال. والطفل المصاب بمثل هذه الحالة لا يمكن إصلاحه عن طريق الضرب والتوبيخ، وانما يجب اللجوء الى العلاج الطبي أو النفسي.

١٠ ـ التهديد والانذار: من المفيد استعمال أسلوب التهديد والانذار مع الطفل أحياناً الى جانب الوعظ والارشاد والتوجيه، ذلك لكي يدرك عواقب افعاله السيئة ويفهم انه سيتعرض الى العقاب في حال تكراره أياها.

ما من شك في ان الهدف من التصريح بالعقاب والتهديد هو تخويف الطفل من العواقب وبالتالي صرفه عن القيام به، كما ينبغي ان يكون التهديد من النوع الذي يُقصد تنفيذه اذا ما تطلب الأمر، وتجنب التهديد الذى لا يمكن تنفيذه عملياً.

١١ ـ الضرب: في الحالات التي يكون فيها التخريب ناتجاً عن الشغب وسوء السلوك ولا تؤثر المواعظ والنصائح والارشادات في عودة الطفل عن سلوكه، يمكن اللجوء الى ضربه بهدف اعادته الى رشده.

الا ان هذا الضرب يجب ان يكون بالشكل الذي يحقق الهدف دون أن يُلحق الأذى بالطفل أكثر مما يتطلب الأمر، لان المهم في الضرب ليس ايذاءه بل اشعاره بالاهانة بعد طول علاقات مودة وحب بينه وبين والديه من اجل ان يفكر بشكل جاد في الانصراف عن الفعل الذي عكر صفو علاقته بابويه وعدم العودة اليه ثانية.

١٢ ـ اساليب اخرى: وبالتالي يجب التعامل مع كل حالة بما يناسبها من اسلوب. فاذا كانت المسألة نفسية ينبغي الدخول اليها وعلاجها برفع الأسباب والدوافع الكامنة وراءها. واذا كانت عاطفية يمكن التعامل معها من المنافذ العاطفية. واخيراً اذا كانت المسالة اجتماعية يمكن علاجها عن طريق رفع سوء الظن في العلاقات، والتسلية والعمل وما شابه.

ملاحظات:

على طريق إصلاح سلوك الأطفال المخرّبين وازالة المضاعفات الناتجة عن افعالهم، نورد فيما يلي بعض الملاحظات الجديرة بالاهتمام:

١ ـ يجب ابعاد الاشياء الثمينة عن متناول يد الطفل.

٢ ـ يجب وضع الطفل تحت الرقابة الدائمة عن بُعد لكي يكون امام الانظار عند حصول ما يتطلب حضور الوالدين.

٣ـمن الضروري السيطرة على الأعصاب وضبط النفس ازاء ممارسة الطفل للتخريب؛ لأن الغضب والانفعال فضلاً عن انهما لا يحلان مشكلة، فانهما قد يكشفان للطفل نقطة الضعف هذه فيحاول استغلالها في المرات الاخرى.

٤ ـلابد من غض الطرف احياناً من بعض الأمور وعدم الحرص على فرض الرقابة الصارمة على شكل شؤون الطفل، والاكتفاء بالارشاد والتوجيه ما امكن.

٥ ـ ينبغي توفير اسباب اللعب واللهو للطفل قدر الامكان، وتهيئة بعض الاشياء له من اجل ان يتسلى بها بحرية.

٦ ـفي المراحل التي تتأزم فيها حالة الطفل في هذا المجال يجب العمل على احتوائها بمزيد من الصبر والتحمل والمطاولة.

الغش لدىٰ الأطفال

تقديم

واحدة من المسائل التي يدور حولها البحث في حقل التـربية هـي مسألة الغش لدىٰ الأطفال، حيث يلجأ بعض الأطفال الى الغش اما نتيجة الجهل بقبح هذا الأمر او بسبب اكتساب العادات السيّئة من الاخرين، وأما بهدف تـحقيق مصالح واغراض معينة.

وسنتناول في هذا البحث جذور وأسباب هـذه المسألة بـايجاز ونـحاول تشخيص السبل الكفيلة بالوقاية منها او بمعالجتها.

تـعريف الغش

الغش سلوكٌ وتعامل غير مخلص وغـير شـريف هـدفه تـحقيق إغـراض ومصالح معينة بطريق غير مشروع.

ففي الحياة الاجتماعية، توجد سبل عديدة للوصول الى تحقيق الاهـداف والمقاصد؛ وبحسب الضوابط الاسـلامية فان بـعضها مشـروع وبـعضها غـير مشروع. فمثلاً يمكن للمرء أن يثرىٰ بطرق شتى الّا ان السبيل المشـروع الى الثراء هو فقط ببيع الشخص سلعته بنفس المواصفات والمزايـا التـي يـعرضها للمشتري، واذا خالف ذلك وباعه بدلاً منها سلعة اخرى بغير المواصفات التي تحدّث عنها يُعد في هذه الحالة غاشّاً.

وينطبق هذا الوصف ايضاً على التلميذ أو طالب المدرسة في حال ترقّيه من مرحلة دراسية الى اخرى او حصوله على درجة القبول والنجاح في الامتحان

عن طريق التلصص على زملائه الأخرين في قاعة الامتحان، أو باستخدام القصاصات الورقية المدوّنة فيها المعلومات سرّاً.

أشكال الغش

يوجد الغش عند الاطفال بشكل أو آخر وبصور مختلفة. واذا شئنا اعتباره عملاً يهدف الى التصريح بما يخالف الواقع الموجود فيمكننا الاشارة الى مصاديق عدة له، ومنها ما نطلق عليه الغش في الامتحانات وهو الشائع بين بعض الطلبة الذين يحاولون الحصول على النجاح والتفوق دون بذل الجهد المطلوب في هذا المجال.

ومن المصاديق الأخرى لهذه الظاهرة هو الغش في اللعب خصوصاً اذا كان فيه اعتبارات للفوز والخسارة والحصول على امتيازات معينة ويمكن ملاحظة هذه الحالة بين الأطفال الصغار وطلبة المدارس الكبار على حد سواء.

كما يمكن ان يكون الغش على شكل استبدال شيء بشيء آخر، ويمكن ملاحظة هذا السلوك حتى عند بعض الاطفال الذين يمتازون بدرجات جيّدة من الذكاء. وقد يكون ايضاً على شكل الغش في الكيل والميزان في رأس مال العمل. وبالطبع نحن نسعى هنا الى حصر حدود البحث بالاطفال مع الاشارة الى المسائل العامة التي ترتبط بمختلف الأعمار.

جذور الغش وماهيّته

الغش نوع من السرقة، لكنه ليس في المال، وانما في المرتبة والموقع والمقام

وما الى ذلك فالمرء يسعىٰ من خلال ذلك للحصول على شيئ لا يستحقه شرعاً ولا عرفاً، ويسلك في سبيل تحقيقه سلوكاً غير مشروع وغيّر شريف.

وفي الواقع ان الغش أقصر طريق يسلكه الشخص من اجل نيل اهدافه ومراميه وتحقيق ما يصبو اليه بيُسر وسهولة في الوقت الذي يحققه الأخرون بالسعي والنشاط والمثابرة المتواصلة.

وأساس المسألة هو أنّ بعض الاشخاص رغم كسلهم وتخلّفهم الا أنهم يحصلون على الدرجة والموقع الذي يحظى به الأخرون بأسرع ما يمكن. يتميّز امثال هؤلاء الاشخاص بالأنانية ويحرصون على الّا يُثار غبار حولهم في هذا المجال، وألّا تكون منزلتهم ادنى من غيرهم وإن كانوا لا يتمتعون بنفس مواصفات الاخرين.

التحقيقات الجارية حول الغش

تُشير بعض التحقيقات الجارية في الغرب حول مسألة الغش الى ما يلي:

ـ انها لا تختص بجنس دون آخر لأن البنين والبنات، والنساء والرجال، يمارسونه على حد سواء وبأشكال مختلفة.

ـ ترتبط الى حد كبير بالموقع الاجتماعي والاقتصادي للفرد، ونادراً ما يلجأ الاشخاص الذين يتمتعون بمستويات ثقافية واقتصادية جيدة الى الغش او انهم إذا لجأوا الى الغش فانهم لا يفعلون ذلك سعياً وراء المسائل الصغيرة والبسيطة.

ـ قلما يلجأ الى الغش الاطفال الذين تعلموا في مدارس راقية ومتطورة واحدة ويخضعون لضوابط تربوية محددة.

يساوى في ممارسة الغش الأبناء الذين يعيشون في عائلة واحدة ويخضعون لضوابط تربوية محددة.

- يتساوى في ذلك ايضاً التلاميذ الذين يدرسون في مدرسة واحدة ويخضعون لأسلوب تربوي وأخلاقي واحد.

وبالتالي يقلّ الغش عادة لدىٰ الاطفال الاذكياء اما لأنهم أذكياء ولا يرون لأنفسهم حاجة للغش، أو أنهم يغشّون بالشكل الذي لا يشعر به الاخرون.

أسباب الغش

هناك اراء عديدة بشأن اسباب ودوافع الطفل الى ممارسة الغش يمكن تلخيصها بعبارة واحدة وهي انه يلجأ الى الغش بهدف تحقيق النتائج التي يحققها الأخرون بسهولة، ولكن دون بذل الجهود اللازمة في سبيلها.

وفي الوقت ذاته، هناك مسائل ومباحث عديدة في هذا المجال تكتسب معرفتها أهميّة استثنائية في سبيل الوقاية من الغش وعلاجه، نشير اليها فيما يلي على النحو الأتي:

أ ـ الأسباب المرتبطة بالمدرسة والمعلم

الحديث هنا يدور حول الغش في الامتحان والدرس والواجب المدرسي الذي يُلحظ للأسف عند الكثير من الأطفال المتفوّقين وغير المتفوّقين، ويمكن الاشارة الى مسائل كثيرة في هذا المجال ومن جملتها:

١ ـ **اسلوب تدريس المعلم**: ـ في بعض الأحيان يكون أسلوب المعلم في

التدريس اسلوباً سيئاً بحيث يعجز معه الاطفال عـن اسـتيعاب الدرس وتسير الأمور على هذا النحو الى ان تصل أيام الامتحانات، وفي هذه الحـالة يـلجأ التلاميذ الى شتى الوسائل ومنها الغش من أجل الحصول على درجة النجاح في الامتحان.

٢ ـ تشدد المعلم في إعطاء الدرجات: اعتادَ بعض المعلمين على التشدد في اعطاء الدرجات والتدقيق الزائد عن الحد في مادة الامتحان الى درجة يـعاني معها التلاميذ معاناة كبيرة من أجل الحصول على درجة متوسّطة، الأمـر الذي يدفع الاطفال، على مختلف مستوياتهم بل وحتى الجامعيين، الى ممارسة الغش في قاعـات الامتحان.

٣ ـ تحدّي المعلم: بعض المعلمين يمارسون مهنتهم بشكل مستبد وعـنيف فيهدّدون ويتوعدون دائماً في قاعة الدرس بأنهم سيفعلون كذا أو كذا بمن تسوّل له نفسه القيام بالفعل الفلاني أو انهم يفتخرون بذكائهم وقدراتهم على ضبط من يحاول الغش في قاعة الامتحان التي يشرفون عليها، الأمر الذي يستفز بعض التلاميذ ويدفعهم الى تحدي المعلم بواسطة اللجوء الى الغش بطريقة واخرى لاثبات بطلان ما يدعيه.

٤ ـ صعوبة الامتحان: وأحياناً يأتي الغش بسبب مواجهة التلاميذ لامتحان صعب، لا تنسجم الاسئلة الواردة فيه مع ما تعلموه في الصف او تصوروه مـن الدروس. ومن هنا ولأنهم يشعرون بالعجز عن الاستجابة لتـوقعات المـعلم الصعبة، يلجأون الى الغش من أجل الحصول على درجة النجاح وتحقيق هذه الغاية ـ وتجدر بنا الاشارة هنا الى أن الاسئلة الصعبة في الامتحانات تـؤدي بجميع التلاميذ الى ممارسة الغش، والتقصير يقع هنا على عاتق المعلم نفسه.

٥ ـ **الفوضىٰ**: أحياناً يؤدي وقوع الفوضىٰ والهرج والمرج في الصف والمدرسة الى ان يفكر الجميع باستغلال الفرصة لتحقيق ما يشاؤون فيحسب التلميذ أن ليس هناك رقابة واشراف على الأمور وان المعلمين غافلون عن التلاميذ، واذا كان الأخرون يحصلون على ما يشاؤون من الدرجعات بيسر وسهولة فانّه يبقىٰ محروماً من ذلك. ولهذا فحتى الاطفال المخلصين توسوس لهم أنفسهم بالحصول على ما هو اكثر من حقهم.

ب ـ الاسباب المرتبطة بالاسرة

من الاسباب والدوافع التي تدفع بالأطفال الى ممارسة الغش والحيلة والمكر في التعامل مع المسائل هي الاساليب الخاطئة للأُسر في التعامل معهم ويمكن الاشارة في هذا المجال الى مسائل كثيرة نقتصر على بعضها فيما يلي:

١ ـ **التوقعات الخاطئة**: يعاني بعض الأطفال داخل الأُسرة من ضغوط نفسية بسبب التوقعات الصعبة والخاطئة من قبل الوالدين والمبالغة في الحرص على ضرورة ان ينال ابنهما درجة ممتازة في دروسه وذلك بهدف التفاخر به امام الاخرين. ومن هنا يجد هذا الطفل البائس الذي يعانى الأمرين من ضغوط الوالدين يجد نفسه مضطراً الى اللجوء الى كل ما من شأنه تحقيق رغباتهما بما في ذلك الغش في الامتحان.

٢ ـ **الأمال السابقة لأوانها**: وقد ينشأ الغش لدىٰ الطفل احياناً ويعتاد عليه بسبب الأمال الذهنية السابقة لأوانها للوالدين بشأنه بعبارة أوضح، ينشأ الطفل في البيت، فيصطدم بتوقعات الأبوين ورغبتهما المبكرة في ان يصبح طبيباً او مهندساً، في حين انه ما يزال غير قادر على استثمار قابلياته بما يناسبها. وهذه

المسألة بحد ذاتها تضغط عليه نفسياً وتدفعه الى اتباع الغش طيلة سني الدراسة من أجل الاستجابة لهذه الرغبات الخاطئة من قبل الوالدين.

٣ ـ التخويف من الرسوب: في بعض الأحيان يُظهر الأبوان الرسوب بأنه أمر خطير ويلقيان في قلب الطفل الخوف والرعب منه، الأمر الذي يدفعه الى التشبث بأي شيء في سبيل الهروب منه والبقاء في منأىً عنه، ومن اجل تحقيق النجاح قد يترك السبيل الصحيح اليه ويلجأ الى الغش والتوسل بهذا وذاك.

وتأسياً على ذلك ينبغي على الوالدين والمربين، في حال ملاحظة زيادة الغش لدىٰ الأطفال، ان يعيدوا النظر في تعاملهم معهم ويحدّوا من توقّعاتهم منهم، بحيث لا يطلبون منهم أشياء فوق طاقاتهم.

٤ ـ تشغيل الاطفال: بعض الأُسر تزجّ باطفالها في أعمال معينة من أجل تمشية شؤونهم المعاشية، الأمر الذي يعجز فيه الاطفال عن التوفيق بين الدرس والعمل في وقت واحد.

وهؤلاء الأباء قد يتوقعون من اطفالهم أن يحصلوا على درجات جيدة في الدراسة أو يكونوا بمستوى التلاميذ الأخرين في نفس الوقت الذي يريدون منهم أن يعملوا لمساعدة الأسرة في تأمين معاشها.

ومن البديهي ان لا يستطيع مثل هؤلاء الاطفال الحصول على درجات مرضية في المدرسة دون اللجوء الى الغش.

ج ـ الاسباب المرتبطة بالطفل:

توجد هناك اسباب وعوامل مختلفة للغش ترتبط بالطفل نفسه. ولا يمكن القضاء على ظاهرة الغش ما لم يصار الى معرفة هذه الأسباب والعوامل

والمبادرة الى ازالتها من الاساس. ونشير في هذا المجال الى بعض المسائل فيما يلي:

١ ـ **الجهل**: بالبداهة يمكن القول فيما يرتبط بالاطفال أن البعض منهم يمارس الغش في بعض الحالات دون ان يكون غشاشاً في الواقع فلو كانوا يجهلون شيئاً يستعينون بشخص أخر من أجل معرفته وحتى أنهم ينظرون في قاعة الامتحان الى ما يكتبه الاخرون بشكل طبيعي ودون ان يداخلهم أدنىٰ خوف من هذا الأمر، ويمكن ملاحظة هذه الحالة بوضوح عند تلامذة الصف الأول الابتدائي ومن هم اصغر منهم سناً وبطبيعة الحال يجب توضيح هذه المسألة لهم وافهامهم بضرورة اجتنابها.

٢ ـ **الجهل بالمسؤولية**: ويأتي غش الاطفال احياناً بسبب جهلهم بالمسؤولية فيندفعون مثلاً الى ابراز ذكائهم وشطارتهم عن طريق التفوق من خلال سلوك مسلك خاطيء. وهنا ينبغي معرفه ما اذا كانت هذه الحالة ناتجة عن سوء الخلق ام الجهل.

٣ ـ **الكسل**: الأطفال الكسالى الذين لا يهتمون بدروسهم على مدار السنة الدراسية، يواجهون صعوبات جمة اثناء الامتحانات النهائية، ومن هنا فانهم يلجأون الى الغش من أجل انقاذ انفسهم من الوضع الحرج الذي يواجهونه.

٤ ـ **التخلف**: واحياناً يكون الغش بسبب التخلف. وقد يكون التخلف على نحو من الانحاء التالية:

أ ـ التخلف العقلي الذي لا يتمتع الطفل فيه بوضع ذهني طبيعي، ويعجز عن الاستيعاب بمستوى الأخرين، وفي نفس الوقت يلجأ الى ممارسة الغش نتيجة الضغوط التي يتعرض لها من قبل المدرسة والمعلم، ولأنه ساذج وبسيط سرعان ما يتم اكتشاف امره.

ب ـ التخلف عن الدراسة الذي يمكن ان يحصل لأسباب مختلفة منها المرض والسفر، والانشغال، والعمل، واسلوب التدريس، وغير ذلك وعلى أية حال، يلجأ مثل هؤلاء الأطفال الى الجنوح نحو ممارسة الغش من اجل التغطية على ضعفهم وعجزهم عن مواكبة الدروس واستيعابها ولعدم الرغبة في الاستسلام للفشل والرسوب.

٥ ـ **حب التفوق**: يلجأ الاطفال الى الغش أحياناً من أجل الحفاظ على تفوقهم أو بهدف الحصول على تفوّق لا يتاح لهم بلوغه.

وتصدق هذه الحالة في الغالب على الأطفال المنعمين وعلى المحرومين على السواء.

٦ ـ **حفظ الحيثية**: أحياناً يكون الطفل في موقف محرج بسبب تخلفه عن الدرس، بينما يتصوّر والده بأنه في وضع دراسي جيد. فيفكر مع نفسه بأنه اذا لم يحصل على درجة مرضية فان اعتباره يتضاءل أمامهما ولذا يسعىٰ الى التوسل بهذا وذاك في سبيل تحقيق مراده، أو يحرص على جلب نظر معلميه واستدرار عطفهم من اجل التساهل معه، واذا لم يجد ذلك نفعاً، فانه يسعىٰ الى تحقيق ذلك عن طريق اللجوء الى الغش.

٧ ـ **الوساوس**: وبالتالي تراود الطفل احياناً بعض الهواجس التي تدفعه الى ممارسة الغش فمع انه لا يرىٰ ضرورة الغش في الدرس والحياة الاجتماعية، الّا ان نفسه تنازعه احياناً على الاقدام عليه بنحو التجريب والاختبار، ان مثل هذا الطفل ليس غشاشاً محترفاً، لكنه اذا مارس الغش لعدة مرات وحقق فيه نتائج معينة فانه قد يستمر فيه ويعتاد عليه.

٨ ـ **كثرة اللعب واللهو:** بعض الأطفال الذين يعيشون في اَسر ثرية الى حد ما يملكون وسائل كثيرة للعب واللهو، وفي كثير من الأوقات يسافرون مع سائر افراد العائلة الى المناطق السياحية للتنزه والاستجمام ـ ولأن هذه الأمور تشغل جلّ اوقاتهم، لذا فأنهم لا يجدون فرصة كافية لمواكبة دروسهم، وهذه المسألة تضطرهم الى التعويض عنها اثناء الامتحانات باللجوء الى الغش.

موقف المعلمين من الغش

ظاهرة الغش تثير قلق الآباء والمعلمين والمربين وانزعاجهم الشديد ويحدو بهم حرصهم على الطفل الى الرغبة في استئصالها والقضاء عليها وقلّما يوجد من الأباء من يشجّع ابناءه على الغش في الدرس والامتحان الّا أنهم يُساهمون في توفير ارضية ذلك في بعض الحالات بصورة غير مباشرة، وذلك نتيجة توقعاتهم غير المشروعة التي ترافقها الضغوط والتأنيب المتواصل.

كما ويلاحظ ـ للأسف ـ أن بعض الأباء يسعون الى الارتقاء بالمستوى الدراسي لأبنائهم بشكل خاطىء وغير مشروع وذلك عن طريق الوساطات والتوصيات والأعجب من ذلك كله هو استجابة بعض المعلمين لهذه الوساطات والتوصيات وسعيهم الى أعطاء الأبناء درجات لا يستحقونها رأفة بهم!

مضار ومخاطر الغش

ليس الغش لدىٰ الأطفال بالأمر البسيط الذي يمكن التساهل بشأنه، وانما هو سلوك شاذ يترك مضار ومخاطر عديدة على الفرد والمجتمع، لا يتسع مجال

البحث هنا لتناولها من كل الجوانب لكن ما يمكن ذكره في هذا المجال هو ان الغش:

١ ـ يقضي على قيمة الاخلاص في العمل.

٢ ـ يعد نوعاً من انواع التجاهل للقوانين والمقررات التي تعتبر ضرورة من ضروريات الحياة الاجتماعية.

٣ ـ يقضي على روح الاخلاص في العمل، ويترك انعكاسات سلبية على معنويات الآخرين ويضعف اندفاعهم للاخلاص في العمل.

٤ ـ في حال تكراره يزول قبحه بالتدريج ويبدو شيئاً طبيعياً، الأمر الذي يشكل خطراً على الحياة الاجتماعية.

٥ ـ يتحدر الغش في البيت والمدرسة بالتدريج، ويمتد شيئاً فشيئاً الى المجتمع ليترك أثاره السلبية على الجميع.

٦ ـ يدل الغش على انعدام الشعور بالمسؤولية والتهرّب منها.

وفي هذه الحالة ينعدم الأمل في أن تكون للشخص حياة مشرّفة.

٧ ـ يستهدف الغش الحصول على شيء من لا شيء. وعند ذاك يتضح ان بعض الاشخاص يحصلون على امتيازات لا يستحقّونها.

٨ ـ وبالتالي من شأن الغش في الدراسة أن يؤدي الى احتلال اشخاص غير مؤهلين لبعض المواقع والمناصب التي لا يستحقونها في المجتمع، الأمر الذي يترك اثاراً سلبية على الوضع الاجتماعي.

ضرورة الوقاية والعلاج

يتضح مما مر ذكره ان من الضروري الوقاية من هذه الحالة، والمبادرة الى

علاجها. فما اقبح أن يبني الطفل، منذ نعومة اظفاره، حياته على اساس الغش والتزوير والخداع؟!

نحن نعلم أن الشخص لا يكون مستعداً للاخلاص في العمل عندما تتأصل في نفسه روح الغش والخداع، وتواجه إصلاح سلوكه في الكبر صعوبات كثيرة. فالتحقيقات التي أجريت حول حياة المجرمين تشير الى ان الكثير منهم كانوا قد عاشوا في طفولتهم حياة سيئة ومضطربة تركت أثارها السلبية على سلوكياتهم في الكبر.

امكانية الوقاية والعلاج

لحسن الحظ أن امكانية الوقاية من مثل هكذا انحراف وعلاجه متوفرة، وبامكان الأباء والمربين أن يكون لهم دور فاعل في هذا المجال. فمن خلال الأمور التي سنأتي على ذكرها يمكن المبادرة الى وقاية الطفل منه والحؤول دون تفكيره به من جهة، ومعالجة اولئك المبتلين به وتشجيعهم على الانصراف عنه من جهة اخرى ومما يبعث على الارتياح امكانية معالجة هذه الظاهرة بسهولة كلّما كان الطفل أصغر سناً وينبغي عدم القلق كثيراً بشأن الغش لدىٰ الاطفال الذين تقل اعمارهم عن عشرة اعوام. الّا ان ما يبعث على القلق هو في الحالات التي تتجاوز فيها أعمارهم هذا الحد، حيث توجد في الأساس علاقة عكسية بين العمر وامكانية الاصلاح، فكلما قلَّ العمر كان الاصلاح اسهل وأيسر والعكس صحيح.

ومن حسن الطالع أن الاطفال الاصغر سناً هم في الوقت الذي يكونون فيه

اكثر مطاوعة للاصلاح، يقلّ بينهم من يرتضي هذا الفعل نفسه ويدبر عن السلوك الشريف. ومن هنا يستبعد ان يلجأ الاطفال الى ممارسة الغش اذا ما بادر الوالدان والمربّون الى تعليمهم وتفهيمهم اصول الحياة الانسانية الصحيحة.

على طريق الوقاية

على طريق الوقاية من الغش والتزوير، يمكن المبادرة الى جملة من الاجراءات الاحترازية وتلقينها للطفل. وفيما يلي نشير الى بعضها على النحو الأتي:

١ ـ **التعليم والضوابط والمقررات:** أن أول خطوة من خطوات التربية هي تعليم الطفل وتفهيمه ما هو صحيح وما هو غير صحيح من الأفعال والتصرفات. فكما ذكرنا فيما مر ان بعض الأطفال يجهلون هذه المسألة التي تبدو لنا بسيطة جداً، فيقدمون على تصرف يبدو في أعينهم طبيعيّاً. بينما يكون خطأ وغير متساغ من وجهة نظرنا ووفقاً لأسس الحياة الاجتماعية فالمقصود هو ضرورة ان يعرف الطفل ما يقوم به من افعال وتصرفات. ويميز قبيحها من حسنها.

٢ ـ **تلقين الاخلاص في العمل:** الخطوة الثانية في هذا المجال هي تلقين الطفل قيمة الاخلاص والصدق في العمل، وجعله يتعلق بهذه المفاهيم ويحبها وتفهيمه من خلال القصص والأمثال بأن تحمل المتاعب والآلام في سبيل الحصول على الشيء باخلاص خير من الحصول عليه عن طريق الغش والخداع.



ظاهرة السرقة عند الاطفال

تقديم

من جملة المسائل والمشاكل العويصة التي تواجه قطّاع التربية والتعليم هي ظاهرة السرقة بين الاطفال، وهي ظاهرة تثير وراءها الكثير من الجدل لدى الكثير من الأسر والمدارس والمصانع، وتستأثر باهتمام مختلف المؤسسات والاجهزة القضائية في كل المجتمعات.

يلاحظ أحياناً ان اطفالاً يجلبون الى منازلهم مأكولات او العاباً او اشياء أُخرىٰ لا تعود ملكيّتها لهم ويخفونها عن الانظار، وهذه الحالة متفشيّة بين صغار الاطفال وتبقىٰ ملازمة لهم الى ما يقارب سن الثامنة، واذا لم تُعالج منذ السنوات الاولىٰ من عمر الطفل فانّها ستتفاقم في السنوات اللاحقة وتتخذ طابعاً اكثر خطورة، وتلحق بذلك الشخص ومجتمعه الكثير من المشاكل والمصاعب وتنسحب تأثيراتها حتّى على مرحلة النضج وتخلق لنا أُناساً نُطلق عليهم اسم اللصوص.

صورة السرقة

المفهوم المتداول لمصطلح السرقة هو الاستحواذ خفية على مال او شيء تعود ملكيته للغير ومثل هذا الفعل يمارسه عادة الكبار والصغار على حد سواء. فلابد وأننا قد لاحظنا اطفالاً يختطفون كتاباً او قلماً او دفتراً من أيدي اترابهم ويأخذونه لأنفسهم، او قد يأخذون نقوداً من جيب الأب او محفظة الأم

ويشترون بها ما يشتهون من الأشياء والمأكولات، وفي المدرسة وقاعة الدرس يأخذ خلسة ادوات او ألعاب زميله ويخفيها في حقيبته.

والسرقة بهذا المفهوم موجودة لدى الاطفال والمسنّين. ولكن ثمّة انواع من السرقة أخطر، قلّما يجري الحديث عنها. فنذكر على سبيل المثال الموظف الذي يقصر في ساعات عمله، وامين المخزن الذي يقتطع لنفسه حصّة اكثر من غيره، ومن يبخس الميزان ويستوفي ثمن السلعة كاملاً ويعطيها ناقصة، والمحتال الذي يغش في الطعام والدواء والامتحان، والبزاز الذي يأخذ ثمن قماش من نوع معين ويعطي نوعاً غيره، هؤلاء كلهم لصوص.

فنحن لا نرى وجود اي فارق بين اختطاف اموال الناس من ايديهم، او تسوّر جدران بيوتهم، او الامتناع عن دفع الضرائب لخزينة الدولة، او نشل جيوب الاخرين، او الاختلاص من بيت المال، او تقاضي اجور ثمان ساعات عمل في مقابل سبع ساعات.

موقف الوالدين من سرقة طفلهما

المسألة المهمة في هذه الظاهرة هي استياء الوالدين من قيام طفلهما بالسرقة اذ يعتريهما قلق عميق لأنّهما مع ما يتّصفان به من اخلاص وامانة صار لديهما طفل يمتهن اللصوصية منذ صغر سنّه، وهذا ما يجعلهما في مأزق محرج امام الناس.

ان الموضوع الذي ينبغي بيانه منذ البداية للوالدين المحترمين هو ان طفلهما اذاكان دون سن التمييز ويسرق فالمسألة ليست على هذا الجانب من الخطورة،

اذ تيسّر اصلاحه بواسطة التنبيهات والتحذيرات وعن طريق استخدام بعض الضوابط والفنون. بل ان ما يوجب القلق هو ان يعمد الطفل للسرقة من بعد سن التمييز وحينما يصبح قادراً على معرفة سوء العمل وقبحه. ومثل هذه الحالة تستوجب اتّخاذ موقف آخر لانها مثيرة للقلق حقّاً.

جذور السرقة

يجب القول أوّلاً بشأن جذور السرقة ان هذه المسألة لا تتفق بشأنها جميع آراء العلماء. نعم هناك اتفاق بشأن اساس المسألة بين جميع علماء النفس وعلماء الاخلاق الا انهم يطرحون لها جذوراً متباينة يمكن التوصل من خلالها الى بعض النتائج المحددة، وثانياً ان منشأ السرقة يختلف بين الصغار والكبار، فلكل طائفة منهما دوافع واسباب مختلفة، الا ان المسألة التي يمكن الاشارة اليها في هذا الصدد هي مبدأ استشعار اللذة في التملك والاستحواذ على ما يصبو اليه، ولا يمكنه نيله بالسبل المتعارفة.

لا شك ان لجميع الاشخاص وفي جميع الاعمار متطلبات واحتياجات مهمّة، ولا اختلاف في عدم امكانية توفير جميع متطلّباتهم بالطرق السهلة والممكنة، بينما يُتاح للجميع عن طريق السرقة بلوغ مآربهم ونيل كل ما يرغبون فيه. اذن فالسرقة تبدو وكأنّها تذليل لجميع المصاعب.

هنالك وجهة نظر أُخرى ترى ان ظاهرة السرقة منشؤها الحرمان؛ إذ ان الحرمان حتّى من بعض الحاجات البسيطة يدفع الى ارتكاب السرقة، كالحرمان من طعام معين او من الحلوىٰ او المرطّبات الا اذا كان ممن يعتدّ بنفسه ويعتز

بشخصيّته. ونخص بالذكر في هذا المجال الحرمان في فترة الطفولة وعدم الشعور بالاشباع، اذ ان له دور مهم في مثل هذا السلوك.

أسباب السرقة

وفي ضوء الجذور التي ذكرناها يمكن الانطلاق منها لذكر الاسباب الاساسية للسرقة بشكل مفصّل ويمكن تقسيمها هنا الى اربعة اقسام هي:

أ ـ الاسباب الناتجة عن الحاجة:

ثمّة دوافع كثيرة في هذا الصدد نشير الى بعضها في ما يلي:

ـ حرمان الطفل من طعام يميل اليه، او جعل ذلك الطعام تحت شروط وقيود مشددة كوضع الفواكه والحلويات في قفص والاقفال عليها.

ـ دافع التملك وهو دافع غريزي وقد يدفع المرء نحو السرقة لمجرّد ان يكون مالكاً للشيء.

ـ الجوع والحرمان من الطعام والثياب وادوات اللعب وما شابه ذلك.

ـ الحاجة للدمن وأدوات اللعب وغيرها من الأشياء الملونة الجميلة، وعمد امكانية توفيرها.

ـ الحاجة للنقود لتوفير بعض المستلزمات حالياً، او ادخار تلك النقود لتوفيرها مستقبلياً.

ـ الحصول على الشيء الذي يطمح اليه، مع عدم القناعة به. وغير ذلك من الاسباب.

لابد من الاشارة هنا الى انه من الخطأ التصوّر بان الطفل يسرق من اجل الطعام والاشياء المادية على الدوام، بل ان هناك اسباب وعوامل اخرى لا تقل اهمية عن الاسباب المذكورة سالفاً.

ب ـ الاسباب العاطفية:

وهذه الاسباب ايضاً لها دوافع متعددة من جملتها:

ـ الحرمان من العطف والحنان يخلق لدى الطفل حالة من الاضطراب، وعملية السرقة تخفف من هذا الاضطراب.

ـ التعويض عن مشاعر الغيرة والحسد وابراز الذات.

ـ الانتقام من الوالدين او غيرهما ولأي سبب كان.

ـ الحصول على الماديات وانفاقها على الآخرين للتحبب اليهم والعثور على مكانة بينهم.

ـ الشعور بفقدان الامن بسبب ما تعرض له من معاملة قاسية.

ـ السعي لامتلاك المال والبذخ به على الاصدقاء لكي يوصف بالكرم.

ـ القيام بالسرقة ليقال عنه انه شخص ماهر وبارع وخفيف اليد.

ـ التظاهر بالقدرة لاثبات الوجود بين الآخرين.

وقد تبيّن من خلال الدراسات بان الاهمال الناتج عن انفصال الأبوين يساعد على نشوء هذا السلوك.

ج ـ الاسباب النفسية:

لكثير من أنواع السرقة اسباب نفسية، نذكر على سبيل المثال اذا وضع شيء يحبه الطفل في قفص وأقفل عليه فهذا العمل يعتبر بمثابة تحريض للطفل على فتحه لاثبات مهارته في حين ان الباب لو لم يكن مقفلاً لما حصل مثل هذا العمل.

ـ الشعور بالوحدة في الوسط العائلي والرغبة في القيام بعمل يستأثر بالاهتمام لغرض ان يخرج من وحدته.

ـ الاضرار بالآخرين للتنفيس عن عقدته.

ـ تقليد النماذج والقدوات التي شاهدها او سمعها من خلال وسائل الاعلام.

ـ ازالة الاضطراب النفسي، ويلاحظ مثل هذا الدافع عند من لا سبب لديه للسرقة.

ـ العارض النفسي ولا سيما عند من تقترن لديه السرقة بالعنف والتخريب.

ـ الاحتجاج على النظم والتقاليد واظهار التمرد والعصيان، وابراز القدرة الشخصية.

ـ الجري وراء امتلاك الاشياء الجملية البرّاقة، والتصور بأنَّ السرقة هي افضل الطرق واقصرها.

ـ واخيراً الشعور الكاذب بالحاجة الى الشيء وهذا ينم عن وجود مرض نفسي.

د ـ الاسباب الثقافية:

وهذه نقطة جديرة بالاشارة وهي ان السرقة لا تعتبر في كافة حالاتها سرقة من الوجهة الاخلاقية، بل تطلق كلمة السارق على من يمارس مثل هذا العمل مع علمه بقبحه. بينما تواجهنا حالات سرقة من اطفال لا يدركون قبح فعلٍ كهذا. فلو تصورنا طفلاً اشتهى تناول الفاكهة وهو يعلم ان امّه اخفتها في موضع معيّن. ان الطفل وبناءً على تصوراته الطفولية يظن ان كل شيء في البيت ملك له، ولهذا فهو لا يرىٰ ضرورة لأخذ الإذن من احد في هذا المجال، فيذهب ويأخذ شيئاً منه ونحن نتصور انه قد سرق.

اننا نعتقد ان السرقة تمثّل بالنسبة للكبار معنىً وتمثل عند الصغار معنى آخر. فالطفل الذي لم يدرك لحد الآن مفهوم الملكية ولا يعرف حدودها ولا يُميّز بين ماله وما للآخرين، اذا تطاول على مال غيره وأخذه لنفسه لا تُعتبر هذه العملية سرقة. فهو يرىٰ في كثير من الاحيان لُعبة او طعاماً يحبه فيأخذ لنفسه ما يشاء بحريّة تامّة وذلك لانه لا يميز بين ماله وما لغيره وعمله هذا ليس سرقة الا اذا ادرك هذا المعنى ومصاديق هذه الحالة نراها كثيراً عند الاطفال في سن الثالثة من اعمارهم.

اما بالنسبة للكبار فتبدو القضية على غير هذه الصورة، وذلك لأن غرضها بلوغ المآرب من غير بذل اي جهد وبدون اجتياز اية صعوبات. والفارق بينه وبين الصغير هو ان الصغير يقدم على عمله بشكل طبيعي وبكل شجاعة وبعيداً عن اي خوف، بينما يقدم الكبير على عمله وهو خائف من العقوبة.

عوامل تفاقم ظاهرة السرقة بين الاطفال

هنالك عوامل كثيرة تدفع الطفل لمواصلة هذا العمل حتّى بعد فهمه لقبح تصرّفه الى ان يتعوّد عليه تدريجياً ويصل الى مرحلة ـ في سنوات المراهقة والشباب ـ يصير فيها لصاً محترفاً. ولو القينا نظرة على سوابق وماضي المجرمين المحترفين لثبت لنا صدق هذا الرأي. ان هذه الدراسة لا تتيح لنا ذكر جميع تلك العوامل، ولهذا نكتفي بذكر البعض منها كما يلي:

١ ـ **النماذج التربوية المغلوطة**: لاجواء البيت والمدرسة، او الاجواء التي يترعرع فيها الطفل بشكل عام، تاثير كبير في انبثاق واستشراء هذه الظاهرة.

وليس المراد من هذا القول ان الأب والأم يتسوّران جدران بيوت الناس بشكل علني ويسرقان، وما سلوك طفلهما الا تقليداً لهما، وانما هنالك نقطة يجب عدم تجاهلها وهي ان الكثير من تصرفات الأبوين قد تكون لها انعكاسات سلبية في ذهن الطفل. فعلى سبيل المثال قد يقرأ الطفل في كتاب بان عدم دفع الضرائب نوع من السرقة ثم يلاحظ في البيت ان ابويه يتشبّثان بجميع الاساليب للتملص من دفع الضرائب المترتبة على دخل الأُسرة. وعلى هذا المنوال ايضاً يلاحظ عدم حضور معلمه الى الصف في الوقت المحدد، ويأتي الى المدرسة متأخراً ويخرج منها مبكّراً وتتقلّص بهذا اوقات الدروس، وحتى ان بعضهم قد يضيّع وقت الدرس في مطالعة الصحف. وكل هذه التصرفات التي يراها الطفل تمثل بالنسبة له دروساً ويتكون لديه تصور بان المسألة ليس كما تطرح في الكتاب فحسب، بل يمكن ايضاً مخالفتها والتمرد عليها.

٢ ـ اصدقاء السوء: هنالك حقيقة علمية ثابتة وهي ان الطفل لا يولد لُصّاً، والسرقة ظاهرة اجتماعية ومن صنع البيئة الاجتماعية، ويكتسبها الفرد من مجتمعه ويتعلمها من اصدقائه. اي ان والدي الطفل واصدقاءه وزملاءه هم الذين يعلّمونه السرقة، ونخص بالذكر هنا علاقات الصداقة، اذ تكثر امثال هذه الحالات بين الشباب. ويحصل احياناً في المجتمع او المدرسة ان يكوّن الشباب عصابة او زمرة تحترف السرقة.

كثيراً ما يكون الهدف المهم من وراء هذه الافعال هو التظاهر امام الزملاء بالمهارة الخارقة، وبهذا يضيع الشاب اوقاته ويستثمر ذكاءه في سلوك منحرف ويعتبره مفخرة يتباهى بها امام الاصدقاء. ولاجل ان يثبت المقابل انه لا يقل

عنه كفاءة يبادر الى تقليد نفس ذلك السلوك.

٣ ـ **وسائل الاعلام:** يبدو ان اعداد القصص الاذاعية، والبرامج التلفزيونية، والافلام السينمائية يتطلب درجة عالية من الوعي والخبرة ليكون هادفاً وخالياً من الانعكاسات السلبية. ونحن نعترف وبمرارة ان الكثير من البرامج تعلّم الاطفال اساليب الجريمة بشكل غير مباشر.

يجب ان يكون الاشخاص الذين يساهمون في اعداد القصص والبرامج للاطفال متخصصين في دراسة الاطفال. ومن يتولىٰ تربية افكار الاطفال والشباب عليه ان يدرك أولاً ما هو الطفل وما هو الشاب. وما هي الخصائص التي يحملها؟ وما هي رغباته وأمانيه؟ وما هي المخاطر التي يتعرض لها في حياته؟ وما نمط تفكيره؟

اما البرامج التي تبثّ من خلال وسائل الاعلام، لابد وان تخضع لرقابة تنقّيها من اية تأثيرات عكسية تساهم في اذكاء او تأجيج التخيّلات غير المشروعة عند الطفل، ولا توفّر له المادة الأوّلية للعبث، وان لا يكون بطل الفيلم درساً غير مباشر للسرقة والاجرام.

٤ ـ **الوساوس:** من البديهي ان الطفل او الشاب او الانسان على العموم يحتاج في يومه للحظات يكون فيها بمفرده ليختلي بنفسه، لأن الانسان مع كونه اجتماعياً الا انه اذا بقي كثيراً في المجتمع يمل ويتعب، مثلاً الطفل الذي يقضي عشر ساعات من يومه في المدرسة وبين الاصدقاء يميل الى الانفراد لمدة نصف ساعة مثلاً وهذه الوحدة مفيدة له من عدّة جوانب. أمّا ما تجب مراعاته في هذا المجال هو ان لا تطول مثل هذه الوحدة اكثر من الحد المعقول وان لا

تكون ناتجة عن القلق والاضطراب، لانها في مثل هذه الحالة تكون سبباً لاثارة الوساوس والهواجس.

نحن نعلم ان لدىٰ الطفل قدرة عالية على التخيّل والتصوّر، ويعمد في كثير من الحالات الى التخطيط للمشاكل، ولكن من غير ان يكون له اي مارب فيها، ولهذا تقتضي الضرورة انهاء عزلته اذا تجاوزت الحد الطبيعي من غير اثارة وضعه الفكري او ايجاد نوع من الاضطراب لديه او ايقاعه في دوّامة من الهواجس.

والحقيقة الثابتة في جميع الاحوال هي ان ضعف الرقابة يُوقع في بعض المخاطر. ولابد من التنويه الى ان الاشياء التي يرغب فيها يجب توفيرها له والّا فلا مناص من اقناعه بشكل او آخر بعدم امكانية توفيرها في الوقت الراهن وسيتم توفيرها له في المستقبل، لكيلا تجد الهواجس الى نفسه سبيلاً.

٥ ـ انعدام الرقابة: على الآباء والامهات الملتزمين مراقبة المصرف اليومي لأبنائهم. نحن نرى من الوجهة التربوية ـ وفي هذا العصر الذي تنوّعت فيه انواع الاطعمة والالبسة والالعاب وحتّى القرطاسية ـ ان يكون لدىٰ الطفل مبلغ من النقود وان كان قليلاً لمصرفه اليومي.

الابوان يشتريان للطفل قلماً الا ان هنالك عشرون نوعاً من الاقلام، وهو مغرم بنوع منها. والطفل يتناول في بيته الافطار والغداء والفواكه لكنه يشتهي مما يرى في الخارج من مرطّبات وكرزات وحلويات. اذن لابد من وجود مبلغ من النقود في جيبه ليشتري به ما تصبو إليه نفسه.

٦ ـ التشجيع الاعتباطي: الكثير من أنواع التعود على ممارسة السرقة ناتج عن تساهل أولي الأمر في التربية والتشجيع الاعتباطي للطفل وهنالك مثل له

قصّة يعرفها الجميع عن الأم التي شجعت ولدها عندما سرق بيضة وعـليها ان تتوقع منه في احد الأيام ان يسرق جملاً.

من البديهي ان الآباء والامّهات لا يشجّعون اولادهم على السـرقة بشكـل مباشر، الا ان غض الطرف عن اخطائهم في هذا المجال والتسامح معهم فـيها وعدم مراقبة مصاريفهم اليومية يُعتبر درساً سيّئاً لهم وتشجيعاً على مـواصـلة انتهاج هذا المسلك.

اذا سرق الطفل حتّى وان لم يتجاوز عمره الثالثة يجب ان لا يقابل عمله هذا بالضحك والتشجيع على اعتباره عمل بارع، ولا تقبّلوه لقاء الاقدام على مثل هذا الفعل، بل بالعكس لابد من اظهار الاستياء والتبرّم ليدرك انه جـاء بـعمل قبيح، والتربية الصحيحة لابد وان تكون مقرونة بمثل هذه الدقّة.

هنالك طبعاً عوامل أُخرى تزيد من تفاقم مثل هذه الظاهرة عـند الاطـفال كحالة الفقر والعوز التي تعيشها الأسرة وضعف المعتقد الديني عندها وانـهيار قيمها الاخلاقية، او اضطراب اوضاعها، وعـدم تـربية الابـناء عـلى مـفاهيم الاعتداد بالنفس، والاجواء الاجـتماعيةالسـيّئة او المـوبوءة، واسـتشعار لذّة السرقة، والتي نمتنع عن الخوض فيها مراعاة للاختصار.

أضرار السرقة

ان الاضرار المترتبة على ظاهرة السرقة واضحة يـفهمها الصـغير والكـبير ويستقبحها جميع الناس من اي دين كانوا، وان وقع الاختلاف بينهم في تحديد مصداقها.

السرقة تشكّـل تهديداً على أمن الناس من الناحيةالماليّة، وتجعل حصيلة

اتعاب الناس وكدحهم عرضة للخطر. واذا لم يطمئن الانسان الى انه سيكون صاحب ثروته ومالكها، او اذا شعر ان امواله عرضة للنهب والسرقة يتلاشىٰ لديه حافز العمل، ويهجر طريق الكسب السليم. اما الذي يسرق فيرىٰ بالنتيجة انه حصل على دخل كبير بالمجان وبلا اي كد او تعب، ويتكوّن لديه شعور تدريجي بان الطريق الاسهل والأقصر للحصول على المال يتلّخص في السرقة، ولا داعي لأن يكلف نفسه عناء ومشقّة العمل.

للسرقة اضرار اجتماعية فضلاً عن الاضرار الفردية. فاللص اذا كُشف امره يوقن ان كرامته قد هدرت واذا لم يكشف يبقى عرضة لتأنيب الضمير والخجل ويظل يحتقر نفسه ويخرج بالنتيجة عن حالة الانسان الاعتيادي. وربّما يبقىٰ هذا الشعور ملازماً له في كل لحظة وكل دقيقة، ومثل هذا الحال يصدق على الاطفال ايضاً وتاثيره النفسي عليهم اشد بكثير مما على غيرهم.

ضرورة الاصلاح

ولهذه الاسباب وسواها يتحتم العمل على اقتلاع هذا الفساد الاخلاقي من نفوس الاشخاص وتخليصهم من هذا الوباء النفسي. ومن البديهي ان استمرار الاطفال على هذا النهج يتحول تدريجياً الى عادة متأصّلة في نفوسهم والتساهل ازاء مثل هذا السلوك يعتبر بحد ذاته تشجيعاً لهم عليه.

أجل، ان السرقة اذا كانت صغيرة اليوم تتحول في الغد الى عادة متأصّلة وتبعث على الاستهانة بمثل هذا السلوك. الطفل حينما يسرق في المرة الاولى يشعر بتأنيب الضمير، الا ان هذا التأنيب يزول بمرور الأيام ويتحول الى عادة طبيعية.

اما بشأن الاصلاح، وهل هو ممكن أم لا؟ فالجواب ـ ولحسن الحظ ـ يوحي بالايجاب، وان من الممكن معالجة هذه الظاهرة ولكن بشرط المتابعة المستمّرة من الوالدين، وعليهما عدم التهاون في مثل هذه القضيّة والتصور بانّها تزول تلقائياً لأن عدم الاكتراث لها يعني في حقيقة الحال غرسها في نفسه وهذا ما يؤدي في ما بعد الى قيامه بسرقات اكبر.

المواقف السلبية لأولياء الامور

وكما اشرنا سابقاً فانَّ أولياء الامور يشعرون بقلق عميق لوجود مثل هذه الخصلة عند اطفالهم ويتمنّون زوالها، ويتّخذون منها ـ بالنتيجة ـ مواقف متشدّدة ومغلوطة، نشير في ما يلي الى بعضٍ منها:

١ ـ **العقوبة القاسية:** لا أحد يستنكر معاقبة الطفل في مثل هذا الموقف، الا ان الضرورة تستلزم اولاً طيَّ عدّة مراحل قبل العقوبة؛ من قبيل الملاحظة والمراقبة والارشاد، وهو ما سيأتي بحثه لاحقاً، واذا لم تجدِ نفعاً نضطر لانتهاج اسلوب العقوبة.

ان العقوبة اذا كانت شديدة لا تعطي الثمار المرجوّة بل وقد تفرز نتائج عكسية في بعض الحالات، كأن تزرع فيه الرغبة في الانتقام وتدفعه نحو العصيان والتمرّد والاصرار على ممارسة السرقة. فالعقوبة القاسية تؤدّي بالتربية الى طريق مسدود، وتجعل الشخص اكثر فسادا مما مضى. ان القلق الذي ينتاب الوالدين على مستقبل الطفل يجب ان لا يؤدي بهما الى اتباع اساليب ارتجالية مغلوطة.

٢ ـ **النيل من كرامته:** يقوم بعض اولياء الامور بالنيل من كرامة ابنائهم

وفضحهم امام الآخرين بمجرد ان يصدر عنهم مثل هذا الفعل. واذا شعر الطفل انه قد افتضح امره لا يميل الى الاقلاع عن هذه العادة بل ويمعن في ممارستها اكثر. وهذا ما يوجب الامتناع مطلقاً عن وصمه بكلمات من قبيل: لص، وسارق وما شابهها لانه يشعر منها بالعار، الّا اذا بلغ مرحلة يستحق معها التعزير او الحد وهذا له في الاسلام ضوابط وشروط.

٣ ـ **الاكثار من النصائح:** لا شك ان للارشاد والنصيحة تأثير في التربية والاصلاح، الا ان هذا يستدعي وجود مقدمات لابد منها ومن جملة ذلك وجوب اطلاعه على قبح عمله، ثم بعد ذلك يأتي أوان النصح والارشاد.

٤ ـ **اثارة الضجّة حوله:** يبدو من غير المناسب اثارة الضجّة حول الطفل الذي يسرق شيئاً ولا سيما اذا كانت تلك اول سرقة يُقدم عليها، لأن الطفل اكثر استجابة للاساليب المرنة واللينة في الاصلاح، اما اذا استخدمت معه الطرق القاسية والاساليب الخشنة فانه يتوجّس منها خيفة على شخصيته وكرامته.

على طريق معالجة ظاهرة السرقة

ان السرقة عند الاطفال ظاهرة تستوجب المعالجة، فمن غير المقبول ان يقدم الطفل على السرقة ويتحول لديه هذا الفعل الى عادة مستهجنة ومتجذّرة في شخصيته، بل لابد من العمل على اصلاحه ووضعه على جادة الصواب. ومعالجة مثل هذه الخصلة تستوجب مراعاة الجوانب التالية:

١ ـ **دراسة العلل والاسباب:** وهي الخطوة الاولى في الاصلاح، اذ لابد من تقصّي الدوافع والاسباب التي تحدو بالمرء الى ارتكاب السرقة، وهذا ما

يوجب على اولي الامر والمربّين القاء نظرة على الفترة الماضية من حياة الطفل وملاحظة ما عرض خلالها من حرمان وقلق واضطراب وعلاقات ومواقف عاطفية، وماهي الظروف التي مرّ بها، والقدوات التي تأثر بها في حياته، وما هي المخلّفات التي تركتها مثل تلك القدوات في ذهنه. والغرض المنشود من وراء كل هذا هو السعي لمعالجة هذا العيب الاخلاقي من نفس الطريق الذي نشأ منه.

٢ ـ سد النواقص الماديّة: النقطةالأخرى المهمّة في هذاالمجال هي وجوب توفير الحد الأدنىٰ من الحاجات الماديّة للطفل، سواء كانت هي السبب في نشوء عادة السرقة أم لا، وذلك لاحتمال ان يكون دافع السرقة امراً آخر. فاذا ما عولج يبقىٰ عامل الحرمان سبباً في اثارةهذا الفعل من جديد.

ان فرض الرقابة المشددة على تناول المواد الغذائية وما يترتب على هذا الفرض من شعور بالحرمان، وابعاد الاشياء التي يحبّها الطفل عن متناول يده تعتبر كلها بمثابة تحريض له على ارتكاب هذا الفعل فمن الافضل اذن اشباع حاجات الطفل من جميع الجوانب.

٣ ـ اشباعه بالعطف والحنان: هنالك تأكيد واضح على ضرورة مؤانسة الطفل وان يغمره أبواه بالعطف والحنان. ولابد ايضاً من وضع حدٍّ لا يتجاوزه لكيلا تكون له جرأة عليهما، وان يحترم رأيهما.

ان القرب من الطفل يسهّل على أولي أمره استشعار حاجاته، وفهم افكاره، والاطلاع على ما يقع فيه من منزلقات كما ان وجود الاحترام يساعد على ان يكون اكثر انصياعاً لكلامكم. علّموه عدم الاتيان بعمل يقلل من مكانته لديكم.

٤ ـ الاصلاح النفسي: في الحالات التي يكون النقص الاخلاقي وسوء السلوك منبثقاً من عوامل نفسية، فلابد من الاسراع لاصلاحها، والتعرف على

العقد التي يعاني منها، ومن هم الاشخاص الذين يرغب بالانتقام منهم؟ وما هو سبب اضطراباته؟ وما هي الهواجس التي تدفعه لارتكاب هذا العمل.

ذكرنا ان التظاهر، والتمرد، والاحتجاج على الاوضاع السائدة يدفع المرء في بعض الحالات الى مثل هذا المنزلق. اما اذا اتيح لنا الكشف عن الاسباب الكامنة وراءها لأضحى من اليسير توفير مستلزمات الاصلاح والهداية، ونتمكن من ردعه عن ارتكاب السرقة من خلال ابداء المزيد من المحبة له، وتقديم الادلّة المنطقية التي يفهمها للتدليل على قبح هذا الفعل.

٥ ـ توفير الاجواء الايجابية: يعتبر توفير الاجواء الايجابية والسليمة حقّاً من الحقوق التربوية لكل طفل. فليس من الصحيح ان يتربىٰ الطفل في أجواء تطفح بالجريمة والاستهانة بالقانون، والاعتداء على حقوق الآخرين، ولا من المناسب ان يترعرع في اسرة تمارس الجريمة.

لابد اذن من تطهير ذهن الطفل من النماذج السيّئة، والمُثُل القبيحة، ووسائل الاعلام لابد وان تخضع لتقييم جديد ورقابة صارمة بحيث لا تنعكس عنها بشكل مباشر او غير مباشر نماذج تربوية قبيحة، وعلى المربّين واُولي الأمر ان يكونوا انفسهم قدوات صالحة ليقتدي بها الطفل نحو الاصلاح والصلاح.

٦ ـ التوعية: وغالباً ما تهدف الى تعريف الطفل بخطئه بلغة بسيطة ومنطق مفهوم، وذلك عن طريق التنبيه الى ان مثل هذا العمل لا يرتضيه افراد اسرته ولا سائر الناس، وان الله يغضب منه، وقد وضع له عقوبة قاسية. ويمكن في هذا السياق ان نشرح له كيف ان حياة الناس تغدو صعبة اذا تفشّت فيها ظاهرة السرقة وصار كل واحد يسرق مال الآخر، وكم سيلحق بنا من الضرر نحن شخصياً اذا ما تعرضنا للسرقة وذهبت اموالنا. ويجب ان يفهم الطفل من خلال

ايحاءاتكم المتكررة له ان السرقة ليست طريقاً صحيحاً في الحياة. واذا اتسع هذا الفعل وصار يقترفه الناس فلن يكون من اليسير عليهم مواصلة الحياة بشكل طبيعي. وعلى العموم من المفيد بيان مضار السرقة للطفل بين فترة واخرى.

٧ ـ التعويد على عزّة النفس: صحيح اننا قد لا نستطيع توفير جميع احتياجات الاطفال في جميع الاحوال، الا اننا قادرين على ان نشرح لهم بعض الصعوبات والمشاكل التي تواجهنا، ومن المؤكد ان الطفل يفهم معنى الكلام ويتماشى معنا في مثل هذه الحالة.

بالامكان تعليم الاطفال على عزّةالنفس، وتربيتهم على الطباع الحميدة، ورفع مستواهم الفكري، وخلق شخصية قويةفيهم. فاذا عجز احدنا عن توفير المأكل الجيد لهم في جميع الاحوال، يمكنه على اقل الاحتمالات ان يعوّدهم على عزّة النفس ومناعة الطبع.

الفنون اللازمة في هذا المجال

يمكن توظيف الكثير من الفنون والاساليب لاجل اصلاح السلوك المنحرف لدىٰ الطفل، وهي علىٰ العموم نفس الاساليب المتّبعة في جميع المجالات التربوية لاصلاح الافراد، وما يمكن اضافته اليها ها هُنا يتمثل في ما يلي: ـ

١ ـ ضبطه حال التلبس بالسرقة: عند التيّقن من سرقة الطفل وتقديم الارشادات والنصائح الكافية له في هذا المجال، وعدم التزامه بها، ومعاودة ارتكابها يمكن حينها مراقبته لضبطه متلبّساً بالسرقة ومكاشفته بحقيقة عمله،

على ان لا يكون الهدف فضحه او التشهير به بقدر ما يكون الغرض ان يفهم بانه قد ضبط وهو يمارس بحيث تكون النتيجة من وراء هذا بنّاءة. ويمكن الاشارة الى انه قد شوهد وهو يسرق وان لن يُفضح امره اذا امتنع عن تكرار ذلك.

٢ ـ اظهار الأسف: بامكان احد الابوين ان يعلن للطفل عن شدّة اسفه لقيامه باخذ النقود مثلاً من الحقيبة او من أي موضع آخر بلا ان يخبر احدهما بحاجته. ويجب ان يقترن مثل هذا العمل بالروّية والتأني بلا غضب او انفعال. ومثل هذا الموقف له تاثير شديد على من يتطاول على السرقة للمرة الاولى. ان حدود الاحترام القائمة بين الطفل ووالديه، والتعبير له عن اسفهما لمثل هذا التصرف يعيده الى طريق الرشاد ويجدي في تقويم سلوكه.

٣ ـ اعادة المسروق: على اولياء الامور والمربّين الالتفات الى ما يأتي به الطفل الى البيت، ومن اين جاء بهذا القلم او الدفتر؟ وبأية نقود اشتراهما وهل ادعاؤه ان صديقي اعطانيه، صحيح ام لا؟

يمكن في بعض الحالات ان يقال للطفل تعال نذهب الى بيت صديقك لنلاحظ لماذا اعطاك هذا الدفتر مثلاً. والغرض من هذا ارغامه على اعادة ما اخذ الى صاحبه وليفهم ايضاً انه تحت الرقابة الدائمة، ومُعرّض للاستجواب. قد يحصل احياناً ان يؤكد الطفل على ان هذا الدفتر له لكن اولياءه يعلمون انه لصديقه،في مثل هذه الحالة يبادر ذووه الى تسليم الدفتر لصديقه امام ناظريه.

٤ ـ فرض الغرامة: حينما يعلم اولياء امر الطفل انه قد سرق من جيوبهم نقوداً، واشترى بها مثلاً بعض المرطبات او لعبة،من غير اذنهم، فاذا تكرر منه هذا العمل يمكن التصرف بالصورة التالية:

١ ـ تحديد الشيء الذي اشتراه.

٢ ـ ارغامه على اعادة ذلك الشيء وارجاع نقوده لموضعها الأوّل.

٣ ـ يستقطع المبلغ المسروق من يوميّته.

٤ ـ وفي نفس الوقت يحذّر بأنّه سيدفع ثمن عمله هذا غالياً. وفي كلّ الاحوال يبدو بيان قبح هذا الفعل وخطأ هذا التصرف عاملاً فاعلاً في الردع. والطريق الامثل في كل الاحوال هو التعامل مع هذه العادات برويّة وبعيداً عن الغضب.

٥ ـ الوعظ والنصيحة: ان النصائح كثيرة الفائدة وهذا هو موضعها المناسب، اما اذا تكرر نفس الفعل بالرغم من توفير احتياجاته ومستلزماته وتهيئة الاجواء الايجابية في تربيته والتعبير عن السخط على تصرفه ولم يبدِ اي استعداد للكف عن هذه العادة. لابد حينذاك من اتباع طريق النصح المشفوع بالتخويف.

على الجميع ان يوضّحوا للطفل ضرورة الاستقامة في حياته وان لا يسرق، ويلتزم الطريق الصحيح وان هذا من صلب واجبه في الحياة، اما اذا شاء التخلّي عن هذا الواجب فما عليه الا ان يتحمل عواقبه المريرة، اذ سيفتضح امره امام الناس وينال العقوبة الالهية.

٦ ـ العقوبة والمجازاة: نحن نعلم ان الطفل غير البالغ لا حَدَّ عليه، ولكن يمكن ان يعزّر وعندما تفشل جميع الاجراءات المبذولة من قبل اولياء الامور والمربين، ولا تفلح النصائح والارشادات والتحذيرات، وحينما تصبح الرقابة مجرد اضاعة للوقت، يتوجب حينها اتباع اسلوب العقوبة والمجازاة.

وكما نعلم ان للاسلام قوانينه في هذا المجال، وهناك قواعد خاصة بالطفل المميز حينما يقدم على السرقة، والعقوبات المقررة يمكن الاطلاع عليها في مضانّها الفقهية.

بداية الاصلاح

يجب الوقوف منذ البداية بوجه السرقات الصغيرة، وتفهيم الطفل بقبح عمله ومقابلته بوجه عبوس لغرض ارغامه على الكف عن هذا العمل.

لقد ظهر من خلال الدراسات ان التساهل ازاء مثل هذا الامر يخلق الكثير من المتاعب، والطفل اذا لم يتم اصلاحه في هذا السن يغدو من الصعب اصلاحه في ما بعد. واذا تطاول في الصغر على مال الغير لابد من توعيته الى عدم جواز اخذ ما ليس له ووجوب اعادته الى مالكه، بل ويجب ايضاً الامساك بيده واخذه الى موضع السرقة واعادة المسروق الى مكانه او الى صاحبه.

والحقيقة ان التأخير في الاصلاح يخلّف نتائج غير سارّة تتعمق جذورها تدريجياً حتّى تتحول الى خصلة متاصلة فيه وهو ما اشرنا اليه بالمثل المعروف بان سارق البيضة اليوم يسرق في الغد جملاً. فليس من السهولة على الشخص الذي طُبع على عادة قبيحة، واستساغ طعم الانحراف، ان يكف عن ذلك عاجلاً.

ملاحظات

وفي نهاية المطاف اود لفت نظر الوالدين الكريمين الى عدّة نقاط في هذا المجال تتلخص في ما يلي:

١ ـ اذا حصل يقين بقيام الطفل بالسرقة، فلا داعي للاكتفاء بالاستفسار هل سرقت المبلغ الفلاني أم لا؟ لانه سيقوم ايضاً بارتكاب سرقه آخرى وينكرها، بل يجب في مثل هذا الموقف اتخاذ اجراء حازم وقاطع.

٢ ـ السعي الى عدم فضحه والنيل من كرامته والاستهانة به امام الاخـرين، لأن هذا التصرف ينطوي على مضاعفات اكبر.

٣ ـ اذا وجد انه يستحق العقوبة، فلا بد من تطبيقها ولكن بعد العـديد مـن التنبيهات والارشادات وينبغي ايضاً ان لا تكون قاسية وتؤدّي به الى التـفكير بالانتقام. بل الافضل اولاً السعي جهد الامكان لإصلاحه بالاساليب الايجابية والنصيحة والارشاد وما شابه ذلك، الا اذا كان في مرحلة المراهقة او البـلوغ، فحينها يكون له حكم آخر.

٤ ـ الاحتفاظ برباطة الجأش، وعدم خلط الحسابات مع بعضها. فاذا كسر الطفل إناءً واراد والده توبيخه لا ينبغي له خلط الحسابات ومواجهته بالقول ايها اللص لماذا كسرت الاناء!؟ بل يجب فصل الحسابات والمواضيع عن بعضها.

٥ ـ في الحالات التي تُستيقن فيها السرقة ينبغي مواجهته بـصراحـة مـنذ اللحظة الأولى وارغامه على اعادة المسروق الى موضعه، ولا ضرورة هنا لطرح اية مقدّمة للموضوع.

٦ ـ السعي نحو عدم قطع العلاقة معه في كل الظروف والاحوال، ولا يقال له على سبيل المثال: انا اقطع علاقتي معك لأنّك سارق. بل المطلوب هنا ارشاده الى اصلاح ذاته مع الاحتفاظ بالعلاقة بين الطرفين.



فهرس الموضوعات

مشاكسة الاطفال

نحن وجنوح الاطفال

التمرد والعناد